جامعة أم القرى بمكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا
فرع العقيدة

منهج القراء والعلماء في أثبات الألوهية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب

عبد الله بن عثمان الكوكي

إشراف

فضيلة الأستاذ الدكتور

بركات عبد الفتاح دويدار

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٩٩٩

١٤٠٤ - ١٤٠٥ هـ

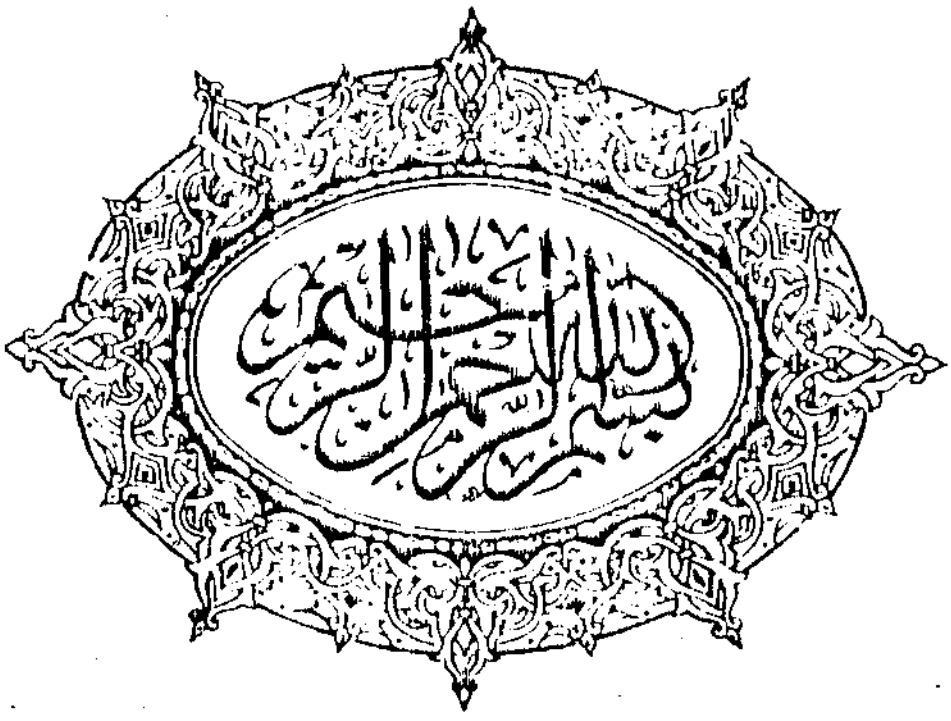
بسم الله الرحمن الرحيم

" بسم الله الرحمن الرحيم "

((تقديم وتقديـــر))

الحمد لله الذى تفرد بالألوهيه ، وأرانا الأدلة والبراهين حتى تبين لنا أنه الحق الأوحد ...

أحمده سبحانه ، وأشكره أن جعل فى القرآن الدليل القاطع والبرهان الساطع على وجوده ووجوب عبادته ،

ونستعينه ونستهديه فى سلوك سبيل العلماء العاملين

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ،

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، النبي المصطفى المبلغ عنه وجهه الواضح به منهجه القويم ،

اللهم صل وسلم وبارك عليه ما نظر ناظر ، وبحث باحث وأرض اللهم عن آله وصحبه أجمعين ، الذين تأسوا به واتبعوا سبيله ، واهتدوا بهديه

أما بعد فإن من يسبر عقائد الناس فى عصرنا الحاضر يجد طوائف منهم بين مرتاب ، ومؤول ، ومنكر ، ومشرك ،

مما يستوجب على المسلم فى هذا العصر أن يدعو الناس الى الاعتقاد فى ألوهية الخالق سبحانه وتعالى أكثر من أى عصر مضى " فكل من لم يناظر أهل الالحاد والبدع كما يقول شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى - مناظره تقطع دابرهم ، لم يكن أعطى الاسلام حقه ولا وفى بموجب العلم والايمان ، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس ، ولا أفاد كلامه العلم واليقين " .(١)

---

(١) ابن تيميه : درء تعارض العقل والنقل ج ١ ص ٣٥٧

وقد تعقدت أمور الحياة في هذا العصر مما جعل مهمة المسلم صعبة بالاضافة الى اسلوب الفكر الطبيعي (١) الذى أنشأ قضايا مفتعلة بين الدين والعقل وقد أدى الأمر الى الاعتقاد على وجه الخطأ ان المجتمع مصدر الدين .

والواقع أن وسائل الفكر الطبيعي لا تمكن من مشاهدة علاقة الكون بخالقه ومدبره . أو تفسر ظاهرة التدين لدى الانسان . ولو انتبه الغربيون لوجدوا أن التدين مصدره رباني وهو حقيقة أبدية أشبه بخصائص الطبيعة ونواميس الحياة .

ثم إن التحدى الذى يواجهه الاسلام اليوم أخطر مما واجهه في بدايه ظهوره ، لتعدد الفلسفات ، والمذاهب ، وتنزلها عند أصحابها منزلة العقائد يدافعون عنها وينشرونها بشتى الوسائل،ولتقصيرنا لم نستطع مواجهتها بمثل مقاومه سلفنا الصالح لمختلف أنواع الشرك الذى يسيطر على العالم وقتها .

فقد قدم الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الغر الميامين الاسلام بقوة (٢) حتى غيروا مجرى التاريخ .

واذن فعلى المسلم المتصدي لضروب التحديات المعاصره أن يستعد لها بما يدحضها ، وأعتقد أن هذا الاستعداد لا يمكن الا بالقرآن المعين الذى ينهل منه العلماء ، ويأخذ بهم الى التفكر ، ولا أدل على ذلك من أن الله تعالى قرن شهادتهم بشهادته

---

(١) المقصود بالفكر الطبيعي : الفكر الذى يقول بأن " القوانين الطبيعيه وحدها مسيره الكون .

(٢) قوة الايمان الا قوة حديد والنار كما يدعى أعداء الاسلام وثباتي

سبحانه على أنه الواحد الحق . قال تعالى : (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط)(١)

كل هذه العوامل أهمت الى أن يكون الموضوع الذى أخترته لرسالة الماجستير : هو

" منهج القرآن والعلم فى اثبات الألوهيه "

والتزمت أن أعالجه وفق منهج موضوعى دون تحامل أو تحيز .

وسلكت فى ذلك الخطوات التى توصل الى نتيجه علميه فقسمت البحث الى تمهيد ، وخمسة أبواب ، وخاتمة .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٨ وتتمتها (لا اله الا هو العزيز الحكيم)

أولا : التمهيد :

يشمل بيان منهج القرآن ومنهج العلم ، وصله كل ذلك بالحكم المقلى ، مع عدم التقيد بالمفهوم الضيق لجزئيات الماده وقوانين الطاقه ، أو الاكتفاء بالتجربه ، فالعقل يدرك أشياء كثيرة معنوية كما تدرك بالمشاهدة الحسية أو التجربة العملية .

وهذه قضيه لها ركيزتها فى اثبات الألوهية للخالق ، وفى بيان معناها ، اذ هى تفرض نفسها حتما رغم ردود المعترضين على الدين سواء منهم الذين يثيرون مشاكل حقيقيه أو الذين تمثلت ردودهم فى أفعال عنيفه لا مضمون لها كاشعارات الثوره الفرنسيه ، وعصر فولتير ادعاءات الشيوعيين من ماركسيين ومساويين . وهو ما يفسر تقلص دائرة التجربه فى التعامل مع الحقائق الكونيه واتساع دائره التأمل الذي نلحظه فى أفكار أنشتاين وغيره من علماء الغرب .

وبهذا نجد العلم الحديث قد اعترف بالايمان بالغيب باكتشافاته العلمية لآلاء الله الكامنه فى الكون ، وهو مصداق قوله تعالى :

(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق من)[1] .

---

(١) سورة فصلت الآية ٥٣

الباب الأول

وجود الله بين الفطره والدليل

الفصل الأول : اسم الجلاله (الله)

الفصل الثانى : الفطرة .

الفصل الثالث : الألوهية بالنظر والاستدلال ويشمل هذا الفصل تمهيدا ومجموعة مباحث فى مسألة النظر وقضيه المعرفة وطرق الاستدلال .

الخلاصه : وهى خلاصة للقضايا التى تم بحثها والنتائج المتوصل اليها .

الباب الثانى

خصائص القرآن الذاتية فى اثبات الألوهيه

الفصل الأول : مصدره

الفصل الثانى : اعجازه .

الفصل الثالث : اقراء القرآن للرسول .

الفصل الرابع : توجيه الرسول الى ما يخالف اجتهاده .

الفصل الخامس : الاخبار بالغيب .

الفصل السادس : انقطاع الوحى عن الرسول رغم الحاجه اليه .

الباب الثالث

منهج القرآن فى اثبات الألوهية

تمهيد :

الفصل الأول : الأصول التى اعتمدها القرآن فى دعوته للألوهية وفيه مجموعة مباحث اعتمدها القرآن العظيم فى اثبات توحيد الألوهية :

(١) ايقاظ الفطر .

(٢) نبذ الطواغيت .

(٣) تعداد النعم

(٤) الخلق من العدم .

(٥) الله قاهر فوق عباده

الفصل الثانى : اسلوب القرآن فى الاقناع بالألوهية وفيه :

(١) مبحث وحدة الدين .

(٢) الجدال بالتى هى أحسن .

(٣) الحض على التفكر .

(٤) فى الآفاق والأنفس .

روعة الكون

فى الآفاق

فى الأنفس

الباب الرابع

مشكلة الالحاد بين القرآن والعلم

الفصل الأول : مشكلة الالحاد .

بينت في هذا الفصل مفاهيم الالحاد ، وأنواعه والقانون الطبيعي ، وقضية الفصل بين العلم والدين ومظاهر من الالحاد .

الفصل الثاني : الالحاد والعقلانية .

الفصل الثالث : الالحاد بين المسيحية والاسلام .

الفصل الرابع : العلم وانحسار الالحاد

الباب الخامس

العلم يثبت وجود الله ووحدانيته

الفصل الأول العلم يثبت وجود الله ووحدانيته

الفصل الثاني : الكائنات الحية .

الفصل الثالث : الماء والحياة .

ثم ذيل بعنوان : " أقر بوجود الله "

وهو بحث مترجم عن مقال باللغة الفرنسية لبعض العلماء المتفلسفين يقرون فيه بوجود الله ووحدانيته ، مع ترجمة لمقولة تمثل مظهرا من مظاهر دعوة المثقفين الغربيين للاقرار بالخالق سبحانه وتعالى .

وأما الخاتمة : فتتضمن أهم نتائج البحث ، وأفضلية المنهج القرآني على غيره من المناهج ، والدعوة الى دراسة الاتجاهات الفكرية الحديثة التي تعارض الايمان بالألوهيه ثم بيان تهافتها أمام الحقائق العلمية الدالة الباهرة على وجود الله ووحدانيته .

أما المصادر والمراجع فقد حاولت بقدر الامكان أن تكون مصادر البحث أصلية فلم أركن الى نقل ناقل أو ترجمة مترجم بل اجتهدت في الرجوع الى المصدر الأصلي ولو كان في لغته التي كتب بها كالفرنسية والانكليزية وهما اللغتان اللتان أتقنت دراسة الالحاد والعلم فيهما .

أما منهج القرآن في اثبات الألوهيه فقد حاولت قدر جهدي أن استخرج منهجه هذا بالتلاوه المتأنيه للذكر الحكيم والتدبر لآياته مع ما وصلت اليه يداي من دراسات قرآنية متعمقة قديمة وحديثة .

وقد تطلب استقراء المراجع التي استعملتها خلال رحلتي العلمية مع هذا البحث جهدا مضنيا في سبيل انجاز دراسة أرجو أن تكون مقنعة ومثمرة أدخرها ليوم لاينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

وأما اليوم فاني أضع هذا البحث بين يدي المناقشين أصحاب الفضيلة والسماحة في بلد الله الحرام الذي اندحر عنه الشرك منذ أربعه عشر قرنا ولم يعد يعبد فيه الا الله الواحد الأحد ، وبالذات في جامعه أم القرى زادها الله تعالى تكريما وتشريفا ، ولسان حالي يقول لهم : لقد بذلت في بحثي هذا أقصى ما أستطيع ، فان وفقت فمن الله وان قصرت فحسبي أني وضعت دراسة في أشرف علم ألا وهو علم التوحيد وهذه بداية قدمي على

طريق العلم الطويل .

ومع هذا فإني بمقتضى المثل العربي القائل : " رحم الله رجلا أهدى إلي عيوبي " (١) أقول : بارك الله في كل مناقش يبين لي سهوي وخطئي وكل ذلك عندي .

وبعد / فلا يفوتني في هذا المقام أن اعترف بالفضل لأهله ، اقتداء بقول رسول الرحمة صلى الله عليه وسلم : (من صنع إليكم معروفا فكافئوه ، فان لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا ان قد كافأتموه "(٢)

لذا : أتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير لسماحة استاذي المبجل فضيلة الدكتور / بركات عبد الفتاح دويدار (الشرف على هذه الرسالة لما أولاه من جهد في توجيهي ،والأخذ بيدي نحو الطريق السوي ببيان ما أشكل علي أو أبهم .

فالله أسال أن يجزيه عني خير الجزاء فقد استمر طوال مدة البحث يفتح لي بيته وصدره الرحب ، زيادة على حصص الاشراف الرسمية ، باذلا أوقات راحته تحملا اجهاد البحث وتعب المراجعة مقدما خبرته الطويلة ومراسه المتواصل حتى أنجز هذا البحث وأخرج الى حيز الوجود ، فجزاه الله عن العلم وجميع طلابه أحسن الجزاء .

---

(١) ابن سلام : الأمثال ص١٨٥

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج ٦ ص ٩٠

كما اتقدم بخالص الشكر لجامعه أم القرى مثله في معالي الدكتور / راشد الراجح مديرها ، وسعاده عميد كليه الشريعة الدكتور / صالح بن حميد ، ووكيل الكليه الدكتور / حمزة الفعر ، وسماحه رئيس قسم الدراسات العليا الشرعيه فضيله الشيخ / سيد سابق ومساعديه في القسم ، فقد قدموا لي ولكل زملائي الطلبة كل ما يعيننا على مواصله دراساتنا العميقه في أحسن الظروف المادية والأدبية كما أشكر لجنه اختبارات القبول بالدراسات العليا التي أتاحت لي فرصة مواصلة دراستي العليا في هذه الجامعة الموقرة .

وأتضرع الى الله عزوجل أن يجزيهم عني أحسن الجزاء وان يبارك لهم في كل أمر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

تمہید

تمهيـــــد

ان أساس الاسلام عقيدته ، ومكمن العقيدة فيه انما هو الايمان بالله عز وجل ، واخلاص العبادة له وحده والعلاقة بين اثبات وجود الله تعالى ووحدانيتـــه علاقة الزام والتزام ، أى أن من أقر بوحدانية الله تعالى ، فقد اثبت وجـــوده سبحانه ومن أثبت وجوده فلن ينفعه هذا الاثبات الا اذا كان مشفوعـــا بالاقرار بتوحيد الله عز وجل فى ألوهيته بعبادته وحده دون سواه والاعتقـاد بأن الموجودات ملكه وانها لا تملك من دونه نفعا ولا ضرا لأحد .

ولذا لم يدخل القرآن عرب الجاهلية ، الذين كانوا يقولون بمجرد توحيـد الربوبية فى الاسلام ، واعتبرهم مشركين قال تعالى :

" وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون "(١) وقال مبينا اقرارهم بربوبيـة الخالق (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله)(٢) ، وقال (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله . قل أفـــلا تذكرون قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله ، قل أفلا تتقون ، قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كـنتم تعلمـون سيقولون لله قل فأنى تسحرون)(٣)

وما اعتقد أحد منهم أن الاصنام ، هى التى تنزل الغيث وترزق العالـــم وتدبره "(٤)

---

(١) سوره يوسف الآية : ١٠٦

(٢) سوره لقمان الآية : ٢٥ ، الزمر الآية : ٣٨

(٣) سوره المؤمنون الآيات ٨٥ ـ ٨٩

(٤) ابن تيمية : الفتاوى : ج ١ ص ٩٢

وتوحيد الألوهية أكثر المسائل تكرارا فى القرآن وأكبر أبواب عقيدة الاسلام ، التى من ضمنها الايمان باليوم الآخر ، والايمان بالملائكة ، والكتب ، والنبيين ، والقدر خيره وشره .

وأما تكرار توحيد الربوبية فى القرآن وهو انفراده تعالى بالخلق والتدبير ، فليس لاقناع المعطلين والمشركين بربوبيته تعالى فقط ، بل أكثره لاقامة الحجة على بطلان شرك العبادة بدعاء غير الله تعالى ، لأجل التقرب اليه بأولئك الوسطاء وابتغاء شفاعتهم عنده (١) قال تعالى :

(ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السماوات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) (٢) فالمشركون يعتقدون أن من يدعونه ليس الا مجرد وسيط يشفع لهم عند الله وهو باطل لا تصح العبادة عن طريقه لأن الله تعالى لم يتخذ وسائط بينه وبين عباده .

وإن البحث فى مسألة الألوهية فى هذا العصر ، الذى تسير فيه الحياة بخطى يقظة وحثيثة الى الادراك العلمى المرهف ، والعمل الفنى الحاذق يعد تقديرا صحيحا للأمور ذلك أن تسلسل التفكير ومنطقه ، هو الذى يدفع الانسان ليسأل الأسئلة الدائرة فى كل عقل : من نحن ، وما هو هذا الكون الكبير ، ومن خلقنا ، والى أين المصير ؟ وما الغاية ؟

فهذه الأسئلة التى تقلق بال الانسان لها أجوبة علمية صحيحة ضبطها القرآن الحكيم ، وهو يكشف سر الكون كله بما فيه الانسان ، حيث يعرف هذا الأخير بخالقه وبكيفية عبادته عبادة تليق بجلاله .

---

(١) محمد رشيد رضا : الوحى المحمدى ص ١٧١ بتصرف .

(٢) سورة يونس الآية : ١٨

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن لهداية الناس وإرشادهم الى نهج حياة يسعدهم دنيا وأخرى فهديه متواصل لا ينقطع عن الأمم كافة على مدى العصور فهو باق الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وكل جيل في أى عصر من العصور يأخذ من القرآن ما يتناسب مع ثقافته وحضارته .

وأسس القرآن وقواعده صالحة لجميع الناس ويفضل اسلوبه المعجز يعطى كل عقل ما يناسبه ، ولذا لا بد من اصلاح موقفين ظهر خطؤهما بجلاء :

الموقف الأول : موقف الذين يقصرون فهم نصوص القرآن على مفهوم الثقافة العربية المحدودة زمن نزول الوحى .

الموقف الثانى : موقف الذين يحملون كلماته فوق ما يتحمله النظم القرآنى ليقحموه في المخترعات الحديثة ، فالقرآن لا يخضع لكل نظرية توصلت اليها الاكتشافات أو قال بها العلماء في أى فرع من فروع بحوثهم ، وهو وان كان لا يخلو من لفتات علمية فانه يعنى بالكليات ويقرر الحقيقة ويترك تفاصيلها واطوارها للمذهن البشرى ليؤدى دوره .

وهذه مسألة مهمة ينبغي على كل من يتصدى لنصرة عقيدة الألوهية أن لا تغيب عنه فنظريات الناس وآراؤهم قابلة للنقض والابطال وهو ما يدعونا الى أن نحذرها ، ولكن لا يمنع هذا من تقديم العقيدة الاسلامية بما يتناسب والتحديات الواردة عليها اذ علينا أن نعرض الاسلام بلغة العصر الذى نحن فيه فقد ورد عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قوله " خاطبوا الناس بما يفهمون أتريدون أن يكذب الله ورسوله "(١)

وطبقا لتطورات مختلف العلوم ولتنوع الأساليب الحديثة المستعملة لانكار الدين يكون علينا أن نتبنى أسلوب الاستنباط وأن نتصدى لمنكرى الألوهية

---

(١) ابن تيميه درء تعارض والعقل والنقل ج ١ ص١٧ وقد أورد هذا الأثر السيوطى : فى فتح الكبير المعانى الجامع الصغير ٣/٩٤ . رقم ٧٠٠٠ وهو حديث موقوف على على ، وضعفه الشيخ الالبانى .

بأدوات فكرية يفهمها أهل العصر ذلك أن الأسلوب الذى استعمله كثير من أهل الفرق الاسلامية القدامى والذى اعتمدوا فيه على المنطق الصورى لم يعد يناسب عقلية اليوم أو التسليم بأنه يؤدى الى الحقيقة ، زيادة على كونه كما يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عند بيانه لسبب ذم الأيمة (١) لعلم الكلام بأنه ليس لمجرد ما فيه من الاصطلاحات (كالجوهر والجسم والعرض) كما يظن البعض بل لفساد معناه ... فذموه لاشتماله على معان باطلة مخالفة للكتاب والسنة . (٢) ومن الأدوات الفكرية التى تصلح لهذا العصر الفكر العلمى المتطور الذى يستدل بالبراهين العلمية الصادقة التى تقبلها جميع العقول فى مختلف العصور باعتبارها مقدمات لبناء أدلة تثبت الحقائق الغيبية كاستعمال القوانين الرياضية لاثبات الله الواحد ، واستعمال القوانين الفيزيائية للاستدلال على أن الكون فان .

وقد يضطر ناصر العقيدة الى استعمال نظريات علمية نسبية وهذا لا ضرر فيه لأن بطلان الدليل لا يؤذن ببطلان المدلول وانما عليه فى هذه الحالة

---

(١) من الذين ذموا علم الكلام : الامام الشافعى رحمه الله حيث قال : حكمى فى أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم فى القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام .

وقال الامام أحمد رحمه الله (ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح وقل أحد نظر فى الكلام الا كان فى قلبه غل على أهل الاسلام .

(ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ج ١ ص ٢٣٢) .

(٢) المصدر السابق " بتصرف "

أن يحاول ايجاد أدلة أخرى لاثبات هذا المداول مع الحذر من التقاط نظريات يثبت بها الاعجاز العلمي للقرآن ذلك لأنه اذا ما ظهر بطلان هذه النظريات ظهر الاسلام بمظهر المندحر ، فتتزعزع منه الثقة ، ويكفر به الناس ويؤدي ذلك الى الضرر من حيث أريد به النفع .

ولكن عندما تصبح النظريات حقائق علمية ثابتة فان القرآن لا يصادمها لأنه من عند الله ، والله عالم بما كان وبما سيكون في هذا الكون من عجائب وعبر ، فالحقيقة القرآنية لا تتعارض مع الحقيقة الكونية لأنها كلها من عند الله . قال تعالى :

" أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا "(١)

ثم ان القرآن نفسه قد دعا الى استعمال الدليل العلمي الموصل الى الحقيقة قال تعالى :

" كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته ، وليتذكر أولوا الألباب "(٢) ، وقال : " وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون "(٣) وقال تعالى " وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون "(٤)

---

(١) سوره النساء الآية : ٨٢

(٢) سوره ص الآية : ٢٩

(٣) سورة الرعد الآية ٣

(٤) سورة [illegible]

وهكذا يكثر في القرآن العظيم آيات التفكر ، والتعقل ، والتدبر تدعو الناس الى البحث الرصين ، الذى يجعل به الايمان بالألوهية العزيزة ، ذلك أن من شرط صحة اسلام المرء ايمان قائم على دعائم يقينية .(١) واقناع قلبي، وابعاد كل ما ليس كذلك قال تعالى :

" ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا "(٢) وقال مبينا قصور الظن عن الحق (وما يتبع أكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا ، ان الله عليم بما يفعلون "(٣)

وبهذا يظهر التلاحم بين العقيدة الاسلامية وبين العلم القائم على الاستقراء الصحيح ، والبرهنة الناتجة عن التجربة والمشاهدة فقد اعتبرت التجارب العلمية التي تواطأ عليها المسلمون في حقل " الطب والهندسة والفلك والبصريات " حافزا يعزز الايمان بحكمة الخالق وأسرار الوجود حتى ان فخر الدين الرازى قال : (من لم يعرف الهيئة والتشريح فهو غبي في معرفة الله) . قول الرازى

وفي المقابل نجد عند الغرب أن العلم في العصور الأخيرة الماضية قد أساء الى التدين بتنقصه القدرة الالهية وبادعائه التحكم في خصائص الطبيعة) الا أن هذا الادعاء " الفكرى العلمي " تطور في النصف الثاني لهذا القرن وشعر العلماء بحدود امكاناتهم وتخلوا عن المواقف المناوئة للدين ، وبذلك أصبح العلم الى التواضع أقرب ومن الصلف أبعد .

---

(١) لا يتطلب اليقين أدلة منطقية كلامية كما يتوهم البعض وانما يكفي في ذلك لعامة الناس الدلالة الظاهرة الكونية على وجوده تعالى وأما من أراد التوسع في ذلك لزيادة تيقن ، أو للدعوة الى الايمان باعتبار أن القرآن يسع كل حقيقة علمية اكتشفت أو ستكتشف فهذا هو الذى يرغب فيه القرآن الناس .

(٢) سورة الاسراء الآية ٣٦ .

(٣) سورة يونس الآية ٣٦ .

وهكذا يعود العلم الى الايمان بالغيب بعد أن ثبت لدى العلماء الغربيين أن ما يشاهدونه من أجسام كثيفة لا يتعدى ثلاثة من مائة أما الأجزاء السبعة والتسعون الباقية فلن يستطيعوا مشاهدتها أبدا .(١)

ولما كان فى الكون أشياء لا تشاهدها عمد العلماء الى اعتبار الاستنباط من وسائل المعرفة الى جانب الملاحظة.(٢) ولعل ملاحظة العقاد رحمه الله حول أعظم خدمة قام بها العلم فى مجالها ، حيث قال عن العلم " انه قاد الانسان الى فكرة عن الله أنبل وأسمى وفتح للانسان آفاقا جديدة وحفزه الى غاية جهده العقلى . فاذا به فى كثير من الأحيان لا يجد السلام الا حيث يتجاوز مدى الفهم فيحصل له اليقين فى الله والاطمئنان اليه "(٣)

وهذه حقيقة يقررها القرآن على ثقة من صحتها ، وهى اليوم واضحة جلية بعد محاولة تحديد موضوع الدين الالهى الحق وموضوع العلم العصرى فيتضح أنّ موضوعهما واحد وهو الكون كله بما فيه الانسان ، الا ان القرآن العظيم ، الذى بين أيدينا اليوم والثابت توثيقه ، يبحث موضوع الكون كله

---

(١) لقد قضت نظرية (الثقب الأسود) BLACK HOLE THEORY على النظريات المادية التى كانت سائدة فى القرن التاسع عشر الميلادى حيث أصبح ثابتا أنه لا يمكن مشاهدة كثير من الأشياء فى الكون . وحيد الدين خان : وجوب تطبيق الشريعة الاسلامية ص٢٩٧

(٢) المصدر السابق ص ٢٩٩ (بتصرف)

(٣) عباس محمود العقاد : عقائد المفكرين فى القرن العشرين ص ١١

ليبين دلالته على الخالق ، وعلى صفات الخالق ، وعلى مصير الكون والانسان وليتعلم المخاطبون طرق التعامل مع الكون ومع مبدعه حتى يسلكوا خير السبل وأقومها فى هذا التعامل .

بخلاف العلم الذى أصبح مدلوله أضيق وأدق منذ القرن الثامن عشر فهو يبحث حصيلة التجارب ونتيجة المحاولات لكشف أسرار وجزئيات الكون المادى ، ثم استخدام ذلك وتسخيره للانتفاع به .

ويرى أكثر العلماء " أن العلم سلسلة من التصورات الذهنية ، والمعانى المجردة مترابطة متواصلة هى نتاج حدثين الملاحظة والتجربة بحيث تلد الفكرة فكرة وتؤدى التجربة الى تجربة بصورة متطورة مستمرة "(١)

وعلى هذا يكون العلم جزءا من الدين لأن موضوع العلم هو جزئيات الكون التى تندرج فى الموضوع الكلى وهو الكون كله ، الذى يشمل حقيقة اثبات وجود الله ووحدانيته ، حقيقة وجود عوالم أخرى كالملائكة والجن وحقيقة الحياة الأخرى فى دار الجزاء .

فهذه القضايا وان كان العلم لا يستطيع اثباتها بالتجربة والمشاهدة الحسية الا أنه يستطيع اثباتها عن طريق الحكم العقلى المهتدى والمستشهد باسرار الكون ذلك أن العلماء المعاصرين يلجأون الى الحكم العقلى نفسه حين يريدون اثبات وجود شىء ما وهو نفس المسلك ، الذى نتبعه فى اثبات وجود الخالق المدبر المبدع المصور .

---

(١) جيمس كوناك : مواقف حاسمة فى تاريخ العلم ص ٤٦ (بتصرف)

ومن هنا يلتقى العلم الحديث بالقرآن العظيم ، ولا يتصور بينهما خلاف الا فى طريقة البحث أما موضوعه فواحد عند الاثنين ، اذ هما يهتمان معا بالانسان والكون المادى ، وقد امتد العلم فى هذا العصر الى ما وراء الطبيعة وبحث حدوث العالم وأكوان أخرى لا ترى ، وبذلك زاد اقترابه من القرآن الكريم .

واذا كان العلم هو ما تقتنع النفس عن طريق التجربة والمشاهدة الحسية فى جزئيات المادة والطاقة ، فهذا ولا شك جزء من أنواع العلم بمفهومه الواسع وهو اليقين ، وأما القرآن فكتاب هداية ، والهداية تقتضى علما ، بل الهداية استجابة للنظر فى الآفاق والأنفس حتى يتبين لنا الحق فالعلم نتيجة لدعوة القرآن بالتفكر وتفصيل لما أجمله .

وطبقا لهذا المفهوم كان عنوان هذه الرسالة :

" منهج القرآن والعلم فى إثبات الألوهية "

فالمنهج هو الطريق الواضح الذى سلكه القرآن العظيم ولم يغادر فيه صغيرة ولا كبيرة الا احصاها والعلم جزء من الدين كما سبق بيانه ، ولذا جاز عطف العلم على لفظ القرآن ، باعتبار أن العلم عطف تفصيل على الاجمال فى اسم القرآن وهو جائز كما فى قوله تعالى :

" من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين " (١)

فجبريل وميكال من الملائكة وهما عطف مفصل على مجمل .

ولذا لزم ذكر العلم بدون تخصيصه بعصر معين لأننا لا نأخذ نظريات كدليل على وجود الله تعالى تنتهى بانتهاء زمنها ، ولكن نستدل بما يثبت ويدوم لأن هذه عقيدتنا الدائمة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ..

---

(١) سوره البقرة الآية : ٩٨

الباب الاول

وجود الله
بين الفطرة والدليل

وجود الله بين الفطرة والدليل

هل فطر الناس على معرفة الله عز وجل ؟ أم لا بد لهم من اتخاذ أدلة خارجية توصلهم الى العلم به ؟

ان أجهنا بأن معرفته سبحانه موجودة فى قلوب (١) خلقه - بقطع النظر عن الأدلة الخارجية - فهل يعنى هذا أن توحيد

---

(١) اختلف العلماء فى مكان القوة العاقلة ، هل هي القلب أو المخ ، ومما لا شك فيه أن هناك علاقة قوية بين القلب والمخ ، فاذا كان المخ هو مركز الأعصاب جميعا وهو أداة العقل نفسه لأنه أشبه شيء بمحطة اتصال كهربائية (DONNER LA COMMUNICATION) يستقبل الرسالات ويجيب عليها بصفة مستمرة ، فان القلب هو المضغة التى تدفع الدم خلال جميع أجزاء الجسم ومن ضمنها المخ باعتباره مدانا للقلب بالحياة كسائر الأعضاء كما يراد به العقل ، قال صلى الله عليه وسلم : " ألا ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب " ، رواه البخارى فى " الايمان " ، ومسلم فى المساقاة ١٠٧ ، وابن ماجة فى " الفتن " ، ويقول تعالى : (افلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أوآذان يسمعون بها فانها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التى فى الصدور) سورة الحج الآية ٤٦ .
فاهتداء بالقرآن واتباعا لحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم استعملت لفظ (قلوب) عوضا عن (عقول) .

الألوهية (١) له مكان طبيعى فى نفوس البشر ينسجم مع طبيعة عقولهم كمفكرين ؟

وان أجبنا بأن مسألة العلم بالله استدلالية ، فلماذا اذن دامت هذه المعرفة بالاله ؟ ألا يدل ذلك على أن الاعتقاد بوجود خالق عالم مدبر لهذا الكون مسألة صادقة - هذه أمور علمية ما تزال موضع اهتمام متزايد لدى المفكرين وللبحث فيها بدقة وموضوعية علينا :

أولا : أن نعين معنى محددا بالنسبة لاسم الجلالة (الله) فأى موجود يكون الاله الذى نقصده ، فقد استعملت كلمة (الاله) فى كثير من الأحايين فى غير محلها لتدل على كثير من الأشياء . (٢)

---

(١) توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية ، وتوحيد الاسماء والصفات وهو المطلوب شرعا ، وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره وهو أول دعوة الرسل وآخرها .

(٢) كان قدماء اليونانيين يسمون الأنفس والأرواح (آلهة) كما أن (اسقليبيوس) و ديونوسيوس) انسانان ثم تألها لأن أحدهما علم الاغريق الطب ، والآخر علمهم صناعة الكروم ، ويطلق أسم كثيرة لفظة الالهة على كثير من المخلوقات كالأصنام والنبات والحيوان والجبال والكواكب" أنظر كتاب البيرونى فى تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة ص ٢٥ وما بعدها " وقد وصل الحال فى هذا العصر الى اتخاذ النظريات والقوانين المادية آلهة تعبد " أنظر كتاب : مشاكل الالحاد للكلود تراسمونتان "

ثانيا : ما الفطرة التى يعنيها القرآن المجيد وماذا فسرتها الأحاديث الشريفة ، وهل ثمة فرق بينها وبين السجية والغريـــــزة أو الطبيعة ؟ وهل هي نوع من أنواع المعارف ؟

ثالثا : ما هى محاولات اثبات وجود الله باستعمال الدليل ؟

الفصل الأول

اسم الجلالة : الله

الفصـــل الأول

اسـم الجلالـة (اللـــــه)

لفظ (الله) اسم عربي أصيل [1] أصله (الاه) على وزن فعال بمعنى مفعول لأنه مألوه ، أي معبود ، كقولنا امام فعال بمعنى مفعول لأنه مؤتم به ، فلما ادخلت عليه الألف واللام (للتعظيم) [2] أو (للتعريف) [3] صار الاله فحذفت منه الهمزة تخفيفا لكثرته

---

(١) ستأتي مناقشة من يزعم أنها لفظة عبرانية أو سريانية في هذا الفصل .

(٢) الفخر الرازي : التفسير الكبير جـ ١ ص ١٦٣ .

(٣) يراجع رد ابن تيمية على المنطقيين الذين يمثلون " للكلي " بلفظ الاله ، ولفظ الشمس ، حيث يريدون " بالكلي " ما لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه وانما امتنعت الشركة فيه لسبب خارجي فانحصر نوعه في شخصه لا لمجرد تصور معناه قال ابن تيمية : انما يصح هذا اذا كان لفظ (الاله) ولفظ (الشمس) اسم جنس ، بحيث لا يقصد به الشمس المعينة ولا الاله المعين المعروف فان الكلي عندهم مثل اسم الجنس عند النحاة ، وقال أيضا : والناس لا يقصدون بلفظ الشمس الا الشمس المعينة واللام فيها لتعريف العهد لا للجنس كما قال تعالى : (هو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) الأنبياء آية ٣٣ ، فسمى الشمس والقمر هنا جزئي لا كلي بخلاف لفظ " الكواكب " و " النجم " ونحو ذلك فانه كلي ، وكذلك اسم (الاله) عند المسلمين انما يريدون به (المعبود) وهو (الله) (لا اله الا هو) الرد على المنطقيين ص ٣٢٧ .

فى الكلام فاجتمع لامان فادغمت الأولى فى الثانية فقالوا : الله [١] .

وجوز البصريون [٢] أن يكون (لاه) التى تعنى تستر أصل اسم الله تعالى واستدلوا على ذلك بقول الشاعر [٣] :

كَلِمْعَةِ من أبى رباح [٤] يسمعها لاهُهُ الكُبار

أى الاهه فجرى مجرى الاسم العلم كالعباس والحسن ، الا أنه يخالف الأعلام من حيث كان صفة [٥] .

وأما فعل " أَلَهَ " بالفتح إلاهَةً فمعناها عبد عبادة ، ومنه قراءة ابن عباس [٦] رضى الله تعالى عنهما : (ويذرك والاهتك) [٧] أى وعبادتك .

---

(١) الجوهرى : اسماعيل بن حماد : الصحاح باب الهاء فصل الألف وهو قول الكوفيين ، ويراجع كذلك الرازى : التفسير الكبير جـ ١ ص ١٦٢ .

(٢) وكذلك قول معاوية عمرو بن عثمان بن قنبر رئيس مدرسة البصرة ت ١٨٠ هـ (المدخل إلى تذوق الشعر العربى)

(٣) الأعشى : هو ميمون بن قيس يعرف باسم الأعشى ولقب بصناجة العرب نظرا لجودة شعره ورغم أنه أدرك الاسلام الا أنه يشك فى اسلامه وفى صحة ما نسب اليه من شعر فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم أنظر ديوان الأعشى تحقيق فوزى عطوى ط الشركة اللبنانية للكتاب ١٩٦٨

(٤) فى اللسان كدعوة من أبى كبار .

(٥) الجوهرى : الصحاح باب الهاء فصل اللام .

(٦) هو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه عبد الله بن عباس ابن عبد المطلب ترجمان القرآن وحبر الأمة " ت ٦٨ هـ " .

(٧) الآية من سورة الاعراف وهى قوله تعالى (ويذرك وآلهتك) الآية ١٢٧ تراجع كتب التفاسير عند تفسير هذه الآية

اسم اللـه والتوحيـد :-

وإزاء هذا الاختلاف بين الباحثين فى مادة اشتقاق اسم الله تعالى بحسب اللغة (١) هناك من يقول بأنه اسم جامد وأنه لو كان لفظه مشتقا لكان معناه كليا لا يمنع نفس مفهومه من وقوع الشركة فيه لأن اللفظ المشتق لا يفيد الا أنه شىء مّا حمل له ذلك الاشتقاق منه وعلى هذا الاعتبار لا يكون قولنا : (لا اله الا الله) موجبا للتوحيد الحق وهو ما لم يقل به أحد . (٢)

---

(١) هناك من يقول ان (الاله) مشتق من (الَهَتْ) الى فلان أى سكنت اليه ، والعقول لا تسكن الا الى ذكر الله والأرواح لا تفرح الا بمعرفته ، ومنهم من يقول : انه مشتق من (الوله) وهو ذهاب العقل ، والخلق قسمان : تائهون فى سيادين الصمدية وتائهون فى الجهالة فثبت أن الخلق كلهم والهون فى معرفته وأن الاله الحق هو هو ، ومن يقول : مشتق من (لاة) اذا ارتفع ، والحق سبحانه هو المرتفع عن مشابهة الخلق ، ومن يقول : انه من (اله) فى الشىء اذا تحير فيه ، لأن كل ما يتخيله الانسان عن الله فهو خلافه ، أو (ألهّ) بمعنى : فزع من أمر نزل به فألهه أى اجاره ، والله يجير كل الخلائق من كل المضار ، قال تعالى : (وهو يجير ولا يجار عليه) سورة المؤمنون آية ٨٨ الفخر الرازى : التفسير الكبير ج١ من ص١٥٦ الى ص١٦٤ .

(٢) من الذين يقولون بعدم الاشتقاق الامام الشافعى (محمد بن ادريس ت ٢٠٤ هـ) وامام الحرمين الجوينى (أبو محمد عبد الله بن يوسف والد الامام أبى المعالى ت ٤٣٨ هـ) ، والغزالى (أبو حامد بن محمد ت ٥٠٥ هـ) واختار ذلك الفخر الرازى صاحب التفسير الكبير (أبو عبد الله محمد بن عمر القرشي الطبرستانى ت ٦٠٦هـ) ونسبه الى أكثر الأصوليين والفقهاء وقال هو قول الخليل بن أحمد الفراهيدى ت ١٧٠هـ أو ١٧٥ هـ) وسيبوية ولعلها رواية عنهما اذ المشهور انهما يقولان بالاشتقاق أنظر الجوهرى الصحاح مادة (اله) والمصباح المنير (الألف مع اللام وما يثلثهما) .

والمنتبع لمباحث القائلين بالاشتقاق أو النافين له يجد مقصدهم واحدا وهو التوحيد المحض باعتبار أن قولنا (الله) علم على ذاته تعالى وحده لا يدخل معه غيره البتة .

والذى يبدو أن اسم(الله) تعالى مشتق ، وهذا الاشتقاق لا يستلزم مادة يشتق منها فهذا غير وارد لأن اسمه عز وجل قديم ، والقديم لا مادة له ، وانما المراد بالاشتقاق هنا ان اسم(الله) دال على صفة له سبحانه وهى (الألوهية) أى أنه مألوه بمعنى معبود ، فاشتق هذا المعنى من لفظ (اله) على ما سبق بيانه فى طلعة المبحث وهو ما ذهب اليه ابن قيم الجوزيه [1] بقوله : " لا ريب أنه ان اريد بالاشتقاق هذا المعنى وأنه مستمد من أصل آخر ، فهو باطل ، ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى ولا ألم بقلوبهم وانما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى وهى الالوهية كسائر أسمائه الحسنى : كالعليم ، والقدير ، والغفور ، والرحيم ، والسميع ، والبصير ، فان هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب ، وهى قديمة والقديم لا مادة له فما كان جوابكم عن هذه الاسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسم الله تعالى ثم الجواب عن الجميع انا لا نعنى بالاشتقاق الا أنها ملاقية لمصادرها فى اللفظ والمعنى لأنها متولدة

---

(١) ابن قيم الجوزيه شمس الدين محمد بن أبى بكر الدمشقى ت ٧٥١هـ.

منه تولد الفرع من أصله وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلا وفرعا ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر وانما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة " (١) .

وقد ورد في القرآن الكريم وصف (الله) تعالى باعتبارات مختلفة باعتبار ذاته ، وباعتبار صلته بمخلوقاته عامة والانسان خاصة وباعتبار علاقة الانسان به سبحانه وتعالى . (٢)

فهو سبحانه باعتبار ذاته يتصف بصفات تدل على أنه واسع القدرة غني بنفسه ، أزلي محيط بكل شيء ، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن والقيوم والغني والقادر واللطيف والحكيم والسميع والبصير والملك والقدوس ونور السماوات والأرض الى غيرها من الصفات الدالة على أنه الغني بنفسه عن كل شيء .

وأما وصفه باعتبار صلته سبحانه بمخلوقاته عامة والانسان خاصة فهو الخالق المطلق ، والمدبر لكل أمر ، والمالك الأحد الذي لا قوة ولا سلطان غير سلطانه فهو الخالق والمبدئ والمعيد

---

(١) بدائع الفوائد جـ ١ ص ٢٦ .

(٢) د . محمد المهي : الجانب الالهي في التفكير الاسلامي ص ٤٠ وما بعدها .

والبارئ والمصور والمحي والمميت والوارث والباعث والولي والجبار ومالك الملك والغفار والحليم وغيرها من الصفات التي تصور الربوبية الكاملة .

وأما وصفه تعالى باعتبار علاقة الانسان به فهو تصوير لاحتياج العبد - كيفما كانت قدراته - الى أن يرزقه الله ، ويهديه ، ويجيب دعواته ، ويحاسبه ، ويعفو عنه ، فهو الهادي ، والوكيل ، والوهاب ، والرزاق ، والمجيب ، والمعطي ، والحسيب عليه . (١)

ومعنى هذا أن اشتقاق أسماء الله الحسنى من الصفات العليا.

دال على الذات والصفة التي اشتق منها معا ، ولكل من الصفة والاسم لوازم يدل عليها الالتزام كدلالة الرحمن على الاحسان والانعام ودلالة الحكيم على الاتقان والنظام .

الله : الاسم والمسمى : -

وأما اسم الجلالة (الله) فانه يدل عليها كلها ، وعلى لوازمها الكمالية وعلى تنزهه تعالى عن جميع النقائص ، وهو مختص به وحده دون سواه ، ولذا نجد عرب الجاهلية لا يعرفون في

---

(١) هذا الاعتقاد في الله سبحانه وتعالى كان واضحا عند الرسول صلى الله عليه وسلم وعند صحابته رضي الله تعالى عنهم وكذلك عند عامة السلف ، ولكنه لم يرد عنهم تقسيم صفاته سبحانه حسب الاعتبارات المذكورة الا أنه لا خلاف في كونها ملحوظة في القرآن وأنه سبحانه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .

لغتهم اسما خاصا بخالق السماوات والأرض وكل شيء غير الله فاذا سئل الواحد منهم من خلقك أو من خلق السموات والأرض يقول (الله) ، قال تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون)[1].

وقال البيرونى [2] : " من الألفاظ ما يسمح [3] فى دين دون دين ، ويسمح به لغة وتأباه أخرى ، ومنها لفظة التأله فى دين الاسلام فانا اذا اعتبرناها فى لغة العرب وجدنا جميع الاسامي التى سمى بها الحق المحض متجه على غيره ما سوى اسم الله فانه يختص به اختصاصا قيل له انه اسمه الأعظم " [4]

وفى التفريق بين اسم الجلالة كلفظ وبين المسمى كذات يقول شارح الطحاوية [5] : " الاسم يراد به المسمى تارة ويراد به اللفظ الدال عليه اخرى ، فاذا قلت : قال الله كذا أو سمع الله

---

(١) سورة العنكبوت الآية ٦١ .

(٢) هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى ت ٤٤٠ هـ .

(٣) ما لم تكن فيه ملاحمة .

(٤) البيرونى : فى تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة ص ٢٧ .

(٥) شارح الطحاوية هو الامام على بن محمد بن العز الحنفى " ت ٧٩٢ هـ " ، والطحاوى هو أبو جعفر أحمد بن محمد ابن سلامة بن سلمة بن عبد الملك بن سلمة الأزدى الطحاوى (٢٣٩ هـ - ٣٢١ هـ) وهو صاحب العقيدة الطحاوية ومعانى الآثار ومشكل الآثار .

لمن حمده ونحو ذلك فهذا المراد به المسمى نفسه ، واذا قلت : الله اسم عربى والرحمن اسم عربى والرحيم من أسماء الله تعالى ونحو ذلك فالاسم ها هنا هو المراد لا المسمى ، ولا يقال غيره لما في لفظ الغير من الاجمال ، فان أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق ، وان أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له حتى خلق لنفسه أسماء أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم فهذا من أعظم الضلال والالحاد في أسماء الله تعالى . (١)

خصائص اسم الله :-

ثم إن شهادة أن لا اله الا الله التى تخرج قائلها من الكفر وتدخله في الاسلام لا تصح الا بلفظ (الله) دون غيرها ، فلا يقال مثلا : لا اله الا الرحمن أو الا الملك أو الا القدوس ، لأن هذا لا يحقق التوحيد المحض ، وانما التوحيد يحصل بالاقرار الكامل لأعرف المعارف على الاطلاق ، وجامع معانى الأسماء الحسنى كلها .

وفى التعريفات (٢) : " الله علم دال على الاله الحق دلالة جامعة بمعانى الأسماء الحسنى كلها " (٣) .

---

(١) شرح الطحاوية ص ١٢١ .

(٢) و (٣) كتاب التعريفات للشريف الجرجانى (محمد بن على ت ٨١٦ هـ) . باب الألف ص ٣٥ .

وهذا مصداق قوله تعالى : (هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم) (١)

فقد اجرى سبحانه وتعالى الاسماء الباقية كلها صفات لكلمة الله لشرف اختصاصها بالتوحيد ، وغيره من الخصائص المعنوية التي قال فيها أعلم الخلق به صلى الله عليه وسلم : " لا احصي ثناء عليك أنت كما أثنيت علي نفسك " (٢) .

وأما الخصائص اللفظية لاسمه تعالى فقد تتبعها العلماء وأحصاها بعضهم بعشر (٣) وبعضهم بأقل (٤) من ذلك ، وهذا يدل على أنها عربية الأصل ، اذ الخصائص اللفظية لاي كلمة لا تستمد الا من أصل وضعها في لغتها التي جاء على أساسها النطق وهو ما يدفع شك محرري دائرة المعارف الاسلامية التي جاء فيها قولهم :

---

(١) سورة الحشر الايات ٢٢ - ٢٤ .

(٢) الحديث في صحيح مسلم كتاب الصلاة باب ما يقال في الركوع والسجود رقم ٢٢٢ وفي مسند أحمد جـ ١ ص ٩٦ - ١١٨ ، ١٥٠ ، وكذلك جـ ٦ ص ٥٨ .

(٣) كابن القيم : أنظر تيسير العزيز الحميد ص ٢٠ .

(٤) كالفخر الرازي في التفسير الكبير ص ١٦٣ .

" وهذه الكلمة "(أى الله) اما أن تكون من أصل عربى صحيح ، واما أن تكون ارامية مشتقة من كلمة (الاها) ومعناها (الله)"(١) كذلك لا يمكن أن يكون اسم (الله) عبريا أو سريانيا ، اذ لو كان كما يدعون (٢) لما تم للعلماء احصاء خصائصه اللغوية العربية " .

اسم (اللـه) عربـى :-

ثم ان استعارة كلمة (الله) من لفظ (يهوه) (YAHWE) المقابلة (٣) لها عند اليهود غير صحيح البتة لاختلاف بنية الكلمتين وكذلك لا يمكن أن تنحت من كلمة (الوهيم) (٤) (ELOHIM)

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية المجلد الرابع ٢٤٤ .

(٢) ذكر ذلك الرازى قديما حيث قال عن بعضهم : " انهم يقولون : ان هذه اللفظة ليست عربية بل عبرانية أو سريانية وان العبرانيين يقولون : الها رحمانا ورحيانا فلما عرب جعل الله الرحمن الرحيم ، وهذا بعيد " التفسير الكبير جـ ١ ص ١٦٣ .
وكذلك يدعى الذين يحاولون احتواء ثقافتنا وقيمنا فى العصر الحاضر أنظر العبرية والعربية أيهما الأصل لخالد مصباح مظلوم ، والثنائية فى اللغة لمصطفى جواد .

(٣) التعبير بلفظ المقابلة لها عند اليهود هو تعبير دائرة المعارف الاسلامية حيث تقول عن كلمة الله وهي تقابل كلمة (يهوه) عند اليهود لا كلمة (الوهيم) جـ ٤ ص ٢٤٦ .

(٤) يرى الدكتور / على العنانى فى مقدمة كتابه (الاساس فى الامم السامية ولغاتها) : ان بلاد العرب فى وسط الجزيرة العربية وجنوبها هى المهد الأول للأمم السامية ، اذ فيها

===

. . . . . .

=== نشأت الجماعة السامية الأولى فى العصور القديمة المظلمة وعرفت فيها منذ فجر التاريخ وهو يرى استنادا الى ذلك أن الساميين جميعا هم من الأصل العربى ، وأن لغتهم ترجع الى لغة عربية قديمة هى اللغة السامية الأولى وأن منزلة اللهجات السامية من اللغة العربية هى منزلة الفروع الدانية من الأصل كذلك استطاع الاستاذ صباح مظلوم من خلال تدريسه للغة العبرية وبعد مقارنته لها باللهجات العامية العربية التوصل الى حقائق علمية تبرهن بالدليل القاطع أن اللغة العربية هى الأصل وأن العبرانية أو (العبرية) هى احدى اللهجات العامية التى استقلت على مر العصور كلغة قائمة بنفسها خاصة ببنى اسرائيل وعرض قوائم بكلمات عربية وعبرانية تثبت بالدليل القاطع أن اللغة العربية هى الأصل وأن العبرانية هى الفرع ، فالكلمة العربية أضخم وأكبر وأطول بحروفها وحركتها ، والكلمة العبرية اصغر بحروفها وحركتها من الكلمة العربية الأم ، بل هى مختصرة منها الا ما ندر ، ومن الأدلة على ذلك قولهم :

طبع :	تعنى فى اللغة العربية	طبيعة
بت :	تعنى فى اللغة العربية	بنت
امون :	تعنى فى اللغة العربية	أمانة
أف :	تعنى فى اللغة العربية	أنف
حطه :	تعنى فى اللغة العربية	حنطة
بمره :	تعنى فى اللغة العربية	بقرة
ال :	تعنى فى اللغة العربية	الى
عل :	تعنى فى اللغة العربية	على

====

. . . . . .

=== أنظر بحث خالد سماح مظلوم العبرية والعربية أيهما الأصل ص ٤٠ وما بعدها من مجلة الخطوط السعودية العدد الأول السنة الثامنة .

ولزيادة بيان خطإ من يزعم أن اسم الله في اللغة العربية مأخوذ من العبرية اسجل ما يلي :

أولا :

ان اليهود يجهلون طريقة نطق اسم ربهم ، حيث ثبت بنصوص كتابهم وفي الواقع المعاش أنهم يطلقون على اسمه الكلمة الرباعية (TetraGRaMMaton أو TetroGRAMME) يعنون بذلك لفظة (يهوه) (YAHWE) التي هي أيضا من أسمائه عندهم ، وتكتب أحيانا (JEHOWAH) باعتبارها اقرب لفظة الى طريقة نطق اسمه ، مع أن نطق اسمه مجهول ، وهي تكتب دون احرف علة ، كما يقول ايزيد واربشتاين في كتابه " اليهودية " أن طريقة لفظ الكلمة الرباعية مجهول ، لذلك يجدر بنا أن نترك التسمية الالهية دون أحرف علة ، ويعلل شاوول ليبرمان SAUL LIBREMAN عميد كلية اللاهوت العبرية في امريكا سبب اندثار طريقة نطق الكلمة فيقول : بسبب تفسير غريب للاصحاح ٢٠ : ٧ من سفر الخروج (ألا تحلف أو تنطق باسم الرب الهك باطلا) ، وكذلك الاصحاح ٢٤ وما يليه من سفر الاحبار (وجدف ابن الاسرائيلية على الاسم فقادوه الى موسى فألقوه في السجن) ، اعتبر الاسم اقدس من أن يلفظ ، أنظر التوراة تاريخها وغايتها لعالم لاهوتي أمريكي الجنسية ترجمة وتعليق سهيل أديب ص ٩٥ طبع دار النفائس بيروت ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

===

. . . . . .

=== وقد استمر اندثار اسم الاله هذا الى العرب اليهود المعاصرين فلا يتداولونه ابدا بينهم ، وعندما يتكلمون بالعربية ولاسيما المتدينين منهم ويضطرون الى استعمال اسم ربهم يستبدلونه بكلمة (القدرة) أو (الحق) اذ يقولون مثلا : (لما ظهرت له القدرة أو لما تجلى له الحق) ، الدكتور أسد رستم " الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد علي باشا ص ٢٩ وما يليها .

فاذا كان اليهود يحرصون بشدة على اخفاء اسم الههم بهذه الطريقة العجيبة وطوال فترات التاريخ فاننا نستبعد أيضا أن يكون لاسم الجلالة (الله) أية صلة بالاسم الوهيم (ELOHIM) أو يهوه (YAWA) اذ من أين للعرب أن يأخذوا كلمة لا تنطق ابدا ولغتهم لغة سماع وفصاحة كما هو ثابت في تاريخها .

ثانيا :

لا يسمح اليهود لغيرهم بتسمية ربهم اله اسرائيل الأوحد اذ هو لهم وحدهم دون سائر الأمم كما يقول ذلك سفر تثنية الاشتراع ٧ : ٦ (لانك شعب مقدس للرب الهك واياك اصطفى الرب الهك أن تكون له امة خاصة من جميع الأمم التي على الأرض) وهو ما أرجحه كسبب لاندثار طريقة نطق اسم ربهم لا بسبب تفسير غريب للاصحاح أو تقديس للاسم الأعظم اذ عرف اليهود منذ فجر التاريخ بانحرافاتهم وبالانغلاق على معتقداتهم العنصرية حيث لا يقبلون في سفوفهم أي انسان (امي) اذن فكيف نتصور أنهم يغفلون عن اسم ربهم ليسمي به العرب معبودهم فهذا لن يقع منهم أبدا .

===

. . . . . .

=== ثالثا :

قد تكون أسماء الله تعالى التى جاءت فى الوصية الأولى أو فى التوراة ليست فى اللغة العبرية فى شىء ، وانما جاء من مصادر وحضارات متباينة ، فقد تكون الوهيم جاء من الكلدانية كما يقال ، أو من الحضارة اليونانية القديمة والتى عرفت بالهلينية (HELINIISM) ويهوه (JEHOVAH) تحنتت من حضارة (جوديا) (Judea) المقاطعة الرومانية فى الشرق الأوسط ، فقد أراد جوزيف فلافيوس فى القرن الأول الميلادى مقارنة حضارة منطقة جوديا فى عهد المسيح مع الهلينية فكتب عن تعاليم اليونان والرومان وبين تباينهما وهو الذى ابتكر مصطلح اليهودية (Judaism) لكى يثيرها ضد الهلينية ويورد القس (هانس كينغ) (HANS KUNG) الكاثوليكي الاستاذ بجامعة توبانغين (TUBINGN) الألمانية والمعروف ببحوثه الواضحة والنزيهة نقولا عن دراسات علمية حول حقيقة فكرة وجود (الله) عند اليابانيين فيذكر فى معرض ذلك أن الاختلاف فى اسم الله لدى اليهود مرجعه أيضا الى اختلاف المصادر عندهم فيقول : " هذه الثنائية فى أسماء الله والتى توجد أيضا فى الوصية الأولى " يهوه " ، و " الوهيم " تدلنا على الفرق بين مختلف مصادر موسى الخمسة (PENTATEUQUE) اذ لا شك أنهما ترجمتان لشعائر من أصل مجموعتين عرقيتين) عن كتاب (هل الله موجود) ص ٦٨٢ طبعة سوى ١٩٨١ م باريس مترجم من الألمانية الى الفرنسية

HANS KÜNG : Dieu existe-t-il ? p 682
TRADUIT DE L'ALLEMAND PAR JEAN LOUIS SCHLEGEL ET JUSTUS WALTHER. EDITIONS DU SEUIL 1981 PARIS

العبرية ، لأن القاعدة فى اللغة العربية أنها اذا استعارت كلمة من لغة أخرى اما أن تأخذها كما هى أو تزيد عليها حرفا أو حرفين ولا تنقص ، "ولفظة الوهيم العبرية لا تتحمل النقص ولا الزيادة لكن القرابة فى اللغة السامية تجعل للكلمات فيها بعض التشابه فى النطق (١) " ، ثم إن اسم (الله) "عريق فى القدم

=== فهذا لا شك يدفعنا الى القول بأن كلمتى (الوهيم) ، و (يهوه) ليستا عبريتين ، وكذلك (آدون) و (آدناوى) فلعلهما مأخوذان من (آتون) الفرعون المشتق منه اسم الفرعون (آخنتون) أو من الاله (آتون) الموجود فى شمال سوريا (أنظر موسى والتوحيد لقاليمارd باريس) (GLIMARd : Moïse et MONTeiSé)

أما ايل الذى يستعمل غالبا مع صفة مثل (ايل عليون) أى الله العلى ومثل اسرائيل الذى جاهد مع الله أو أمير الله (تكوين ٣٢ - ٢٨) فالظاهر أنها من الكلدانية اذ يقال فى هذه اللغة لله (ال) أو (الو) ومنه (باب ال) البابل أى باب الله ، (وكرب ال) لكربلاء أى قرب الله لقربها من بابل .

(١) د . أحمد بكير الله فى العقيدة الاسلامية النشرة العلمية للكلية الزيتونية ص (٥) العدد الأول ١٩٧١م .

اعتقد المستشرق (درنبوغ) انه رآه في رقيم مصيني قديم ، وفي نقوش صفا ورد الاسم هكذا (هلاه) وذلك قبل بزوغ الاسلام بخمسة قرون (١) .

وفي اللغة العربية القديمة يقال : لله عز وجل (الإِل) بالكسر (٢)

ومنه شعر امرئ القيس (٣) :

لِمَنْ زَحْلُوفَةٌ زُلٌ بها العينان تَنْهَلُ

ينادي الاخر الا ل الا حلو الا حلوا (٤)

ويكثر ذكر اسم الله في الأدب الجاهلي شعرا ونثرا باعتباره خالق الأشياء كلها ومدبرها والواقي الحقيقي من المحن والمصائب

قال افنون التغلبي : (٥)

لعمرك ما يدري الفتى كيف يتقي اذ هو لم يجعل له الله واقيا (٦)

---

(١) فيليب حتى : تاريخ العرب ج ١ ص ١٤١ .

(٢) الجوهري : الصحاح باب اللام فصل الألف .

(٣) هو امرؤ القيس بن حجر بن عمرو الكندي ، شاعر جاهلي من أهل نجد بالجزيرة العربية وصاحب معلقة (قفا نبك) .

(٤) هذان البيتان من قافية اللام في ديوان امرئ القيس وقد وردت زحلوقة (بالقاف) وهي الزلاقة أو الأرجوحة ، وأما (الال) فان رويت الهمزة مكسورة (لال) فانها تعني الله ، وان رويت مفتوحة فتضمن الأول . ديوان امرئ القيس ص ١٥٤ .

(٥) افنون التغلبي اسمه صريم بن معشر وهو شاعر جاهلي . الجوهري الصحاح باب الهاء فصل الألف

(٦) الجوهري الصحاح باب الهاء فصل الألف .

وكذلك لا تخفى عنه خافية ، قال زهير بن أبى سلمى [1] :

فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم ليخفي ومهما يكتم الله يعلم [2]

تعدد الآلهة يستلزم تعدد الخالق : -

وأما ما حمل عرب الجاهلية على عبادة الأصنام فظنهم أنها تشفع لهم عند الله ، قال تعالى حكاية عنهم : (وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) [3] ، وكانوا اذا حجوا يقولون فى تلبيتهم : (لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك) [4] .

وهذا هو انحراف المشركين قديما وحديثا الذى بعثت من أجله الرسل جميعا [5] صلوات الله وسلامه عليهم ، اذ المعبود المألوه لذاته بحق هو الله سبحانه وتعالى مستلزم صفات الكمال وله الدين الخالص [6]

---

(١) هو زهير بن أبى سلمى المزيني أحد أصحاب المعلقات .

(٢) جاء هذا البيت فى معلقته التى أولها :
أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانه الدراج فالمتثلم
(أنظر الزوزنى : أبو عبد الله الحسين بن أحمد) شرح المعلقات السبع .

(٣) سورة الزمر آية ٣ .

(٤) أنظر ابن اسحاق فى سيرته المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازى

(٥) ركز القرآن الكريم على فكرة رئيسية وهى أن الدين واحد وأن الرسل يعززون بعضهم بعضا وسيأتى بحث هذه المسألة فى مبحث : " نظام الاقناع القرآنى " .

(٦) أى لا يقبل من العمل الا ما أخلص فيه النية لله وحده لا شريك له وهو التطبيق العملي لشهادة أن لا اله الا الله .

بخلاف عبادة غيره فيوجب الفساد ، قال تعالى : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون) [1] .

قال أهل النحو (الا) هنا بمعنى غير أى لو كان يتولى السماوات والأرض ويدبر أمورهما (شيء) [2] آخر غير الله الأحد الذى هو فاطرهما لفسدتا [3] ، وهذا نظير قوله تعالى : (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) [4] ، لقد دلت الايتان السابقتان وغيرهما من الآيات الأخرى [5] على عدم تعدد الآلهة

---

(١) الأنبياء الآية ٢٢ .

(٢) عبر الرازى (بشيء) آخر عوضا عن الآخر باعتبار أن صفة الالهية لا يستحقها الا الله الأحد .

(٣) الفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ٢٢ ص ١٥٠ .

(٤) سورة المؤمنون آية ٩١ .

(٥) كقوله تعالى (والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم) البقرة آية ١٦٣ ، فقد صرح بالوحدانية هنا وفي مواضع أخرى كثيرة كقوله (قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به أنظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون) الأنعام آيه ٤٦ ، فهذا نفي للشريك ثم انه لا يعلم الغيب الا هو سبحانه وتعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين) الانعام ٥٩ ، وفي سورة القصص يحكم بالهلاك على كل شيء سواه في قوله تعالى : (كل شيء هالك الا وجهه) القصص آية ٨٨ وفي سبحانه المشريك باثبات أنه الخالق لكل شيء والوكيل عليه (الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل) الزمر ٦٢ ، لذا فهو الأحد السابق على كل الموجودات (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) الحديد ٣ ، وهو : الله الأحد الصمد .. كما ذكر ذلك عن نفسه في سورة الاخلاص

اذ تعددها يستلزم تعدد الخالق ولو تعدد الخالق نتيجة لتعدد الآلهة لحدث الاختلاف والتنازع بينهم حتما فى الخلق والملك ، فأما أن يقدر أحدهما على قهر الآخر ، وينفرد بالخلق والتحكم فى مخلوقاته فان قدر على ذلك انتفت الشركة فى الخلق والتدبير لم يكن الخالق المدبر الا واحدا ، وان لم يقدر على ذلك لتكافىء القوة والقدرة انفرد كل خالق بمخلوقاته يدبرها حسب مشيئته ، ومع انفراد كل واحد بخلقه وذهابه به لا ينتظم أمر العالم ولا يكون فيه هذا الاحكام العجيب والترابط اللطيف هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أنه لو تعدد الاله لوقع الشك ولم نعرف على القطع أى هذه الالهة خلقنا ، ويملك ضرنا ونفعنا ، فتحتار الانسانية أتعبد هذا أم ذاك وهذه الحيرة تفضى الى أحد أمرين :

الأول : أن ندع عبادتها جميعا ، فحينئذ نجزم أننا اسخطنا خالقنا ومالك أمرنا .

الثاني : أن نعبدها كلها وأنى لنا ذلك ، ولا بد أن تختلف الشرائع والمناهج الموصلة الى مرضاتهم تبعا لارادتهم ، فخروج من هذه الحيرة والبلبلة وجب أن يكون المعبود واحدا .

وأما ان حدث الانسان نفسه أن الكل خالقه فعرفان ما يتبين له فساد هذا ، ذلك أن الكل كانوا خالقين له على سبيل الاستقلال بأن يكون خلقه واحد منهم ثم خلقه ثان وهكذا فهذا باطل لأنه من

تحصيل الحاصل

وان اعتقد انهم كلهم خلقوه بطريق المعاونة والمساعدة بأن يعين كل منهم الآخر فى خلقه له وايصال النفع له ، فهذا يجر الى أن لا يكون واحد منهم الها اذ ما دام الواحد منهم لا يقدر على الاستقلال بخلقه وايصال النفع له فهو عاجز ، والعاجز لا يستحق أن يعبد ، ولذلك قال تعالى مستفهما على سبيل الانكار : (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) (١) .

فكونه تعالى واحدا يوجب عبادته لا عبادة الآلهة المقهورة الذليلة التى هى مسميات غير حاصلة فعلا لأنها ليست هى الله حقا . (٢)

التوحيد العملي :-

وهذا هو التوحيد العملي الذى أفسدوه حين جعلوا لله فيه شركاء باطلا لذلك ورد وجوب تقدير الالوهية العزيزة فى ذهن العبودية الذليلة : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) (٣) .

قال ابن عباس : أى إلا ليقروا بعبادتي طوعا وكرها وهو اختيار ابن جرير . (٤) .

---

(١) سورة يوسف الاية ٣٩ .

(٢) الفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ١٨ ص ١٣٩ وما بعدها وراجع ابن رشد فى مناهج الادلة وتعليق الشيخ ابن تيمية ص ٧٠ وما بعدها ود بركات عبد الفتاح دويدار فى كتابه الوحدانية مع دراسة فى الأديان والفرق عند بحثه فى أدلة المتكلمين .

(٣) الذاريات آية ٥٦ .

(٤) ابن كثير تفسير القرآن العظيم جـ ٣ ص ٣٨٧ .

وأما من قال [1] في تفسير (يعبدون) يعرفونني فمعرفة الله تعالى تكون عبادة ، اذا استيقنها القلب وانقاد لها العبد ظاهرا وباطنا وهذا هو الفرق بين من يعرف خالقه سبحانه ويفرده بالتأله والخضوع والذل والحب والافتقار والتوجه اليه وحده دون سواه [2] وبين من لم يعرفه ويشرك في ذاته وصفاته وأفعاله .

ولقد أحسن موسى أبوعمران الفاسي [3] حين أجاب أهل القيروان عن سؤالهم : هل الكفار يعرفون الله أم لا ؟

فقد وقع نزاع عظيم حول هذه المسألة بين العلماء وتجاوزهم الى العامة وكثر التمادي فيها حتى خرج عن حد الاعتدال الى القتال فقال قائل : لو ذهبنا الى أبي عمران الفاسي لشفانا ، فجاء أهل السوق وقالوا : نحب جوابا بينا على قدر أفهامنا فأطرق ساعة وقال : لا يكلمني الا واحد ويسمع الباقون ، ثم التفت الى واحد منهم فقال : أرأيت لو لقيت رجلا فقلت له : أتعرف أبا عمران الفاسي ؟ فقال : أعرفه ، فقلت : صفه لي ؟ فقال : هو رجل

---

(١) هو ابن جريج ، أنظر ابن كثير عند تفسيره للآية المذكورة وكذلك الفخر الرازي .

(٢) أن توحيد الالوهية المتضمن لتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات هو المراد بالتوحيد

(٣) هو : موسى أبوعمران بن عيسى بن أبي حجام الغفجومي الفاسي كانت له رئاسة العلم في القيروان على عهده (ت ٤٣٠ هـ) .

يبيع البقل والحنطة والزيت في سوق ابن هشام ويسكن صبـــــره (١) أكان يعرفني ؟ قال : لا ، فقال : لو لقيت آخر فقلت : هل تعرف أبا عمران ؟ فقال : نعم ، فقلت له : صفه لي ؟ فقال : هو رجل يدرس العلم ويفتي في الناس ويسكن بقرب السماط أكـان يعرفني ؟ قال : نعم فقال : فهما مثال الكافر والمؤمن فـان الكافر اذا قال : ان لمعبوده صاحبة وولدا أو أنه جسم وقصـد بعبادته من هذه صفته فلم يعرف الله ولم يصفه بصفته ولم يقصـد بعبادته الا من هذه صفته ، وهو خلاف المؤمن الذي يقول : ان معبوده (الله الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) (٢) فهذا قد عرف الله ووصفه بصفاته وقصد بعبادته من يستحق الربوبيـة سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، فقامت الجماعـــة وقالوا : جزاك الله خيرا من عالم فقد شفيت ما بنفوسنا ودعوا لـه ولم يخوضوا في المسألة بعد هذا المجلس . (٣)

لقد شفى أبو عمران الفاسي أهل القيروان فحقق لهم الصـــواب في معرفة ربهم ، ولكن من يشفي العقول البشرية كلها فيحقق لهـــا

---

(١) هي ضاحية من ضواحي القيروان .

(٢) سورة الاخلاص .

(٣) الحجوي : محمد بن الحسن : الفكر السامي جزء ٢ ص ٢٠٥/٢٠٦ .

ما حققه أبو عمران : ان هذه العقول تأبى الا أن تفكر وتفكر ولا تهدأ أبدا ، ولو لم تصل الا لبعض غاياتها فهذا خير لها من فواتها كلها .. فأولى بها أن تتحرك لا أن تكون كسيحة ، وهذا ما يدعو اليه القرآن الكريم قال تعالى : (هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (١)

---

(١) سورة النحل الآية ١٠ ، ١١ .

الفصل الثاني

الفطرة

الفصل الثاني

الفطرة

الفطرة في القرآن : -

يحسن بنا ونحن نحاول بيان معنى (الفطرة) [1] أن نتعرض أولا لبيان الحق تبارك وتعالى لها ، حيث يقول عز من قائل : (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) [2]

فمعنى اقامة الوجه للدين الاقبال الكلي عليه بجميع الذات الانسانية وخص الوجه بالذكر لأنه مقدمة الانسان وأفضل شيء فيه وجامع الحواس وآلات الادراك ، والمراد بالدين دين الاسلام لأن الخطاب لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فهو ولا شك مأمور باقامة الدين

---

(١) الفطرة : جاء في لسان العرب : ان الفطرة تعني الابتداء والاختراع وهي مأخوذة من الفعل الثلاثي فطر على وزن فعل ، والفطرة منه الحالة - يعني بها اسم الهيئة بالمعنى الصرفي ، قال ابن مالك (ت٦٤٣) : وفعله لمرة كجلسة ... وفعله لهيئة كجلسة " بفتح الجيم " في الأولى وكسرها في الثانية - كالجلسة ، جمعها فطر بكسر الفاء وفتح الطاء فيقال كسرة وكسر وفطر تجمع أيضا على فطرات مثل كسر وكسرات (ابن منظور الافريقي المصري أنظر مادة : فطر) المجلد الخامس .

(٢) سورة الروم آية ٣٠ .

المرسل به من عند ربه عز وجل ، ولا يحق له أن يميل عنه أو يرجع قال تعالى : (حنفاء لله غير مشركين به) [1] ويدخل في هذا الخطاب جميع المسلمين باتفاق أهل العلم . [2]

وأما قوله (فطرة الله) فمنصوب على البدل من(حنيفا) المنصوب على الحال من (الدين) فقوله (فطرة) في معنى حال ثانية فيكون المعنى : (فاقم وجهك للدين الحنيف الفطرة) [3] والمراد من الدين مجموع ما يسمى بالدين من عقائد وأحكام ، اذ اسم الدين يشمل جميع ما يتدين به المرء ، كما دل عليه حديث : (هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) [4] ولا يصح أن ننقاد لظاهر

---

(١) سورة الحج الاية ٣١ .

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور : مقاصد الشريعة ص ٥٦ (بتصرف) .

(٣) فسر الزمخشري نصب (فطرة) بتقدير الزموا فطرة الله أو عليكم فطرة الله بضمير خطاب الجماعة مستدلا بقوله تعالى في أول الآية بعدها (منيبين اليه واتقوه) على الجمع (الكشاف ج ٣ ص ٢٢٢ وابن كثير فسر نصب فطرة بما يتفق وتوجيه الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول الآية (فأقم وجهك) أي : لازم فطرتك التي فطر عليها الخلق تفسير القرآن العظيم المجلد السادس ص ٣٢٠ .

(٤) الحديث في صحيح مسلم باب بيان الايمان والاسلام وفي الترمذي (تحفة الأحوذي) باب ما جاء في وصف جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم الايمان والاسلام ، وقال ابن الاثير في جامع الأصول ١٢٨/١ أن من أخرج الحديث هم : مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي .

سياق الكلام السابق الذى ورد فيه ذم الشرك فقط ، اذ المعروف أن الخاص فى القرآن اذا تلاه لفظ يشمل ذلك الخاص بمناسبة فان ذلك اللفظ لا يخص ببعض مدلوله (١) .

وأما الفطرة فيقول عنها ابن عطية (٢) : (والذى يعتمد عليه فى تفسير هذه اللفظة " الفطرة " (٣) انها الحالة والهيئة التى فى نفس الانسان

---

(١) بين الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور مسألة تخصيص بعض المفسرين كالرازى ، والبيضاوى (الدين) فى آية الفطرة هذه بالعقائد بأن هذا لا يتفق مع ما نبه عليه أئمة اصول الفقه من أنه اذا ورد فى القرآن كلام خاص ثم تلاه لفظ يشمل ذلك الخاص وغيره بمناسبة فان ذلك اللفظ لا يختص ببعض مدلوله لأجل السياق ، أنظر مقاصد الشريعة الاسلامية ص ٥٦ وما بعدها .

(٢) هو : أبو محمد عبد الحق بن عطية الغرناطى الاندلسي ولد سنة ٤٨١ هـ وتوفى سنة ٥٤٢ هـ صاحب التفسير الذى قال عنه صاحب كشف الظنون أنه يسمى " المحرر الوجيز " مع أن مؤلفه لم يشر الى تسميته بالوجيز فقد يكون وجيزا باعتبار طريقة عرض المباحث لا باعتبار مقدار جملته أنظر : التفسير ورجاله للشيخ / محمد الفاضل ابن عاشور ص ٦٣ وما بعدها .

(٣) يقال : الفطرة (بالفتح) الشق وقيده بعضهم بأنه الشق الأول وفطر الأمر ابتدأه وأنشأه ، وفى التنزيل العزيز (اذا السماء انفطرت) أى : انشقت ، وفى الحديث : (قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تفطرت قدماه أي انشقت) ، وعن عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما قوله : (ما كنت أدرى ما فطر السماوات والأرض حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر فقال أحدهما انا فطرتها أى انا ابتدأت حفرها ، والفطرة الاسم بالكسر الخليقة وأنشد ثعلبة :

هون عليك فقد نال الغنى رجل . . . فى فطرة الكسب لا بالدين والحسب

أنظر تاج العروس للزبيدى فصل الفاء من باب الراء جـ ٣ .

التى هى معده ومهيئة لأن يميز بها الله تعالى ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه (١) .

وعند الزمخشرى (٢) نجد المعنى أنه خلقهم قابلين للتوحيد (٣) ودين الاسلام .

بخلاف الفخر الرازى : فان الفطرة عنده هى التوحيد فالله قد فطر الناس عليه حيث أخذهم من ظهر آدم وسألهم (ألست بربكم) قالوا : بلى (٤) .

وأما البيضاوى (٥) فيقول فى قوله تعالى : (التى فطر الناس عليها) هى قبولهم الحق وتمكنهم من ادراكه ، أو ملة الاسلام (٦) فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم اليها (٧) .

---

(١) ابن عاشور محمد الطاهر : مقاصد الشريعة ص ٥٧ .

(٢) هو : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمي الملقب بجار الله لمجاورته مكة المكرمة ، ولد سنة ٤٦٧ هـ وتوفى سنة ٥٣٨ هـ كحالة معجم المؤلفين ج ١٢ ص ١٨٦

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل جـ ٣ ص ٢٢٢

(٤) التفسير الكبير جـ ٢٥ ص ١٩ .

(٥) هو : ناصر الدين أبو الخير عبد الله البيضاوى توفى سنة ٦٨٥ هـ كحالة معجم المؤلفين ٦ / ٩٧

(٦) يقصد بالاسلام دين الأنبياء جميعا ، لأن الله وصف به الدين الذى جاء به كل نبى .

(٧) أسرار التنزيل وأسرار التأويل جـ ٢ ص ٢١ طبعة البابى الحلبى مصر ١٣٨٨ هـ .

وعند ابن كثير [١] : ان الفطرة هى الجبلة المتهيئة لمعرفة الله وتوحيده [٢] .

الفطرة فى الحديث : -

وعن أبى هريرة [٣] رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أن كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟)

ثم يقول أبو هريرة واقرؤوا ان شئتم قوله تعالى : (فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) [٤]

---

(١) هو : عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي ت ٧٧٤ هـ .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير تحقيق محمد على الصابوني ص ٥٣ ، ٥٤ المجلد الثالث وأنظر التفسير نفسه المجلد السادس ص ٣٢٠ .

(٣) هو : عبد الرحمن بن صخر الدوسي أكثر الصحابة رواية للحديث أسلم فى السنة السابعة من الهجرة (عام فتح خيبر) وتوفى بالمدينة المنورة ٥٧ هـ ودفن بالبقيع انظر طبقات ابن سعد ٢/٣٦٢

(٤) أخرجه البخارى وسلم من حديث أبى هريرة من عدة طرق وهذا لفظ البخارى من طريق ابن أبى ذئيب عن الزهرى عن أبى سلمة فى الجنائز باب ٩٢ وفى أكثر الطرق (ما من مولود الا ويولد على الفطرة) الحديث كما فى مسلم جـ ٤ / ٢٠٤٧ .

لقد اختلف السلف الصالح في المراد بالفطرة في هـــذا الحديث :

فقال الحافظ ابن حجر [١] : (واشهر الأقوال أن المراد بالفطرة الاسلام ، قال ابن عبد البر [٢] وهو المعروف عند عامة السلف، وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى : (فطرة الله الـــتي فطر الناس عليها) الاسلام ، واحتجوا بما جاء في آخر هذا الحديث وهو قول أبي هريرة : اقرؤوا ان شئتم (فطرة الله التي فطر النـاس عليها) ، وحديث عياض بن حمار [٣] عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالتهـــم [٤] الشياطين عن دينهم . الحديث [٥] رواه غيره فزاد فيه " حنفـــاء مسلمين ورجحه بعض المتأخرين بقوله تعالى (فطرة الله) لانهـــا اضافة مدح وقد أمر نبيه بلزومها فعلم أنها الاسلام ، كذلـــك روى عن أحمد [٦] رحمه الله أنه قال : (ما من مولود مات أبـــواه

---

(١) هو أحمد بن محمد الكناني المسقلاني شهاب الدين صاحـــب فتح الباري (ت٨٥٢) . كحالة معجم المؤلفين ج ٢ ص ٢٠

(٢) هو أحمد بن محمد بن عبد البر بن يحيى أبو عبد الملك قرطبـــي متسع الرواية والدراية (ت٨٣٨) كحالة معجم المؤلفين ج ١٣ ص ٢١٥

(٣) هو عياض بن حمار بن أبي حمار بن نانجية بن عقال بن محمد ابن سفيان بن مجاشع المجاشعي التميمي صحابي جليـــل (ت في حدود ٥٠ هـ) .

(٤) فاجتالتهم أو اجتابتهم على الباطل فحرمت عليهم ما أحللت لهم .

(٥) هذا جزء من حديث طويل رواه مسلم في صحيحه ٤/٢١٩٧ .

(٦) هو أحد الائمة الأربعة الاعلام واسمه أحمد بن محمد بن حنبـــل الشيباني الوائلي امتحن ولم يقل بخلق القرآن ولد ببغداد وفضائله لا تعد توفي ٢٤١هـ من كتبه المسند (ترجمته في تاريخ بغداد ٤/٤١٢ ، وفيات الأعيان ١/٤٧) .

وهما كافران حكم باسلامه واستدل بهذا الحديث) فدل على أنه فسر الفطرة بالاسلام (١) ، " وعند المازرى (٢) انها ما أخذ عليهم فى اصلاب آبائهم ، وان الولادة تقع عليها حتى يحصل التغيير بالأبوين . (٣)

(٤)

قال ابن الأثير فى النهاية المعنى : أنه يولد على نوع من الجبلة والطبع المتهيء لقبول الدين ، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها الى غيرها ، وانما يعدل عنه من يعدل لآفة من آفات البشر ، والتقليد ، ثم تمثل بأولاد اليهود والنصارى فى اتباعهم لآبائهم والميل الى أديانهم عن مقتضى الفطرة السليمة (٥) فالتهويد والتنصير اذن صفة تطرأ على الانسان بسبب أبويه كالجدع الذى يصيب الشاة بعد أن تولد على الفطرة السليمة لا عيب فيها

---

(١) أنظر الفتح جـ ٣ ص ١٩٧ وما بعدها .

(٢) هو : محمد بن على بن عمر التميمى المازرى يكنى أبا عبدالله ويعرف بالامام وهو امام أهل (افريقية) وما وراءها من المغرب وكان يفزع اليه فى الفتوى فى الفقه وفى الطب له كتاب فى الأصول والفقه ، وله كتاب (المعلم فى شرح مسلم) وله فى العقيدة كتاب سماه (نظم الفرائد فى علم العقائد) (ت ٥٣٦ هـ) كما فى معجم المؤلفين ج ١٢ ص ٢٣

(٣) المصدر السابق أى الفتح ج ٣ ص ١٩٧ وما بعدها

(٤) هو الامام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزرى ابن الاثير ولد سنة ٥٤٤ هـ وت ٦٠٦ هـ .

(٥) النهاية فى غريب الحديث والأثر جـ ٣ ص ٤٥٧ .

فمراعاة لعجز هؤلاء عن تبين الحق من الباطل لم يؤاخذهم الشرع الاسلامي بما فعل آباؤهم بهم من التهويد والتنصير حتى يبلغوا راشدين راضين بدين آبائهم ، فيؤاخذون اذ ذاك وقد ألقيت على كواهلهم أعباء التكاليف ، باعتبار أن الدين الفطرى لكل مولود هو الاسلام الا فيما يتعلق ببعض المعاملات الدنيوية كالارث ونحوه فان الأطفال فى ذلك تابعون لآبائهم . (١)

الاستشكال على عموم الفطرة :-

وفى تفسير الالوسى (٢) أنه روى عن عكرمة (٣) انه فسرها بدين الاسلام ، وفى الخبر ما يدل على ذلك ، فقد روى عن قتادة (٤) أن قوله تعالى : (فطرة الله التى فطر الناس عليها) سأل عنها أنس بن مالك رضى الله عنه (٥) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) أنظر كتب الفقه .

(٢) هو أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادى علامة العراق ومفتى بغداد (ت ١٢٧٠) .

(٣) هو على ابن عباس أبو عبدالله الدنى البربرى الأصل المفسر أحد الثقات الاثبات ت ١٠٧ هـ أو ١١٠ هـ ، تهذيب التهذيب ٢٦٣/٧ ، وتقريب التهذيب ٢٤٣ .

(٤) قتادة بن دعامة (بكسر المهملة) السدوسي أبو الخطاب البصرى ثقة ثبت (ت بضع عشر ومائة) التقريب ٣٠٢/١ .

(٥) أنس بن مالك بن النضر الأنصارى الخزرجي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابى مشهور (ت٩٢هـ وقيل٩٣هـ) التقريب ٨٤/١ .

(فطرة الله التى فطر الناس عليها دين الله تعالى) قال الألوسى والمراد بفطرهم على دين الاسلام خلقهم قابلين له غير نابين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه دينا آخر (١)

وأما المراد بالناس فى الآية فجميعهم ، وهذا الاستغراق فيه استشكال ذلك أنه ورد فى الغلام الذى قتله الخضر عليه السلام أنه طبع على الكفر وأجيب بأن معنى ذلك أنه قدر أنه لو عاش يصير كافرا باضلال غيره له أو بآفة من الآفات البشرية ، وهذا على ما قيل هو المراد من قوله عليه الصلاة والسلام (الشقى شقى فى بطن أمه) (٢) ، وذلك لا ينافى الفطرة على دين الاسلام بمعنى خلقه متهيئا له ، مستعدا لقبوله (٣) ، ومثل هذا ما دل عليه قوله تعالى (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كافرا) (٤) ، فقد بينت هذه الآية أن هناك من يولد كافرا ، وقد يلد عكس ذلك كما اتضح من طلب

---

(١) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى جـ٢١ ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) (الشقى من شقى فى بطن أمه) بزيادة (من) فى صحيح مسلم ، والظاهر أنه تفسير من عبد الله بن مسعود لحديث دخول الملك على النطفة بعد أن تستقر فى الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول الملك يا رب أشقى أو سعيد فيكتب ذلك . انظر كتاب القدر جـ ٨ ص ٤٤ وما بعدها من صحيح مسلم .

(٣) الألوسى روح المعانى جـ ٢١ ص ٣٦ .

(٤) سورة نوح الإيتان ٢٦ ، ٢٧ .

ابراهيم الخليل عليه السلام من ربه أن يرزقه ولدا صالحا حيث قال : (رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم) [1] فرزقه سبحانه وتعالى باسماعيل عليه السلام ووصف بأنه حليم والحلم صفة عزيـــــزة الوجود ، وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى : (وبشرناه باسحـاق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) [2] .

فهذا لا يعارض الايمان الفطرى في الناس جميعا ، فلفظ النـاس أصرح دلالة على أن الاسلام قد انزله الله طبق شعور الانسان وحاجته في قرارة نفسه .

ثم ان الآية لا تجعل الاسلام دين الفطرة فحسب ، ولكن نفـس الفطرة التي فطر الله الناس عليها وذلك بثبات سنن الله في خلقـــــه جميعا بدليل قوله (لا تبديل لخلق الله) .

الفطـــرة ميثـاق ربانـــي :-

هناك ميثاق رباني ولا شك قد أخذه الله على الناس جميعا وهم في ظهر الغيب وعند ظهور البشرية لتؤمن هذه البشرية بوجوده وتعترف بألوهيته : (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهـــم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) [3] .

---

(١) سورة الصافات الايتان ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) سورة الصافات الايتان ١١٢ ، ١١٣ .

(٣) تتمة الاية (أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) الاعراف ١٧٢

ومما يدل على أن الناس جميعا يعتقدون أن الله وحده هو الخالق المنفذ ، اعتراف كثير منهم بهذه البواعث المتمكنة في النفس الانسانية ، وأنها لم تخل من حياة مجتمعاتهم في أى جيل من الأجيال منذ بدء الخليقة .

فهذا المغامر سنوحي (١) لقي في الطريق أهوالا مروعة أثناء عودته الى وطنه فأخذ يناجي من يأخذ بيده لأنه كان يثق في أعماقه أن هناك قوة لا حدود لها يمكنها أن تأخذ بيده فكان يقول " ألا أيها الاله ، أيا كنت يا من قدرت على الفرار أعدني الى وطني " (٢)

وكذلك ما روى عن عكرمة بن أبى جهل والذين فروا معه من مكة المكرمة يوم الفتح استكبارا أن يسلموا فركبوا سفينة لم تلبث أن أخذتها الأمواج من كل جانب ولعبت بها العواصف حتى كادت تغرق وظلوا براكبيها في الماء ، وعندها ومن غير تدبر هتف القوم بالدعاء الى الله في ضراعة واستكانة فقال عكرمة ما هذا ؟ فقالوا : هذا مكان لا ينفع فيه الا الله ، فقال عكرمة : هذا اله محمد الذى يدعونا اليه وانه

---

(١) هو مصرى دفعه حبه للمغامرة أن يسافر خارج وطنه ، ونظرا لما في الطريق من أهوال في العصور القديمة اشتد به الخوف وطلب النجدة بخالقه وبذلك ثبت أن الايمان بالله كامن في النفس البشرية .

(٢) أنظر قصة الحضارة ول ديورانت جـ ٢ ص ١١١ .

وانه ان لم ينجنى فى البحر الا هو فلن ينجينى فى البر غيره ... فاللهم رب محمد ان لك على عهدا ان عافيتنى مما أنا فيه ان آت محمدا حتى أضع يدى فى يده فلأجدنه عفوا كريما .. ثم جاء فأسلم[1] وهو ما يكشف عنه قوله جل شأنه : (هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين)[2] .

واذا كان الله عز وجل قد فطر الناس على توحيد الربوبية أى اقرارهم بأنه تعالى خالق ومدبر كل شىء ، فقد دل كذلك على توحيد الألوهية بقوله تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا) وهو افراده سبحانه بالعبادة وحده .

الشرك طارىء على الايمان :-

وأما من أشرك مع الله غيره فى العبادة وغيرها أو من جحده فلا يعارض كون الايمان فطريا فى الناس جميعا ، وجحد فرعون الخالق بقوله (وما رب العالمين)[3] ليس الا مجرد تجاهل ، لأن

---

(١) ابن الأثير : أسد الغابة ج ٤ ص ٧١ بتصرف .

(٢) سورة يونس آية ٢٢ .

(٣) سورة الشعراء الآية ٢٣ .

قوله هذا لم يصدر عما يعتقده بدليل أن موسى عليه السلام بين لفرعون والحاضرين عنده أن آيات الله ظاهرة بينة لا يمكن معها جحده : قال (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر واني لاظنك يا فرعون مثبورا) (١) ، وكذلك قوله لهم بأنهم يجحدون بألسنتهم ما يعرفونه بقلوبهم ، قال تعالى : (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) (٢) ذلك أن أول ما يشرق في أعماق الانسان العاقل هو وجود قوة كبرى مهيمنة على الكون تمنحه التدبير والتنظيم وتتصرف فيه بالحياة والموت ، وهو احساس فطري صادق يشترك فيه جميع الخلائق المدركة على اختلاف نزعاتها ومستويات ثقافاتها في البيئة البدائية وفي المدن المتحضرة ، ومن هنا كان جواب موسى عليه السلام على انكار فرعون وجحوده بأن الله اعرف من أن ينكر وأظهر من أن يشك فيه ويرتاب فقال (رب السماوات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين) (٣) ، قال ابن تيمية رحمه الله : " ولم يقل موقنين بكذا وكذا " بل أطلق فأي يقين كان لكم بشيء من الأشياء فأول اليقين بهذا الرب كما قالت الرسل لقومهم : (أفي الله شك) (٤)

---

(١) سورة الاسراء الآية ١٠٢ .

(٢) سورة النمل الآية ١٤ .

(٣) سورة الشعراء الآية ٢٤

(٤) سورة ابراهيم الآية ١٠

أى أنه ليس فى الله شك وهو استفهام تقرير [١] يتضمن تقرير الأمم على ما هم مقرون به من وجود الخالق . [٢]

الدين الاسلامي تقويم لانحراف الفطرة : -

ولقد جاء الاسلام مصدقا لما اقتضته هذه الفطرة السليمة بالتذكير والتعليم والانذار والدعوة الى النظر فى آثار الله تعالى وجعل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم قائمة أولا على التذكير ، قال تعالى مخاطبا رسوله الكريم : (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) [٣] ، وقال : (انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب) [٤] ، وقال : (ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم) ، وقال لرسوله صلى الله عليه وسلم (فذكر انما أنت مذكر) [٥] ، كما قال من قبل فى خطابه

---

(١) الفرق بين استفهام التقرير واستفهام الانكار أن حرف الاستفهام اذا دخل على حرف النفى كان تقريرا كقوله : (ألم نشرح لك صدرك) سورة الشرح آية ١ ، (ألم نجعل له عينين) سورة البلد آية ٨ ، (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم) سورة التوبة آية ٧٠ ، بخلاف استفهام فرعون فانه استفهام انكار لا تقرير اذ ليس هنا الا اداة الاستفهام فقط ودل سياق الكلام على انه انكار .

(٢) ابن تيمية : مجموعة التفسير من ص ٢٧١ الى ص ٢٧٥ .

(٣) سورة ق الآية ٤٥ .

(٤) سورة يس الآية ١١ تتمة الاية (فبشره بمغفرة واجر كريم) .

(٥) سورة التكوير الآيتان ٢٧ ، ٢٨ .

لموسى (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) [1] ، أى يتذكر عظمة ربه ويخشى عقابه (ما فى فطرته من العلم الذى به يعرف ربه) ، ويعرف انعامه عليه واحسانه اليه وافتقاره اليه فذلك يدعوه الى الايمان كما أن الخشية من العذاب تدعوه أيضا الى ذلك ، لذا دعت آيات التذكير فى القرآن العزيز الى تقويم هذا الانحراف عن الفطرة ، وهى مهمة الرسل جميعا عليهم السلام .

فقد سبق فى علمه عز وجل أن هناك من ستنحرف فطرته فلا يتبع ما جاء به الرسل فخاطب آدم وحواء وابليس ومن ورائهما ذرية آدم وذرية ابليس فى (قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فأما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) [2] .

ثم ان من ينسى ربه يتسبب فى نسيان نفسه يدل على ذلك قوله تعالى : (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) [3] .

فالنسيان لا يكون الا بعد المعرفة ، ولذا كان العقاب من جنس العمل ، فنسيان الرب المنعم وعدم ذكره على الوجه الذى يقتضى

---

(١) سورة طه الآية ٤٤ .
(٢) سورة طه الآية ١٢٣ .
(٣) سورة الحشر الآية ١٩ .

محبته وعبادته يوجب نسيان النفس وذلك بترك ما يصلحها وينفعها (١) .

النزع الى المحسوس يغطى على الفطـرة : -

وقد يعترض البعض فيقول : " لو كان التوحيد فطريا لما اختلف الناس فى عقائدهم وتباينوا فى تصوير آلهتهم ، وذهبوا مذاهب شتى حتى لا تكاد تجد تشابها بين آلهتهم " .

والرد أن منشأ ذلك راجع الى الانسان حيث نجده ميالا الى الاعتماد على ما يقع تحت حواسه من الكائنات والى انكار ما ليس لـه صورة فى ذهنه ، فكأن الحواس هنا قامت مقام الأبوين فى تهويد الانسان أو تنصيره ، أو تمجيسه فالفطرة دلت هؤلاء الناس على وجود الله ولكنهم بسبب انحطاط تفكيرهم غطوا على هذه الفطرة ، وذلك بتجسيم آلهتهم المختلفة .

ولذا علل البيرونى عبادة الأصنام بقوله (معلوم أن الطباع العامى نازع الى المحسوس نافر عن المعقول الذى لا يعقله الا العالمون

---

(١) اعترض ابن تيمية رحمه الله على من فسر (نسوا الله) بتركوا أمر الله وما قال (وهؤلاء أتوا من حيث أرادوا أن يفسروا نسيان العبد بما قيل فى نسيان الرب ، وذاك قد فسر بالترك ففسروا هذا بالترك ، وهذا ليس بجيد ، فان النسيان المناقض للذكر جائز على العبد بلا ريب والانسان يعرض عما أمر به حتى ينساه فلا يذكره فلا يحتاج أن يجعل نسيانه تركا مع استحضار وعلم ، وأما الرب تعالى فلا يجوز عليه ما يناقض صفات كماله سبحانه وتعالى ولا يقال فى حق الله (تركوه) أنظر مجموعة تفسير ابن تيمية ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

الموصوفون في كل زمان ومكان بالقلة ، ولسكونه الى المثال عدل كثير من أهل الطل الى التصوير في الكتب والهياكل كاليهود والنصارى ثم المنانية (١) خاصة وناهيك شاهدا على ما قلته أنك لو ابديت صورة النبي (٢) صلى الله عليه وسلم أو مكة والكعبة لعامي أو امرأة لوجدت من نتيجة الاستبشار فيه دواعي التقبيل وتعفير الخدين والتمرغ كأنه شاهد الصور (بالفتح) وقضى بذلك مناسك الحج والعمرة (٣) ، وهذا هو السبب الباعث على ايجاد الاصنام باسامي الاشخاص المعظمة في القلوب لدى الفوت الى أن طال العهد بعاطليها ودارت القرون والأحقاب عليها ونسيت اسبابها ودواعيها وصارت رسما وسنة مستمطة . (٤)

---

(١) المنانية : نسبة الى مانى وهي ديانة وثنية هندية لها كتاب اسمه (كنز الاحياء) فيه تجسيد للآلهة .
أنظر البيرونى تحقيق ما للهند ص ٢٩ .

(٢) لا يجوز شرعا تصوير جميع الانبياء ولا صنع تماثيل لهم أو لغيرهم .

(٣) تهتم في العصر الحاضر ادارة شئون الحرمين الشريفين وادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد وجامعات المملكة العربية السعودية بتوعية الحجاج والمعتمرين دينيا وذلك بصرفهم عن التمسح والتمرغ بما يتنافى وعقيدة الاخلاص للألوهية الصمدية .

(٤) البيرونى : تحقيق ما للهند (انظر فى مبدأ الاصنام وكيفية المنصوبات) من ص ٨٤ الى ص ٩٦ .

ومن هنا نشأت كما يظهر الأديان الوثنية في كل أمة وفي كل جيل وزمان فاختلفت لذلك صور الآلهة باختلاف ما صوره خيال معتقديها .

وأما محاولة انكار ما عجزت المدارك عن تصويره والاحاطة به فلا يجوز أن يتخذه ذو عقل برهانا ينفي به وجوده ، اذ من البديهي أن الشيء لا يصح انكاره الا اذا أتيت بالبرهان القطعي عن عدم وجوده .

علم النفس والايمان الفطري :-

وقد كان لعلم النفس الاجتماعي محاولات [1] في فهم طبيعة النفس البشرية وتفسير سلوكها الأمر الذي جعلهم لا ينكرون ان لدى الفرد بعض الحاجات الفطرية التي ترتبط بحياته مثل الحاجة الى الطعام والحاجة الى الراحة .

كذلك يوجد في الطبع الانساني جوع الى الاعتقاد كجوع المعدة الى الطعام ، ومن هنا اتفق علماء مقارنة الأديان على تأصل العقيدة الدينية في طبائع بني الانسان من أقدم أزمنة التاريخ . [2]

---

(١) عبر العقاد بقوله (مقدرة كبيرة) عوضا عن محاولات اذ الظاهر أنها مجرد محاولات لعلماء النفس وسيأتي بيان ذلك في هذا الفصل .

(٢) العقاد : الله ص ٨ بتصرف .

وقد بين معجم "لاروس" للقرن العشرين ، هذه النزعة الفطرية فقال : " ان الغريزة الدينية مشتركة بين كل الاجناس البشرية ، حتى اشدها همجية وأقربها الى الحياة الحيوانية ، وان الاهتمام بالتقرب الى الاله ، وبما فوق الطبيعة هو احدى النزعات العالمية الخالدة للانسانية ."(١) كذلك انتصر لنظرية(٢) فطرية الايمان بالاله الواحد جمهور من علماء النفس وعلماء الأجناس من أشهرهم : "لانج LANG الذى أثبت وجود عقيدة" الاله الأعلى" عند القبائل الهمجية في استراليا ، وافريقيا وأمريكا .

- وبروكلمان BROKKELMAN الذى وجدها عند الساميين قبل الاسلام .

- وشميدت SCHMIDT الذى انتهى بالبحث الى القول بأن فكرة الاله الأعظم توجد عند جميع الشعوب الذين يعدون من أقدم الاجناس الانسانية"(٣)

وهكذا تلاحق فطرة التدين الانسان باستمرار ، وتزداد فيه ووضوحا كلما علت مداركه ، ونمت معارفه أو الت به فاجعة .

---

(١) LAROUSSE du XXème siècle article. Religion.

(٢) هناك نظريتان فى دراسة " نشأة الدين" الأولى فطرية التطور التقدمى EVOLUTIONNISME PROGRESSISTE ou ascendent الذى ساد فى اوروبا فى القرن التاسع عشر ، وحاول تطبيقه على تاريخ الاديان سبنسر SPENCER وتيلور TYLOR ودوركايم DURKHEIM وغيرهم ، حيث اعتبر هؤلاء أن الدين بدأ فى صورة الخرافة الوثنية وترقى حتى وصل الى التوحيد ، وهذا باطل لأنه اعتمد على افتراضات لم يقم عليها دليل ، ويكفى أن نعلم أن آدم أبو البشرية كان يؤمن بالله الواحد ، وكذلك أبناؤه ، وأن هناك فرق بين حقيقة الدين وحقيقة العلوم والفنون ، فالعلوم تنمى الانسان فى طابها وتنميتها بالمثابرة بينما الدين قار فى اعماق النفس البشرية ودلائله ظاهرة امام الحس .
والثانية : فطرية التوحيد وأدلتها ، التى تقول : ان عقيدة الخالق الاكبر هى أقدم ديانة ظهرت في البشر وأنها لم تنفك عنها أمة من الامم في القديم والحديث وأن الوثنية أمراض طارئة .

(٣) د / محمد عبدالله دراز : الدين ص ١٠٧ - ١٠٨

وان الشدائد التى يتعرض لها المنكرون لوجود الله تكشف عن هذا الاعتقاد فحين تسد فى وجوههم منافذ الخلاص عندها تفر من بين أيديهم الضلالات التى حجبتهم عن الله حيث يصهرهم هذا الكرب الذى هم فيه فتنقدح فى كيانهم تلك الشرارة من أنوار الحق فيرون على ضوئها أن لا ملجأ من الله الا اليه وهذا ما يشير اليه قوله تعالى : (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون) (١)

فالنفس البشرية والدين الحق كلاهما من صنع الله وكلاهما متناسق مع الآخر فى طبيعته واتجاهه .

ولذا فالفطرة ثابته والدين ثابت (لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) .

علم الأحياء والاقرار بالألوهية :-

وأما ما ذهب اليه المعجم الفلسفى من أن (الفطرة) هى الجبلة التى يكون عليها كل موجود فى أول خلقه ، وان الولد يولد على السلامة خلقا وطبعا وهيئة ليس فيها ايمان ولا كفر ولا انكار ولا معرفة لأنه لو كان مقصورا على احدى هذه الحالات لما انتقل

---

(١) سورة الأنعام الايتان ٦٣ ، ٦٤ .

عنها أبدا (١) ، فهذا القول يفنده تعريف الدين نفسه من الوجهة الاحيائية (٢)" بأنه عبادة الانسان لقوة عليا نتيجة لشعوره بحاجة في قرارة نفسه الى هذه القوة (٣)"، وهذا التعريف مقبول يصدقه قوله صلى الله عليه وسلم (ما من مولود يولد الا على هذه الملة حتى يبين عنه لسانه (٤)) وفي رواية (على ملة الاسلام) ، وفي حديث قدسي يقول عز وجل (اني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم ينزل به سلطانا) (٥) .

قال ابن تيمية رحمه الله (فاخبر انه خلقهم حنفاء وذلك يتضمن معرفة الرب ومحبته وتوحيده فهذه الثلاثة تضمنتها الحنيفية وهي معنى قول (لا اله الا الله) (٦))

---

(١) سابقا : المعجم الفلسفي ص ١٥٠ .

(٢) أي من وجهة نظر علم الاحياء (بيولوجيا) .

(٣) هذا التعريف لاندروكونواي عالم " فسيولوجي " تولى رئاسة قسم العلوم الكلينيكية بكلية الطب بجامعة شيكاغو من مقال له بعنوان : (وجود الله حقيقة مطلقة) ص ١٤٦ ، أنظر كتاب الله يتجلى في عصر العلم .

(٤) رواه مسلم في القدر من طريق أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة .

(٥) هو طرف من حديث في صفة الجنة ، أخرجه مسلم من طريق عياض بن حمار .

(٦) مجموعة تفسير شيخ الاسلام ابن تيمية ص ٢٧٩ .

الفرق بين الفطرة والغريزة : -

ولبيان الفرق بين الفطرة والغريزة علينا أن نلاحظ مبدئيا أن الغريزة تعنى السجية ، كما تعنى الطبيعة أى مزاج الانسان المركب من الاخلاط[1] ، وقد استعمل علماء النفس لفظ الغريزة كاصطلاح مادى حديث للدلالة على الدوافع الأولية للانسان ، وهى الدوافع التى ترتبط بحاجات البدن " الفسيولوجية " أى الاحيائية بحيث لا يحتاج الناس الى تعلمها اذ تقوم هذه الغرائز من تلقاء نفسها بدفع الكائن الحي الى القيام بسلوك خاص فى موقف معين ، مثل غريزة البحث عن الطعام وغريزة الخوف ومما يؤخذ على من يكتف بالغرائز ويفكر الفطرة :

أولا : انه لا يوجد اتفاق بين المنادين بها على عدد الغرائز ولا على أنواعها . [2]

ثانيا : أن علم النفس الحديث يدرس السلوك ولا يدرس النفس لصعوبة اخضاعها للملاحظة أو البحث التجريبى وبذلك أصبح يفتقر

---

(١) أنظر المعاجم والمصباح المنير (الطاء والباء وما يثلثهما) كذلك (الغين مع الراء) والسجية (السين مع الجيم وما يثلثهما) .

(٢) يقول مكدوجل ١٩٢٣ (W. McDougall, ١٩٢٣) زعيم مدرسة علم النفس التقليدية انها أربع عشر غريزة ويقول وليم جيمس (W. James, ١٨٩٠) انها اثنتان وثلاثون غريزة ، وقال غيره بمائة غريزة ، ورد فرويد (سيجموند) ١٨٥٦ - ١٩٣٩ (S. Freud, ١٩٣٩ - ١٨٥٦) سلوك الانسان حسب نظريته الى (غرائز جنسية) وغرائز الانا كما ميز بين (غرائز للحياة) واخرى للموت ورغم ان فرويد هذا زعيم مدرسة التحليل النفسى الا أنه انتقص من قدر البشرية بتفسير سلوكها على اساس جنسى بحت ، ولذا ثبت خطأه علميا . أنظر الدكتور / نجيب اسكندر وآخرون : الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعى من ص ٣٧ الى ص ٤٠ مؤسسة المطبوعات الحديثة ١٩٦٠ م .

الى موضوعه الرئيسى وهو الروح وقصر بحوثه على السلوك الذى يمكن ملاحظته وقياسه ، وقد أدى هذا ببعضهم الى أن ينادى بتغيير اسم علم النفس وتسميته (علم السلوك) .

ثالثا : اهتمامه بالبحث فى السلوك الانسانى السطحى وغير الهام ، واغفال دراسة كثير من الظواهر السلوكية الهامة فى الانسان التى تتناول النواحي الروحية والقيم الانسانية العليا واثر هذه العبادات فى سلوك الانسان والصراع النفسى بين الدوافع البدنية والدوافع الروحية [1] ، وكل ما ظهر فى السنوات الأخيرة هو تفطن بعض علماء النفس الى دراسة بعض الظواهر الروحية مثل :

---

(١) يقول اريك فروم (E.FROMM) وهو محلل نفسى معاصر : ان اهتمام علم النفس الحديث ينصب فى أغلب الاحيان على مشكلات تافهة تتمشى مع منهج علمي مزعوم وذلك بدلا من أن يضع مناهج جديدة لدراسة مشكلات الانسان الهامة وهكذا اصبح علم النفس يفتقر الى موضوعه الرئيسى وهو الروح وكان معنيا بالميكانيزمات وتكوينات ردود الأفعال والغرائز دون أن يعنى بالظواهر الأساسية المميزة أشد التمييز للانسان : كالحب والعقل ، والشعور ، والقيم - (أنظر اريك فروم : الدين والتحليل النفسى - ترجمة فؤاد كامل - مكتبة غريب ١٩٧٧) ، وانظر د . محمد عثمان نجاتى ، القرآن وعلم النفس ص ٢٠ وما بعدها .

التخاطر (١) ، والاستشفاف (٢) وهى محاولات لا زالت فى بدايتها (٣) .

وأما الفطرة فهي الخلقة أى النظام الذى أوجده الله فى كل مخلوق ، ففطرة الانسان هى ما خلق عليه الانسان ظاهرا وباطنا أى : جسدا وعقلا وهو الاسلام ، فمحاولة أن يتناول المرء الأشياء برجله خلاف الفطرة ، وأما استنتاج المسببات من اسبابها والنتائج من مقدماتها فهذه فطرة عقلية (٤) ، والاسلام فطرة والكفر والشرك افساد لها .

ومعنى وصف الاسلام بانه (فطرة الله) : ان الأصول التى جاء بها الاسلام هى من الفطرة وأن الفضائل الذائعة المقبولة حرى الاسلام عليها باعتبارها من الأمور الصالحة المتأصلة فى البشر .

ولذا دعت الشريعة الاسلامية أهلها الى تقويم الفطرة والحفاظ على اعمالها وتطهيرها وأحياء ما اندرس منها ، فالزواج والارضاع من الفطرة وشواهده ظاهرة فى الخلقة ، وآداب المعاشرة من الفطرة لأنهما اقتضاهما التعاون على البقاء وحفظ الأنفس والانساب من الفطرة والحضارة الحق من الفطرة لأنها من آثار حركة العقل

---

(١) التخاطر تبادل الخواطر والأفكار مع شخص آخر قد يكون موجودًا فى مكان بعيد .

(٢) الاستشفاف هو ادراك الاشياء البعيدة الخارجية عن مجال الحواس.

(٣) الدكتور / محمد عثمان نجاتى القرآن وعلم النفس ص ٢١ .

(٤) بن عاشور محمد الطاهر : مقاصد الشريعة الاسلامية ص٥٧ بتصرف .

الذى هو من الفطرة وأنواع المعارف الصالحة من الفطرة لأنها نشأت عن تلاقح العقول وتفاوضها وبالنظر الى المقصد العام من التشريع نجده يساير حفظ الفطرة والحذر من خرقها واختلالها [1] واذن فالفطرة ليس المقصود منها الصفحة البيضاء أى خلو الانسان عن معرفة الله اذ لو كان كذلك لذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديث الفطرة الاسلام ثم اليهودية ثم النصرانية ثم المجوسية ، ولما لم يذكر الاسلام فهم انه المقصود بالفطرة وقد سبق أن فسر لنا السلف الصالح الفطرة بالاسلام [2] .

اعتراف القدماء والمعاصرين بمسلك الفطرة : -

وقد اعترف عدد كبير من القدماء والمعاصرين بمسلك الفطرة فمن المسلمين نقرأ فى كتاب احياء علوم الدين للغزالى [3] قوله :

" وجود الله وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة اظهر الموجودات واجلاها هو الله تعالى " [4]

---

(١) ابن عاشور محمد الطاهر مقاصد الشريعة ٥٨ و ٥٩ بتصرف .

(٢) انظر مفهوم الفطرة عند السلف فى هذا الفصل .

(٣) هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الملقب بحجة الاسلام وزين الدين لوضعه الكتب التى تقرر امتياز الاسلام عن غيره من الأديان ومن أشهر مؤلفاته احياء علوم الدين ومقاصد الفلاسفة وتهافت الفلاسفة (ولد ٤٥٠ هـ وت ٥٠٥ هـ) الموافق (١٠٥٨م - ١١١١م) بمحمد معجم المؤلفين ج ١١ ص ٢٦٦

(٤) احياء علوم الدين جـ ٤ ص ٣١٢ .

ويقول الشهرستاني [1] ان الفطرة السليمة الانسانية شهدت بضرورة فطرتها وبديهة فكرتها على صانع حكيم عالم قديم (أفي الله شك فاطر السموات والأرض)[2] (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله)[3].

ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (امرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله)[4].

وقال اخوان الصفا [5] : " واعلم ان الله تعالى جعل بواجب حكمته في جبلة النفوس معرفة هويته طبعا من غير تعلم ولا اكتساب "[6].

---

(١) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشهرستاني متكلم ومؤلف الملل والنحل وغيرهما من الكتب ولد ٤٧٩ هـ وتوفى ٥٤٨ هـ

(٢) سورة ابراهيم الآية ١٠ وأولها (قالت رسلهم) الآية .

(٣) سورة لقمان الآية ٢٥ وتتمتها (قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) وفي سورة الزمر الاية ٣٨ .

(٤) الحديث في الصحيحين البخاري كتاب الايمان باب فان تابوا ومسلم جـ١ ص ٥٣

(٥) هم أصحاب فلسفة الغوا في أواسط القرن الرابع للهجرة جمعية باسم " اخوان الصفا " وقد ذكروا من أعضائها خمسة هم :
(١) أبو سليمان محمد بن معشر البستي ويعرف بالمقدسي .
(٢) وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني (٣) أبو أحمد المهرجاني (٤) العوفي) (٥) زيد بن رفاعة وعدد رسائل اخوان الصفا ٥٢ رسالة مقسمة على أربعة أقسام :

القسم الأول	١٤	رسالة رياضة تعليمية
القسم الثاني	١٧	رسالة جسمانية طبيعية
القسم الثالث	١٠	رسائل نفسيه عقلية
القسم الرابع	١١	رسالة ناموسية الهية

وقد طبعت هذه الرسائل اولا في لندن سنة ١٨٦١ م وطبعت في بومباي بالهند ١٨٨٦م، وفي مصر سنة ١٨٨٤م .

وقد اعترف كثير من بحاثة الغرب وفلاسفته بالبواعث الاصليـــــة المتمكنة في الحياة الانسانية ومن ضمنها الايمان بالصانع الذى لا تخلـــو منه أية نفس بشرية ، فمن فلاسفة الغرب في العصور الوسطى الذيـــن قالوا بالبداهة والفطرة :

اغسطين (المتوفى سنة ٤٣٠م) ، وانسلم (المتوفى سنة ١١٥٩م) ووليم أوف أكام (المتوفى سنة ١٣٤٩ م) ، وهنا قور (المتوفى سنـــة ١٢٧٤) (١) .

وفي العصور الحالية نجد من الذين يقولون بالفطرة زيادة علـــى ما ذكرناه من علماء النفس الاجتماعيين وعلماء الاحياء (٢) فيزيائيـــين ورياضيين وفلاسفة ، نذكر منهم : ديكارت (٣) حيث يقول : فلا يبقى ما يقال بعد ذلك الا أن هذه الفكرة ولدت ووجدت معي منذ خلقـــت كما ولدت الفكرة التي لدى عن نفسي ، والحق انه لا ينبغي ان تعجب ان الله حين خلقني غرس في هذه الفكرة لكي تكون علامة للصانـــع مطبوعة في صنعته . (٤)

=(٢) = الدكتور / عمر فروخ اخوان الصفاء ص ٧٢ طبعة بيروت ١٩٤٥ ، ود . جبور عبد النور اخوان الصفا دار المعارف بمصر ، ورغم ما عليهم من مطاعن فانه لا مانع ان نأخذ عنهم ما وافق الحق .

(٢) تراجع فقرة علم النفس والايمان الفطرى وعلم الاحياء والاقرار بالألوهية .

(٣) ديكارت هو : رينيه ديكارت فيلسوف ورياضي وفيزائي فرنسي مـــادى ميكانيكي (١٥٩٦ - ١٦٥٠) .

(٤) التأملات في الفلسفة الأولى لديكارت ترجمة د . عثمان أمين ص ١٥٥ .

كذلك كانت[1] حيث نجده بعد ان ينقد الادلة التي يذهب اليها الفلاسفة يخلص الى الاعتقاد في الجزاء في المستقبل وهذا ناتج عن الشعور بصوت في اعماق الانسان يدعوه الى الفضيلة وعمل الخير حتى ولو لم يؤد ذلك الى النفع . فكيف يمكن لهذا الشعور بالحق أن يعيش ان لم نحس في انفسنا بان هذه الدنيا ليست الا مقدمة لحياة اخرى واذا كان الشعور بالواجب يتضمن العقيدة في الجزاء في المستقبل اى - الخلود فلابد أن منشئ هذا الشعور خالد ولابد ايضا من التسليم بوجود الله[2]

---

(١) كانت : هو عما نوئيل كانت فيلسوف المانى مؤسس الفلسفة الكلاسكية الالمانية (١٧٢٤ - ١٨٠٤)

(٢) انظر كتاب الاستاذ يوسف كرم تاريخ الفلسفة الحديثة ص ٢٣٧ - ٢٤٢ وقصة الفلسفة الحديثة للاستاذين احمد امين زكى ونجيب محمود ص ٢٩١ - ٣٠٢

الفصل الثالث

الألوهية بالنظر والاستدلال

الفصل الثالث

الألوهية بالنظر والاستدلال

تمهيد : -

تقدم لنا أن معرفة الله سبحانه وتعالى مغروسة فى النفوس البشرية ولا تحتاج الى دليل ولكن الأكثرية أبو الا أن يقيموا الدليل تلو الدليل على اثبات وجوده عز وجل اما لفساد الفطرة ، أو ارضاء لغرور العقل (١) أو دفعا لشبه أهل البدع (٢) .

فأحدث بذلك منهج جديد فى مباحث العقيدة الاسلامية ظهر في بعضه التأثر جليا بالفلسفة اليونانية (٣) والمقولات الهندية والأفكار اليهودية والمسيحية (٤) وقصرت فيه الاهتمامات عن مسلك الوحي الذى

---

(١) كالفلاسفة أو الفلسفة الاسلامية التى منطلقها يوناني .

(٢) كالمدافعين عن العقيدة الذين ينطلقون من منظور اسلامي .

(٣) يقول محقق كتاب مقالات الاسلاميين الشيخ / محمد محي الدين عبد الحميد يرحمه الله : " وكان المعتزلة أول من استعان بالفلسفة اليونانية واستقوا منها فى تأييد نزعاتهم ، فأقوال كثيرة من أقوال النظام وابى الهذيل والجاحظ وغيرهم بعضها نقل بحث من أقوال فلاسفة اليونان وبعضها يستقى من نبعه ويغترف من معينه بشيء من التحوير والتعديل " مقالات الاسلاميين مقدمة المحقق ١/ ٣٣ .

(٤) من ذلك ما جاء به يحي الدمشقي المسيحي مع أبيه حيث كانت لهما مكانة مرموقة فى البلاط الأموى من البدع المسيحية فبنى المعتزلة الكثير من ابحاثهم على آرائهما (المصدر السابق) .

يقنع العقل ويمتع العاطفة بأدلته القطعية والالزامية .

وكان من نتيجة ذلك ان وجدت فرق تميزت كل واحدة منهـا بمذهب على خلاف غيرها ، وادعت أن كل من خالفها كان علـى باطل وحتى يسلم الخصم بحججها يمد النظار فيها الى تأويـل نصوص القرآن وفق مذهبهم ، وان كانت هذه النصوص تخالفه .

ومع انه يجب على كل مكلف معرفة الله تبارك وتعالى ومعرفـة الرسول صلى الله عليه وسلم وما بعث به من التوحيد وما أخبر به عـن الله عز وجل من البعث بعد الموت والجنة والنار ومثل وجوب الفرائـض من صلاة وزكاة وغيرها فان هذه المعرفة المطالب بها المكلف ميسرة في حدود المدركات العقلية والحسية لغالبية المسلمين ان لم نقـل كلهم ، غير أن العقل جنح الى طرق منطقية عويصة على الفهـم ، ومفوتة لكثير من المقاصد الواجبة والمحمودة ، مما دعا ابن تيميـة يقول في ذمها : " هي لحم جمل غث على رأس جبل وعر لا سهـل فيرقى ولا سمين فينتقل " (١) .

وهكذا جنح العقل وأول ما جنح عند المعتزلة (٢) الذيـن اقاموا منهجهم في معرفة الله تعالى وتوحيده على قاعدة البحـث

---

(١) ابن تيمية : الفتاوى جـ ٢ ص ٢٢ .

(٢) قال الشهرستاني طالع المعتزلة كتب الفلاسفة حيث فسرت أيام المأمون فخلطوا مناهجها بمناهج الكلام " الملل والنحل جـ ٢ ص ٣٦ " .

بالطرق المنطقة والكلامية اولا ثم ايقاف صحة الايمان على ذلك .

وقد أثروا بهذا الاتجاه على الفرق الاسلامية الأخرى كالأشاعرة والماتريدية الذين اشتهر من بينهم عدد من النظار مثل : أبو بكر الباقلاني (١) وأبو المعالى الجوينى (٢) والفخر الرازى (٣) وأبو حامد الغزالى (٤) وسيف الدين الآمدى (٥) على اختلاف فيما بينهم فى القرب والبعد عن المنهج القرآنى ، ثم بلغ اختلاط مسائل علم الكلام (٦)

---

(١) هو القاضى أبو بكر محمد بن الطيب البقلاني البصرى صاحب كتاب اعجاز القرآن والتمهيد وكتاب هداية المسترشدين والمقنع فى معرفة أصول الدين ، قال عنه القاضى عياض انه كبير وذكره ابن تيمية فى فتاويه ٥ / ٢٤١ وكتاب الانتصار لصحة نقل القرآن وغيرها من الكتب (ت ٤٠٣ هـ - ١٠١٢ م) كحالة معجم المؤلفين ج ١٠ ص ١٠٩

(٢) هو الامام أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى ابن امام الحرمين أبو محمد الجوينى (ت ٤٧٨ - ١٠٩٥) كحالة معجم المؤلفين ج ٦ ص ١٨٤

(٣) سبقت ترجمته .

(٤) سبقت ترجمته .

(٥) هو على بن أبى على سيف الدين الآمدى المتوفى سنة ٦٣١ هـ كحالة معجم المؤلفين ج ص ١٥٥

(٦) علم الكلام هو علم التوحيد ويسمى أيضا علم أصول الدين أو الفقه الأكبر وظهرت تسميته بعلم الكلام فى عصر المأمون وسبب هذه التسمية مختلف فيها بين أن تكون اظهر مسألة بحثوها هى مسألة الكلام ، أو المقصود بالتسمية مقابلة تسمية الفلاسفة لفن من فنون علمهم بالمنطق اذ الكلام والمنطق مترادفان . أنظر الشهرستانى / الملل والنحل جـ ١ ص ٣٦ وقد يكون سمى بعلم الكلام كما يقول سعد الدين التفتازانى أن كثرة الخوض فى المباحث العقدية وظنية الكلام فيها لمنافحة الخصوم حملتا كتاب مقالات الفرق والمهتمين بها على تسمية هذه المباحث بالكلام أو أن قوة الأدلة المعتمدة لهذه المباحث ووضوحها يقصر الكلام عليها دون سواه أى أن الفقيه والنحوى والطبيب مثلا ليسوا أهل كلام . أنظر التفتازانى شرح العقائد الفلسفية ص ١١ ،

بالمباحث الفلسفية مداه على ايدى المتأخرين من المتكلمين كالبيضاوى [1] والتفتازانى [2] والايجي [3] والجرجانى [4] وهو ما دعا ابن خلدون [5] الى أن يقول : " لقد خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بموضوع الالهيات ، ومسائله بمسائلها فصارت كأنها فنا واحدا [6] ، ذلك لأن الفرق بين المتكلم والفيلسوف هو : ان منطلق المتكلم عقدى ايمانى ، حيث دله الشرع على الفاعل ، وأما نظرته الاستدلالية العقلية فهى لازالة الشكوك ودفع الشبه والدفاع عن عقيدته بخلاف الفيلسوف فنظره فى الالهيات [7] غير نابع من العقيدة الاسلامية بل من العقل ولذلك تراه كثيرا ما يخالفها ويحاول نفيها .. ولذا يرى المتكلمون أن الأصل فى علم الكلام هو التمسك بالكتاب والسنة [8] كما يرون أن نظر

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) هو سعد الدين مسعود التفتازاني صاحب المختصر على التلخيص (ت ٧٩١) .

(٣) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار الايجي الشيرازى ولقبه عضد الدين صاحب المواقف والعقائد العضدية وغيره (ت ٧٥٦) .

(٤) سبق ترجمته

(٥) هو أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى التونسى (ت ٨٠٨ هـ) .

(٦) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٩٥ بتصرف

(٧) علم الالهيات (Thiologie) هو علم ينظر فى الوجود المطلق "الماهيات" الامكان الوجوب مبادئ الموجودات الروحانية احوال النفس بعد مفارقة الاجسام وعودتها الى المبدأ .. الخ ويسمى ايضا علم ما وراء الطبيعة ، وكتب ارسطو فى " الالهيات " لخصها ابن سينا فى كتاب الشفا والنجا وكذلك لخصها ابن رشد المفيد .

(٨) جاء تعريف علم الكلام فى شرح المقاصد لسعد الدين التفتازانى أنه (العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية وموضوعه المعلوم من حيث يتعلق به اثباتها ومسائله القضايا النظرية الشرعية الاعتقادية وغايته تحلية الايمان بالايقان ومنفعته الفوز بنظام المعاش ونجاة المعاد ص ١٢ وما بعدها .) هذا باطلاق

هذا هو نظر المتكلمين لأنفسهم وان كان لا يسلم لهم فكثيرا ما كان اتباعهم لعقولهم سببا لوقوعهم فى الضلال .

العقل يتبع فى الملة هداه وفى الفلسفة هواه " (١)

ومن المعلوم أن علماء الكلام يصدرون مباحثهم بمسائل العلم والنظر باعتبارها الطرق الموصلة الى معرفة أدلة وجود الله تعالى

فلنوضح اذن فى المبحثين التاليين :

أولا : مسألة النظر الذى هو وسيلة لادراك الحقائق .

ثانيا : قضية المعرفة التى هى من مبادىء الاستدلال على العلم به سبحانه وتعالى .

أما مفهوم العلم فليكن فى قسم " منهج العلم فى اثبات وجود الله تعالى " لما بينهما من ترابط ، ولأن الرأى فى تفسير الوجود يجب أن يكون مبنيا على الرأى فى طرق المعرفة .

١) مسألة النظر :-

النظر عند علماء اللغة أعم منه عند المناطقة والمتكلمين ، فعند اللغويين : مشترك بين عمل البصر والبصيرة (٢) ، وهو يتعدى الى المبصرات بنفسه ، ويتعدى الى المعانى بفى (٣) ،

---

(١) التفتازانى شرح المقاصد ص ١١

(٢) الصحاح باب الراء فصل النون

(٣) المصباح المنير النون مع الطاء وما يثلثهما تقول نظرت اليه أى ابصرته ونظرت فى الأمر أى تدبرته .

ولا يلزم عند اللغويين الترتيب الذى شرطه المناطقة فى بابى المعرفة والأقيسه . (١)

وأما عند المناطقة فهو خاص بالبصيرة وهو عمل القلب ومع هذا هناك شبه شديد بين نظر البصيرة ونظر البصر كما ذكره السعد (٢) بقوله : " ان نظر البصيرة أشبه شىء بنظر البصر ، فكما أن من يريد ادراك شىء ببصره يقطع نظره عن سائر الأشياء ويحرك حدقته من جانب الى جانب الى أن يقع فى مقابلة ذلك الشىء فيبصره ، كذلك من يريد ادراك شىء ببصيرته يقطع نظره عن سائر الأشياء ويحرك حدقة عقله من شىء الى شىء الى أن تحصل له العلوم المرتبة المؤدية الى ذلك المطلوب " . (٣)

أما الراغب (٤) : فعنده أن النظر تقليب البصر والبصيرة مما لادراك الشىء ورؤيته أو قد يراد بالنظر التأمل والفحص ، أو يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو الروية ، فيقال نظرت فلم تنظر أى لم تتأمل ولم تتروى ، وقوله تعالى : (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) (٥) أى تأملوا . (٦)

---

(١) يقول المناطقة بترتيب الأمور المعلومة ليتوصل بها الى مجهول كتقديم الصغرى على الكبرى والجنس على الفصل وغير ذلك مما شرطوه فى بابي المعرفة والأقيسة .

(٢) سبق ترجمته .

(٣) سعد الدين التفتزانى : شرح المقاصد ص ٥٥ .

(٤) هو أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ت ٥٠٢ هـ .

(٥) سورة يونس الآية ١٠١ وتتمتها : (وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) .

(٦) المفردات فى غريب القرآن كتاب النون ص ٤٩٧ .

وعند ابن قيم الجوزيه النظر نوعان :

الأول : النظر الى الآيات الكونية بالبصر الظاهر فيرى مثلا زرقة السماء ونجومها وعلوها وسعتها وهذا نظر يشارك الانسان فيه غيره من الحيوانات وليس هو المقصود بالأمر بالنظر .

والثاني : هو أن يتجاوز هذا الى النظر بالبصيرة الباطنية وهو التأمل الصادق والروية الصحيحة حتى يعرف الناظر مقدار عظمة ربه وعلمه التام وحكمته الواسعة وهذا هو النظر الذى أمر الله تعالى به خلقه .(١)

النظر فى الاستعمال القرآني :-

ان كلمة النظر فى الاستعمال القرآنى الشريف لها مدلول خاص بها يعنى عدم التوقف عند النظر الحسي ، وانما توجيه هذا الادراك الحسي توجيها مفيدا وذلك بجعله طريقا الى الادراك العقلى وبذلك يتولد الادراك العقلى من الادراك الحسى ويستند اليه ويبين ابن عاشور (٢) المعنى الجديد الذى جاء به القرآن الكريم فى

---

(١) مفتاح دار السعادة جـ ١ ص ١٩٩ بتصرف .

(٢) هو الشيخ العلامة محمد الفاضل ابن عاشور المبدع فى بحوثه والمتعمق فى تحاليله والدقيق فى تعليلاته ، مفتى تونس الأسبق وعميد الكلية الزيتونية الذى أسس منهج التدريس بها وصاحب كتاب التفسير ورجاله ، وأعلام الفكر الاسلامى فى تاريخ المغرب العربى وتراجم الاعلام ، وأركان النهضة الأدبية فى تونس وغيرها من الكتب والمحاضرات - توفى رحمه الله فى ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .

استعماله لكلمة النظر ، فيقول : " واستعمل كلمة النظر على معنى من الكناية فيه تحويل الكلمة الى المعنى الذى خرجت به عن المعنى الوضعى للأصلى مع التفات دائم الى المعنى الأصلى وهو معنى الكناية الذى يستعمل فيه اللفظ في غير ما وضع له مع جواز ارادة المعنى الأصلى الذى وضع له أو هو على معنى استعمال المشترك فى معنييه بناء على قول القائلين بذلك من الأصوليين ، أو من استعمال اللفظ فى حقيقته ومجازه بناء على قول الذين يقولون بذلك أيضا " (١)

وأما عن كيفية التساند بين الحاسية والعقلية عند الانسان ومن منهج القرآن فى تحصيل المعارف عن طريقهما فان ابن عاشور يقول فى ذلك : " وبهذا المعنى من الربط بين الحاسية والعقلية فان دعوة القرآن ربطت بين الطبيعة - التى هى موضع الادراك الحسي - وبين ما بعد الطبيعة التى هي المجردات ، التى هى الادراك العقلى بصورة جعلت الحس ممتزجا مع العقل والمدركات الحسية معصومة باستنادها الى النتائج التى وراءها من المدركات العقلية .

والمدركات العقلية معصومة أيضا باستنادها الى أصولها وأسسها ومقدماتها التى هى المدركات الحسية ، ثم جعل الفكر الذى هو كما قلنا فى معنى النظر طريقا الى تحصيل العقيدة وجعل العقيدة

---

(١) ابن عاشور محمد الفاضل : المحاضرات المغربيات ص ١٦٩ .

متحكمة فى السلوك ، بحيث انه مزج مزجا عجيبا بين هذه العناصر التى كانت متنافرة متناثرة وهى الفكرة والعقيدة والسلوك ."(١)

هذا المنهج يختلف عن مناهج المعرفة الأخرى سواء منها اليونانية القديمة أو الغربية الحديثة فجميعها مذمومة تؤدى الى مدارك مختلفة أثبت العقل السليم ضعفها وتهافتها ، فالسفسطائيون الذين ينكرون حقائق الأشياء أو ينكرون امكان العلم بها يثبت لهم القرآن الكريم أن حقائق الاشياء ثابتة وأنه فى امكان الناس أن يدركوها اذا عصموا أنفسهم من المضلات والعوائق ، والحسيون الذين يأخذون بالواقعية الحسية وينكرون الثبوت العقلي يدعوهم القرآن الى استعمال مداركهم العقلية والحسية على طبيعتها دون أن يعطوا شيئا منها قال تعالى : (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت) (٢) فقد ربط القرآن فى هذه الآيات وفى غيرها من الآيات الكونية بين الأشياء المدركة بالبصر ، وبين المغيبات التى يدركها العقل بتوجيه من الوحي ، وبهذه الصورة العجيبة أصبح الحس ممتزجا مع العقل ، كذلك بالنسبة للعقليين الذين يأخذون بالواقعية العقلية وينكرون

---

(١) المصدر السابق .

(٢) سورة الغاشية الآيات (١٧ الى ٢٠) .

الثبوت الحسي ، فهؤلاء يرد عليهم بقوله تعالى : (والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والبصر والأفئدة لعلكم تشكرون) (١)
فمن أهمل العبرة بما بحسه فكأنه عادم للحواس ، وهذا بحد ذاته ولا شك من معارفه قال تعالى : (ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) (٢).

أما الذين يأخذون بالتجربة ويعطلون كلا من الثبوت العقلي والثبوت الحسي فهؤلاء وان كانت لهم قلوب فانهم لا يدركون بها شيئا لانها كانت جوفاء ليست بذوات ألباب .

واذن فجميع المناهج البشرية في المعرفة أعرض عنها القرآن لعدم استقامتها ورشدها ، ودعا الناس الى أسلوب جديد يختلف تماما عن الأساليب الأخرى ، فدعاهم الى النظر في حقيقة الكون كله طبيعة السماوات وطبيعة الأرض ، وموقع الانسان في هذا الكون نفسا وعقلا واخلاقا ، بل يمكنهم ان يتناولوا بالنظر ما بعد الطبيعة مستدلين بالوحي حتى لا ينتهوا الى ماانتهت اليه الدعوات الفلسفية والدينية المحرفة ، وذلك باستعمال الباحث المتميزة عن عقول الآخرين وحواسهم ذات الاتجاه السليم ، فالاستعمال السليم للحواس الموصل للمعرفة الصحيحة يجب أن يتم عن طريق التصاعد بين المدركات الحسية والمدركات العقلية وهذه المدركات بنوعيها تستند الى أصول

---

(١) سورة النحل الآية ٧٨ .
(٢) سورة الاعراف ١٧٩ .

وأسس ومقدمات فالوحي والفطرة السادقة والانتفاع بالحواس كلها من غير تعطيل لبعضها ، تؤدى جميعها الى الطريق السحيح لتحصيل العقيدة .

النظر فى عرف المتكلمين : -

وأما معنى النظر فى عرف (١) المتكلمين فعند أكثرهم هو " الفكر الذى يطلب به علم (٢) أو ظن (٣) " وهو تعريف مركب من الجنس

---

(١) يعرف الشريف الجرجانى العرف بقوله : (العرف ما استقرت النفوس عليه وتلقته العقول بالقبول وهو حجة أيضا) التعريفات ص ١٥٤ .

(٢) سواء كان ذلك العلم تصورا أو تصديقا والعلم التصديقى هو الادراك المتعلق بالنسبة الخبرية بين الشيئين على وجه الجزم المطابق الثابت والتصور هو ادراك صورة الشيء من غير حكم عليها بالنفى أو الاثبات على وجه الجزم أو الظن وهو يشمل المفرد مثل محمد ، وكتاب ويشمل المركب الانشائى مثل :اكتب الدرس لا تلعب ، ولقد قابل العلم هنا بالظن ، لأن المراد بالعلم اليقين والمراد بالتصور اشتماله على الرجحان والاعتقاد الفاسد والمطابق وأما الاتيان (بأو) فلافادة خاصة النظر الشاملة لنوعية وهو كونه يفيد أحد هذين وليست للشك النافي للتعريف .

(٣) القصد بالظن هو غلبة الظن عند المتكلمين وليس الظن الفاسد ولا الجهل ، وانما هو الظن المرجح الذى يفيد فى الأنظار الفقهية وستأتى مناقشة هذه المسألة فى مطلب الرسالة عند بيان نوعي النظر ورأى شيخ الاسلام ابن تيمية فى ذلك .

والغاية ، وهذه الغاية فى النظر لا يخرج عنها أى تعريف من تعاريفه الأخرى كقولهم هو (ترتيب أمور معلومة ليتوصل بها أى بترتيبها الى مجهول) (١) أى الى العلم بذلك المجهول ، أو كما عند الامام الرازى انه ترتيب تصديقات ليتوصل بها الى تصديقات أخر (٢) فالمراد من التصديق عنده هو (اسناد الذهن امر الى أمر بالنفى أو بالاثبات اسنادا جازما ، أو ظاهرا) (٣) ، وهو ما يعرف عنده بالتصديقات المطابقة ، وهى قد تكون علوما فيكون اللازم عنها أيضا علما ، أو قد تكون ظنونا فيكون اللازم عنها أيضا ظنا أو بعضها يكون ظنيا وبعضها علميا فيكون اللازم عنها ظنا ويعلل الرازى ذلك بقوله (لأن حصول النتيجة موقوف على حصول جميع المقدمات فاذا كان بعضها ظنا كانت النتيجة موقوفة على الظن والموقوف على

---

(١) الايجي : عضد الدين : المواقف ص ١٨٩ ، والتفتازانى شرح المقاصد جـ ١ ص ٥٥ وهذا التعريف منسوب للباقلاني ، أنظر كتابيه التمهيد والانصاف .

(٢) ذكر هذا التعريف بصيغ مختلفة الا أنها متقاربة فى المعنى انظر المواقف للآيجي ص ١٨٩ وما بعدها ، وانظر المقاصد للتفتزانى جـ ١ ص ٥٤ ومثال ذلك ترتيب المقدمة الصغرى مع الكبرى فى قولنا (العالم متغير وكل متغير حادث فالصغرى قولنا العالم متغير ، والكبرى قولنا كل متغير حادث) فهذا الترتيب موصل للعلم بحدوث العالم المجهول حدوثه قبل ذلك الترتيب .

(٣) الفخر الرازى المحصول فى علم الأصول جـ ١ ص ١٠٥ .

الظن ظن ، فالنتيجة ظنية لا محالة [١] .

ويرى صاحب [٢] المواقف : " ان النظر هو ملاحظة العقل ما عنده لتحصيل غيره " [٣] ، كما يورد تعريف الباقلاني للنظر فيقول : " انه الفكر الذى يطلب به علم أو غلبة ظن " [٤] .

والملاحظ أن هذه التعريفات تتفق فى ان النظر قد يؤدى الى العلم وكذلك قد يؤدى الى الظن أى الظن المرجح الذى يقال له غلبة الظن ، وهو يفيد فى الانظار الفقهية ، وأما المعتزلة فانهم يرون أن النظر الصحيح يحصل عنده العلم [٥] كما سيأتى .

ثم ان المتكلمين يبحثون العلم من حيث كونه علما ضروريا [٦] أو نظريا [٧] فالضرورى يحصل من غير احتياج الى تفكر كالعلم [٨]

---

(١) المصدر السابق ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٢) سبق ترجمته .

(٣) ، (٤) الايجي : المواقف ص ١٨٩ وما بعدها .

(٥) عبد الجبار : النظر والمعارف جـ ١٢ من المغنى فى أبواب التوحيد والعدل .

(٦) يعرف الباقلاني العلم الضرورى بقوله : (علم يلزم نفس المخلوق لزوما لا يمكنه معه الخروج عنه ولا الانفكاك منه ولا يتهيأ له الشك فى متعلقه ولا الارتياب فيه (التمهيد ص ٧ طبع دار الفكر العربى ١٩٤٧) .

(٧) يقول الايجى عن العلم النظرى انه (ما يتضمنه النظر الصحيح) المواقف جـ ١ ص ٩٣ .

(٨) هنا المراد بالعلم والمعرفة واحد لا كما اصطلح عليه بعضهم من تخصيص العلم بالمركبات أو الكليات والمعرفة بالبسائط والجزئيات .

بأن كل شيء اعظم من جزئه ، فانه بعد تصور الكل والجزء الأعظم لا يتوقف في المعرفة على شيء ، وهذا هو العلم المعبر عنه بالبداهة والنظري استدلالي يحتاج فيه الى نوع تفكر سواء أكان هذا التفكير على الاطلاق فيشمل (تحديق العقل في المعقولات) أو هو حسب الطريقة المنطقية وهو المقصود هنا ، والعلم النظري ينقسم بدوره الى قسمين :

القسم الأول : التعليل وهو أن ينظر في العلة ليصل الى المعلول كما اذا رأى نارا فعلم أن لها دخانا وهو ما يسميه المناطقة بالبرهان اللمي .(١)

---

(١) البرهان : هو اقامة الدليل والحجة باتباع وسائل رياضية ومنطقية ، وأضيف الى لفظ اللمي ليكون أحد قسمي القياس البرهاني وقد عرف المناطقة القياس البرهاني بأنه ما تألف من مقدمات يقينية لانتاج النتائج اليقينية ، واليقين هو اعتقاد جازم مطابق للواقع ممتنع التغير ، وأما البرهان اللمي فهو ما كان الحد الأوسط فيه علة لنسبة الأكبر الى الأصغر في الذهن والخارج ، وسمي لميا لأنه يجاب به عن السؤال بلمم التي يسأل بها عن العلة فاذا قيل زيد محموم ، فيقال لم فيجاب بأنه متعفن الاخلاط وكل متعفن الاخلاط محموم ، فالحد الأوسط علة لثبوت الأكبر وهو محموم للاصغر وهو زيد

القسم الثاني : الاستدلال أن ينظر في المعلول ليصل الى العلة كما اذا رأى دخانا فعلم ان لها نارا وهو المسمى بالبرهان الانى (١) .

اما الالهام المفسر بالقاء معنى في القلب بطريق الفيض فلم يعتبر من أسباب المعرفة بصحة الشيء عند أهل النظر .

وأما النظر الصحيح عندهم فهو ما صحت مادته وصورته وهي الأمور المرتبة ليتوصل بترتيبها الى المطلوب صحة ، وذلك تعتبر لمادته وصورته لأنه يتوصل بتلك المادة وتلك الصورة حينئذ

---

(١) البرهان الانى هو القسم الثانى من القياس البرهانى ، وهو ما كان الحد الأوسط فيه علة لثبوت الأكبر للاصغر في الذهن دون الخارج مثل : زيد محموم ، وكل محموم متعفن الاخلاط فزيد متعفن الاخلاط وسمى هذا القياس إنيا لأنه يفيد الأنية اى الثبوت في الذهن دون لميته في الخارج فهو منسوب لأن ، والأول للم ، وهذا هو نفس ما وضعه بعد ذلك بقرون " جون استيوارت مل " في مسألة قوانين الاستنباط وبحث ما هو علة وما هو معلول ، الا أن مناطقة المسلمين لم يحللوا الطرق التى توصل الى معرفة العلة والمعلول لأن البحث فيها لم يعتبروه من علم المنطق بل من موضوعات قسم الالهيات .

الى المطلوب فيصدق أن النظر الجامع لتلك المادة المحصل لتلك الصورة افضى الى المطلوب فيكون صحيحا . (١)

النزاع فى وجوب النظر : -

والنظر الذى يعنينا فى هذا البحث هو النظر فى معرفة الله والمذاهب فى وجوبه ثلاثة :

المذهب الأول : مذهب المعتزلة : -

يقول المعتزلة بوجوب النظر عقلا وسبب وجوبه عندهم هو

(١) لما كان للنظر تصور وتصديق تحقق له طريقان فى التوصل : يسمى أحدهما : معرفا وهو " التوصل الى التصور " ، ويسمى الآخر برهانا " وهو التوصل الى التصديق " واجزاء الأول والثانى مادته .
والمادة فى الأول الذى هو المعرف أن يكون المذكور فى معرض الجنس جنسا لا عرضا عاما مثلا ، والمذكور فى معرض الفصل فصلا قد يبين فى الحد التام أو مطلقا فى غيره أى الحد الناقص باعتبار الجنس ويكون المذكور فى معرض الخاصة خاصة شاملة لازمة لا غير شاملة أو غير لازمة ، وصحتها فى الثانى وهو البرهان ان تكون مقدماته مناسبة للمطلوب بحيث تفضى اليه لا أجنبية عنه وأن تكون يقينية فى المطالب اليقينية وظنية فى المطالب الظنية وصحة صورة المعرف أن يتقدم الجنس على الفصل أو الخاصة بترتيب يقتضى تسمية المجموع شيئا واحدا يوازن صورة المطلوب أو يميزها وصحة صورة البرهان أن تكون مقدماته متصفة بشرائط الانتاج كما تقرر فى شروط انتاج الاشكال فى المنطق .

الخوف من الضرر من تركه وأسباب هذا الخوف منها ما يرجع الى ما يسمعه المكلف من اختلاف الناس وتضليل بعضهم البعض ، ومنها ان المكلف الذى لا يعرف المنعم عليه يتعرض لمعصيته بعدم شكره (١) وقد رد عليهم الاشاعرة بأنه لو سلم حصول الخوف فانه لا يسلم أن النظر يدفع هذا الخوف ، فقد يخطىء الناظر فلا تتم له المعرفة على الوجه الصحيح فيكون حينئذ الخوف أكثر ويقولون : (لا يقال الناظر أحسن حالا قطعا من المعرض لانا نقول ذلك ممنوع لأن النظر قد يؤدى الى الجهل المركب الذى هو أشد خطرا من الجهل) (٢) .

ويظهر أن هذا الرد لم يلاحظ أن المعتزلة يشترطون فى النظر افادته العلم ، أى اليقين دون الظن ، كذلك ينسحب هذا الرد على النظر الواجب بالشرع الذى يقول به الاشاعرة لأنه بعد الوجوب بالشرع يترك للعقل الفرصة كي ينظر ، وحينئذ يكون عرضة للخطأ كالنظر الواجب بالعقل .

المذهب الثاني : مذهب الأشاعرة :-

ويبينه القاضى الباقلاني بقوله (أول ما فرض الله عز وجل على جميع العباد النظر فى آياته والاستدلال عليه بآثار قدرته) (٣)

---

(١) عبد الجبار : المحيط بالتكليف جمع الحسن بن أحمد المجلد الأول تحقيق الاستاذ / عمر السيد عزمى ص ٣٠ ، ٣١ .

(٢) الايجي : المواقف جـ ١ ص ٢٧١ .

(٣) المصدر السابق

ولذا فالذى أوجب النظر عندهم هو الشرع أى القرآن وبالتالى الحديث والاجماع ، ولكن قد تكون أدلة النصوص ظنية لاحتمال أن الأمر لا يفيد الوجوب ، ثم انه لما كان الاجماع على أن معرفة الله واجبة وهى لا تتم الا بالنظر ، فان النظر يصير بدوره واجبا لأن قاعدتهم تقول " ان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب " .

المطلق

المذهب الثالث : مذهب أهل السنة وكثير من أهل الكلام : -

وهو مذهب المنكرين لوجوب النظر وأهم دليل عندهم هو تقرير النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة وأهل سائر العصور العوام على ايمانهم مع عدم الاستفسار عن الدليل (١) .

ويورد شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله نصا يبين النزاع فى وجوب النظر فيقول : يقول أبو الحسن الآمدى على لسان المنازع فى مسألة وجوب النظر(٢) انا لا نسلم أنه لا طريق الى معرفة الله الا النظر والاستدلال ، بل أمكن حصولها بطريق آخر اما بأن يخلق الله تعالى العلم للمكلف بذلك من غير واسطة ، واما أن يخبره به من لا يشك فى صدقه كالمؤيد بالمعجزات الصادقة ، واما بطريق السلوك والرياضة وتصفية النفس وتكميل جوهرها حتى تصير متصلة بالعوالم

العلوية مطلعة على ما ظهر وما بطن ، من غير احتياج الى تعليم وتعلم ، ثم انه يرد على هذا المنازع بعد ذلك فيقول : " قولهم لا نسلم توقف المعرفة على النظر قلنا نحن انما نقول بوجوب النظر في حق من لم يحصل له العلم بالله تعالى بغير النظر (١) والا فمن حصلت له المعرفة بالله بغير النظر ، فالنظر في حقه غير واجب " (٢)

ولذلك جوز كثير من أئمة الكلام وعامة أهل السنة وقوع معرفة الله ضرورة كما قال أبو حامد الغزالي ، والرازي ، والآمدي وغيرهم

---

(١) كثير من علماء الكلام والصوفية والشيعة يقولون أن المعرفة يبتدئها الله اختراعا في قلوب العقلاء البالغين من غير سبب يتقدم وغير نظر ، وانها تقع ضرورة فمن المتكلمين صالح قبه من أئمة المعتزلة ورئيس فرقة الصالحية (ت ٢٤٦) أنظر : زهدي جار الله : المعتزلة ١٤٥ وفضل الرقاش وهو أبو عيسى الفضل ابن عيسى بن أبان الرقاشي البصري المتوفى نحو سنة ١٤٠ هـ ورئيس طائفة من المعتزلة تنسب اليه ، أنظر فضل الاعتزال ص ٩٦ - ٢٣٧ ، والجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر توفى سنة ٢٥٥ وقيل سنة ٢٥٠ هـ رأس فرقة الجاحظية الذي كان يقول : ان معرفة الله ضرورية وأنها تقع في طباع نامية عقب النظر والاستدلال ، وأن العبد غير مأمور بها ، أنظر الملل والنحل ١/ ٧١ - ٧٢ ، والفرق بين الفرق ص ١٠٥ - ١٠٦ ، والمعتزلة لجار الله ص ١٤٥ - ١٤٨ ، وأنظر كل ذلك في درء تعارض العقل والنقل الجزء السابع ص ٣٥٣ .

بحصول المعرفة بالله تعالى تارة بالضرورة وتارة بالنظر (١) .

النظر سبب لحصول العلم :-

وأما افادة النظر للعلم ، فللقرآن الكريم أسس معرفية نجدها في قوله تعالى : (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) (٢) .

فليس مصدر هذه المعرفة أعماق النفس البشرية ذاتيا لأنه سبحانه يقول فى آية أخرى : (والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا) (٣) ، وانما باجتهاد يقوم به الانسان باسم الله حيث يستمد منه مبادئه ووسائله وغاياته ، ويوضح ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : ((اللهم لا علم لنا الا ما علمتنا)) (٤) أى أنه يضيف هدى الله على جهد الانسان للوصول الى العلم ، وهذا نظير خلق الله للانسان نفسه ، فالخالق : الله ، والمعلم : الله أيضا ، والخلق من الله لا ينافي وجود جهد بشرى ، فلقاء رجل بامرأة مثلا حسب السنة الالهية مجرد عطية (بيولوجية)

---

(١) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل جـ ٧ ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ وذكر محققه أن ذلك جاء فى ابكار الافكار للآمدى جـ ١ ص ٩٩.

(٢) سورة العلق ١ الى ٥ .

(٣) سورة النحل آية ٧٨

(٤) أخرجه البخارى فى التهجد والتوحيد .

هي سبب الخلق ا التعليم من الله لا ينافي وجود جهد بشري كما
تحصل الكتابة بالقلم ، وحصول ذلك من العبد شرط لوجود العلم
والعلم والكتابة ، وسبب من اسبابها وعلة ناقصة إذ لا يكون ذلك ب
وحده .

اذن فالمعرفة كما جاءت في القرآن الكريم هي أن الانسان لم يعثر على هذه المعرفة بنفسه ، ولكن الله تعالى هو الذي أعطاه اياها ، أي أعطاه بذرتها منذ البداية ، وذلك من البديهيات أي العلوم الضرورية ، وأما نمو هذه البذرة فيكون باجتهاد بشري مشروط بالاستمداد من الله تعالى .

وقد ذكر ابن تيمية في تفسير أول سورة العلق انه سبحانه وتعالى الخالق والمعلم معا حيث قال : (وهو سبحانه علم ما في الاذهان وخلق ما في الاعيان وكلاهما مجعول له ، لكن الذي في الخارج جعله جعلا خلقيا ، والذي في الذهن جعله جعلا تعليميا ، فهو الذي (خلق الانسان من علق) وهو (الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) [1] .

وقد صاغ الاشاعرة افادة النظر للعلم بهذه الصورة التي تعبر أيضا عن وجهة نظرهم فقالوا : يخلق الله تعالى العلم عقب تمام النظر بطريق اجراء العادة أي بتكرر ذلك دائما من

---

(١) ابن تيمية : مجموعة تفسير شيخ الاسلام ابن تيمية ص ٢٠٥ .

غير وجوب بل مع جواز أن لا يخلقه على طريق خرق العادة ، وذلك نتيجة لاستناد جميع الممكنات الى قدرة الله تعالى واختياره فهو الخالق لكل شيء ، فان شاء خلق العلم عقب النظر ، وهو المعتاد وان شاء تركه فلا يحصل عقبه خرقا لهذه العادة (١) ، وأصحاب هذا المذهب فرقتان (٢) .

وهناك من يقول : بحصول العلم عقب النظر على وجه اللزوم العقلي ، بمعنى أنه لا يمكن عقلا أن ينتفي العلم بعد تمام النظر بشروطه بل اذا حصل النظر بشروطه حصل العلم عقبه حصولا واجبا وجوبا عقليا . (٣)

---

(١) سعد الدين التفتازاني : شرح المقاصد ص ٥٧ .

(٢) تقول الفرقة الأولى بحصول العلم بعد النظر مع الكسب ، أي مقارنته للقدرة الحادثة في محلها لأنه معنى مقصود حاصل بالقدرة الحادثة أو مفارق لها في محلها وكل فعل كذلك فهو كسبي وتقول الفرقة الثانية بحصول العلم عقب النظر بدون الكسب ، أي بحصول العلم بعد النظر بمحض قدرة الله القديمة من غير أن يتعلق به قدرة العبد اذ يضطر العبد الى حصوله عادة والوجدان يؤكد هذا القول ولهذا يقال التكليف بالعلم تكليف بأسبابه .
والظاهر أن الخلاف بين الفريقين لفظي فالفريق الأول ينظر الى أن اكتساب السبب اكتساب للمسبب ، والثاني ينظر الى أن نفس المسبب مضطر اليه عادة ، وأنظر المصدر السابق ص ٥٧ - ٥٨ .

(٣) التفتازاني سعد الدين : المقاصد ص٥٨ .

والقائلون بالوجوب العقلي ثلاث فرق :

الأولى : المعتزلة : حيث تقول باللزوم على طريق التولد وهو أن يوجب فعل لفاعله فعلا آخر والمراد بالفعل هنا نفس الحاصل كالعلم لا للتأثير فيه ، فالقدرة الحادثة عندهم أثرت في وجود النظر ، والنظر أوجب لفاعله علما بالنتيجة كحركة اليد مع حركة المفتاح .

الثانية : الفلاسفة : اذ يرون أن اللزوم يكون على طريق تحقق الفيض بكمال الاستعداد من واهب الصور ، فاذا استعد العقل للعلم بتمام النظر وجب الفيض بالعلم عليه من واهب الصور وهو المسمى عندهم بالعقل الفياض الذى ارتسمت فيه صور الأشياء جميعا ، ويزعمون أنه هو المعبر عنه فى لسان الشرع باللوح المحفوظ والكتاب المبين . (١)

وقد اكتفى الاشاعرة بالرد على المعتزلة والفلاسفة بدليل واحد وهو أن الافعال كلها لله تعالى ، فلا يسند شىء منها الى فعل مولد ولا الى فياض آخر .

أما الفرقة الثالثة فيمثلها الامام الرازى : اذ ترى أن النظر يستلزم العلم بالنتيجة بطريق الوجوب الذى لا بد منه من غير

---

(١) التفتازانى سعد الدين : شرح المقاصد ص ٥٩ .

أن يكون النظر علة أو مولدا ، وقد نقل هذا عن القاضى أبو بكر الباقلاني وامام الحرمين ، وقال عنه الامام الغزالى أنه المذهب عند أكثر أصحابنا . (١)

أما ابن تيمية فانه يفرق بين نوعين من النظر من جهة افادة العلم وعدمه ، فالذى يفيد العلم هو النظر الاستدلالى أى أن الناظر فى الدليل اذا تصور هذا الدليل علم الحكم ، مثاله : أن من علم أن الخمر حرام ، وان كل مسكر خمر لزم ان يعلم أن كل مسكر خمر حرام ، فهذا النظر انتقال من المبادىء الى المطالب .

وأما النظر الآخر فهو نظر طلبي بمعنى أن الناظر فى المطلوب حكمه قد يظفر بدليل يدله على حكمه أولا يظفر مثال ذلك : طالب الضالة فقد يجدها وقد لا يجدها فهذا النظر انتقال من المطالب الى المبادىء وهو عكس الأول .

وقد بين ابن تيمية الفرق بين النظر فى الحكم والنظر فى الدليل فقال عن النظر الطلبى :

النظر الطلبي :-

انه التحديق لطلب الرؤية ، وهو بمنزلة تحديق القلب فى

---

(١) يقصد بذلك الاشاعرة أنظر : التفتزانى شرح المقاصد ص ٥٩ .

المسألة لطلب حكمها ، وهذا قد يحصل معه العلم ، وقد لا يحصل ولا يكون طالب العلم حين الطلب عالما بمطلوبه - تصديقا كان علمه أو تصورا ، على رأى من جعل التصور المطلوب خارجا عن التصديق .

وقال عن النظر الاستدلالي : -

انه نفس الرؤية ، وهو بمنزلة رؤية الدليل كترتيب المقدمتين والظفر بالحد الأوسط فهذا يوجب العلم كما توجب رؤية العين العلم بالمرئى ، ولا ينافي هذا النظر العلم ، فهذا الثاني نظر فى الدليل كالذى ينظر فى القرآن والحديث فيعلم الحكم والأول نظر فى الحكم ، كالذى ينظر فى المسألة لينال دليلها من القرآن والحديث. (١)

٢) قضية المعرفة : -

عرف الجرجانى المعرفة (٢) بقوله : " هى ادراك الشىء على

(١) ابن تيمية : الرد على المنطقيين ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(٢) حقيقة المعرفة عند المتكلمين هى الجزم المطابق عن دليل والجزم معناه الادراك الجازم ، أى الادراك المطابق متعلقه ، وهو النسبة المعتقدة للنسبة التى فى علم الله وخرج بالجزم الظن وهو ادراك أحد المتقابلين براجحيه والوهم هو ادراك احدهما بمرجوحية والشك هو ادراك كل منهما على السواء ، فان المتصف بواحد من هذه الثلاثة (الظن والوهم والشك) فى شىء من العقائد كافر وخرج بالمطابق غيره كالجزم بأن الله تعالى ثالث ثلاثة فانه لا يسمى معرفة بل هو جهل مركب لتركبه من جهلين جهل صاحبه بما فى الواقع وجهله بأنه جاهل لزعمه أنه عالم ، وخرج بقولنا عن دليل والواجماليا التقليد وهو الأخذ بكلام الغير بدون نظر فى دليله .

ما هو عليه ، وهي مسبوقة بنسيان حاصل بعد العلم بخلاف العلم ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف."[1] وهي مطلوبة في عقائد الايمان بقدر الطاقة البشرية كمعرفة وجود الله تعالى ومعرفة صفاته من غير تأويل أو تمثيل : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)[2] ، وكمعرفة أحكام الألوهية وأنه تعالى متصف بسائر الكمالات التي لا نهاية لها ومنزه عن سائر النقائص ، فهذه الأمور مطلوب معرفتها سواء بالأدلة القرآنية الناهضة للتقليد والداعية

---

(١) التعريفات باب الميم ص ٢٣٦ ، ولقد جاءت المعرفة بمعنى العلم كما جاء العلم بمعناها ، وذلك لاشتراكهما في كون كل واحد مسبوقا بالجهل ، لأن العلم وان حصل من كسب فذلك الكسب مسبوق بالجهل . أنظر المصباح المنير المعين في اللام ، ولعل التعبير بحصول العلم من الكسب فيه شيء من الجزم بأن سبب حصول المعرفة هو المجهود البشري وحده ، والحقيقة أن المجهود البشري وان كان لا بد منه فهو مجرد مناسب لخلق الله العلم في العبد - قال تعالى : (وقل رب زدني علما) سورة طه الاية ١١٤ ، وفي الحديث : (اللهم لا علم لنا الا ماعلمتنا) . وأما الدليل على أن المعرفة جاءت بمعنى العلم وبالعكس ، ففي التنزيل قوله تعالى (مما عرفوا من الحق) المائدة آية ٨٣ ، ومعناها علموا ، وقوله تعالى : (لا تعلموهم الله يعلمهم) الانفال ٦٠ أي لا تعرفونهم الله يعرفهم وفي الشعر قول زهير بن أبي سلمى :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي (أو أعرق)

(٢) سورة الشورى الآية ١١ .

الى النظر والاعتبار أو السنة المنبهة على على ذلك وان كان التقليد جائزا للعاجز فيما هو حق ، ففى القرآن نجد مثلا قوله تعالى : (فاعلم أنه لا اله الا الله [1]) وجه الدلالة أنه تعالى كلفنا بالعلم بدليل ، وكذلك قوله : (ليستيقن الذين أوتو الكتاب) [2] ، واليقين هو العلم ، وقوله : (قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) [3] والبصيرة معرفة الحق بدليله ، فمن لم يكن على بصيرة فى عقيدته لا يتمكن من اتباع الرسول على الله عليه وسلم ولا من الدعوة الى الله على بصيرة .

وأما السنة فمثل قوله صلى الله عليه وسلم : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله) [4] ، فالحديث فيه التصريح بوجوب المعرفة . وهو شأن الشهادة فالشهادة ما كانت عن علم حتى يكون الاقرار بالألوهية والتوحيد الخالص واضحا جليا شأن المشهود عليه

---

(١) سورة محمد الآية ١٩ .

(٢) سورة المدثر الآية ٣١ .

(٣) سورة يوسف الآية ١٠٨ .

(٤) الحديث فى الصحيحين : البخارى كتاب الايمان باب فان تابوا يراجع فتح البارى جـ ١ ص ٧٥ .
ومسلم : باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله جـ ١ ص ٣٩ .

ولذلك عرف الراغب الاصفهاني الشهادة بقوله : (قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر)[1] .

واستعملها القرآن للدلالة على شهادة أصحاب البصيرة في قوله تعالى : (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم)[2] فأولوا العلم يشهدون بوحدانية الله تعالى ببصيرتهم لأن عندهم الحجة والبرهان .

ولقد دلت آيات كثيرة على ذم التقليد من مثل قوله تعالى : (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون)[3] ، وقوله : (قالوا أجئتنا لنلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين)[4] .

فالظاهر أن هذا الذم وان كان المقصود به مؤاخذة الأبناء الذين يتبعون الآباء والاسلاف الضالين معارضين بذلك الدليل بالتقليد فانه راجع كذلك الى أن المقلد في أحكام التوحيد لا يجزم بما أخذه عن غيره بلا دليل عليه ، وهو ما يسبب له التردد والتحير

---

(١) الأصفهاني : المفردات كتاب الشين .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٨ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٧٠ .

(٤) سورة يونس الآية ٧٨ .

بل قد يكون الاعتقاد تقليدا [1] مدفوعا اليه بالقوة فيكون كالقلادة لـه يتحلى بها وهى لغيره مع أنه يقدر على النظر .

وهذا هو التقليد الذى ذمه الله تعالى فى غير موضع كما سبـــق ذلك واتفق السلف والأئمة على ذمه - وهو ثلاثة أنواع :

النوع الأول : الاعراض عما أنزل الله ، وعدم الالتفات اليه اكتفـــاء بتقليد الآباء .

النوع الثانى : تقليد من لا يعلم أنه أهل لأن يؤخذ بقوله .

النوع الثالث: التقليد بعد قيام الحجة وظهور الدليل على خلاف قـول المقلـد . [2]

وأما المتبع الذى لم تكن فيه أهلية لمعرفة أدلة الكتاب والسنة فقلـد من هو أعلم منه ممن بذل جهده فى اتباع ما أنزل الله ، فهذا الاتبـاع محمود وغير مذموم وصاحبه مأجور غير مأزور ، بدليل قوله تعالى : (فاسألـوا أهل الذكر أن كنتم لا تعلمون) [3] ، وكذلك بحديث صاحب الشجـة (ألا سألوا اذا لم يعلموا فانما شفاء العي السؤال) [4]

---

(١) هناك فرق بين اتباع الرسل الذى هو واجب ومحمود وبين اتبـاع الطواغيت الذى هو التقليد المذموم المنهى عنه شرعا .

(٢) ابن القيم : أعلام الموقعين جـ ٢ ص ١٦٨ .

(٣) سورة النحل الآية ٤٣ . والأنبياء الآية ٧ .

(٤) أخرجه أبو داود فى كتاب الطهارة وهو حديث حسن صحيح .

ومع هذا فقد اختلف فى ايمان المقلد على أقوال [1] ، وهـــذا

---

(١) القول الأول : كافر .
القول الثانى : مؤمن عاص ان كان قادرا على النظر .
القول الثالث : مؤمن عاص .
القول الرابع : النظر فى الأدلة شرط كمال .
القول الخامس : النظر فى الأدلة محرم .
القول السادس : المقلد للقرآن والسنة يصح ايمانه ، والمقلـــد لغيره لا يصح ايمانه وهذا الأخير فيه مغالطـــة لأن من أخذ بالسنة والقرآن ليس بمقلـــد بل هو متبع أقوى الأدلة ولا مجال للبحث فيـــه انما المقصود بالتقليد هو تقليد غير المعصـــوم بدون معرفة دليله .

أما من يحرم النظر فى الأدلة فالظاهر أنه يقصد الأدلة المنطقيـــة التى لها مقدمات مشتبهة يقع النزاع فيها أو خفية لا يدركهـــا الا الأذكياء كما أن مقاصدها غير مضمونة ، أما لو كان النظـــر جديا يعتمد على التعمق فى دراسة الظواهر الكونية والسنـــن الطبيعية للدلالة على الخالق المتصرف فى شئونه كما يشاء وانـــه رب كل شىء عالم الغيب والشهادة مستحق العبادة والانابـــة فهذا محمود ولا شك ، وهذا ما يقول به السلف .

وأما من قال إن النظر شرط كمال فالظاهر أنه لا يتفق وذم اللـــه تعالى للتاركين للنظر السابق بيانه ، فقد أمر سبحانه بالتدبـــر والتفقه وأعمال الرأى فيما يحيط بنا من مخلوقات ، قال تعالى : (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بهـــا أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) الأعراف آيـــة ١٧٩ ، وكقوله : (وكم من آية فى السموات والأرض يمـــرون عليها وهم عنها معرضون) يوسف آية ١٠٥ . وانظر :
العدوى محمد أحمد الشرح الجديد لجوهرة التوحيد ص١٧ بتصرف .

الخلاف يشمل النظر الموصل لمعرفة الله تعالى وغيره ، كالنظر الموصل لمعرفة الرسل ، كما أنهم لم يراعوا فى ذلك الفرق بين أهل الأمصار والقرى وبين من يعيش فى شاهق جبل .(١)

ثم انه قد يغشى على المقلد الشك عند نزول الدواهى بالقبر حيث يفتقر عندها الى قول ثابت بالأدلة وقوة يقين تنجيه من فتنة القبر ، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : (وأما الكافر أو المرتاب فيقول لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال لا دريت ولا تليت ، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين)(٢) .

وقد قال بعضهم (٣) فى هذا الشأن : ان فتنة القبر هذه لا ينجو منها من قلد فى دينه وترك النظر فى أدلة الرسالة والتوحيد

ولذا فان النفاق عندهم نفاقان : نفاق يصرفه صاحبه من نفسه وهو نفاق الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن فى

---

(١) المصدر السابق ص ١٩ .

(٢) الحديث روى بعدة طرق مختلفة وهو صحيح ، أنظر البخارى كتاب الجنائز باب : الميت يسمع خفق النعال .

(٣) كالشيخ السنوسى : محمد بن يوسف (ت ٨٩٥) ، وابن الدهاق (ت) ، والشيخ العدوى صاحب الشرح الجديد لجوهرة التوحيد وكذلك مؤلف الجوهرة فى قوله :

اذ كل من قلد فى التوحيد ايمانه لم يخل من تردد

معناهم من الزنادقة ، ونفاق لا يعرفه صاحبه من نفسه وهو أن يولد الرجل أو المرأة بين أبوين مسلمين فيسمع قول لا اله الا الله محمد رسول الله فيقول نحو ما سمع اتباعا لهم وتقليدا فى ذلك من غير أن ينظر فى خلقه ومن أى شىء خلق وكيف انتقل من طور الى طور ، وقد نبهوا المقلد بأن لا يتمو فيستدل على أنه على الحق بتصميمه وكثرة تعبده للنقض عليه بتصميم اليهود والنصارى وعباد الأوثان ومن فى معناهم تقليدا لآبائهم وآبائهم الضالين المضلين .(١)

وفى قولهم هذا تضييق كما يبدو اذ النظر فى الأدلة غير متيسر لغالبية الناس ، وفضل الله ولا شك واسع والناس فطروا على الايمان ولم ينقصهم الا تطبيق الأوامر والكف عن النواهى .

أما معنى الخلاف فيرجع الى حالة المقلد هل هو كافر أو مؤمن عاص عند الله فالذين قالوا بأنه كافر فالنظر عندهم واجب وجوب الأصول حتى يخرج به عن كفره ، والذين قالوا : إنه مؤمن عاص فعندهم أن النظر واجب وجوب الفروع لا يخلده فى النار .

أما القول بعصيان العبد مطلقا وان لم يكن أهلا للنظر فهو غير صحيح لأن التكليف يعتمد القدرة (لا يكلف الله نفسا الا وسعها)(٢)

---

(١) محمود أحمد المدوى الشرح الجديد لجوهرة التوحيد ص ١٩ .

(٢) سورة البقرة آيه ٢٨٦ .

ولذا لا نزاع بين العلماء في كفاية الدليل الجملي وأن الدليل التفصيلي فرض كفاية أو مندوب اليه على خلاف في ذلك [1] والدليل الجملي كالاستدلال بالصنعة على صانعها ، والاستدلال بالاثر على المؤثر وهو بين على كل ذي عقل ، قال الأصمعي لأحد الأعراب: "بم عرفت ربك فقال البعرة تدل على البعير وأثر الاقدام يدل على المسير ، فسماء ذات ابراج وأرض ذات فجاج الا تدل على اللطيف الخبير" [2] ، ففي قول الاعرابي هذا الدليل الواضح والبرهان الجلي على معرفة الله تعالى ، فهو دليل تؤيده الفطرة وتتساق اليه العقول وليس فيه شيء من الصناعة المنطقية أو الفلسفة الكلامية وليس من الناس من يجهل ذلك المقدار من العلم سوى الذين لا عقل لهم ، وهؤلاء غير مكلفين ، وبذلك يكون

---

(١) ذكر العضد في المواقف : " أن النظر واجب اجماعا " وقال الشارح السيد : " يعنا ومن المعتزلة " فكأنه رأى أن الاجماع ينعقد بالاشعرية والمعتزلة ، ولم يعبر غيرهم التفاتا ، ولكنه ذكر بعد ذلك تسعة اشكالات وحاول الرد عليها ، ومجرد ذكره لهذه الاشكالات يناقض ما رواه من الاجماع على وجوب النظر لأنه لو كان اجماعا لما كان هناك اشكالات .
أنظر العضد في المواقف جـ ١ ص ١٥٦ ، وما بعدها طبعة استانبول .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٩ .

عامة المسلمين غير مقلدين (١) بل يعلمون الأدلة وأن لم يحسنوا تنسيقها بالأسلوب المنطقي الذى هو غير مطلوب بداءة .

ورغم اتفاق المعتزلة والأشعرية والماتريدية على وجوب النظر المؤدى الى معرفة الله ، فان المعتزلة يقولون ان النظر واجب بالعقل ، حيث يبدأون بالنظر فى الأعراض والجواهر فيثبتون حدوث العالم واحتياجه الى محدث قادر عالم وما كان كذلك لا بد أن يكون موجودا ليصح تعلق القادر بالمقدور وعليه والعالم بالمعلوم اذ "العدم" يحيل التعلق فلو كان "القديم" تعالى محدوما لم يصح كونه قادرا ولا عالما . (٢)

وأما الأشاعرة فيتبعون منهجهم الذى سبق فى مسألة النظر ويرون أن معرفة الله وجبت بالشرع لكن بشرط العقل اذ لا حكم قبل الشرع لا أصليا ولا فرعيا ولو لم تبعث الرسل لم تجب لأن عقولنا

---

(١) أما مسألة التقليد فى الفروع فهناك عامة لا يستطيعون النظر فى الأدلة فهؤلاء مذهبهم مذهب مفتيهم بالاجماع ، وهناك خاصة يستطيعون أخذ الحكم من مصدره ولو بمعونة الغير فأولئك يجب عليهم أن يتحروا الراجح فيعملوا به والدليل على ذلك أن الأئمة الأربعة أنكروا التقليد ونهوا لمن يأتى بعدهم أن ينظروا فى رأيهم فما وافق الكتاب والسنة منه أخذوا به والا ردوه كما اتفقوا على أنه اذا صح حديث يخالف مذهبهم فهو مذهب كل امام منهم . أنظر ابن القيم فى أعلام الموقعين جـ ٢ ص ١٨٣ وما بعدها .

(٢) انظر رد الايجي على قولهم : (المعرفة واجبة عقلا لانها دافعة للخوف الحاصل من الاختلاف وغيره وهو ضرر ودفع الضرر عن النفس واجب عقلا) المواقف ص ٣١ . وعبارة "القديم" لم ترد فى السنة

لا تدركها استقلالا وانما تدركها تبعا ، ولتوضيح ذلك نقول انه اذا ثبت في الشرع افتقار صحة الصلاة الى الطهارة مثلا ثم ورد بعد ذلك أمر بالصلاة صحيحه فالأمر بها يتضمن الأمر بالطهارة واذن فمعرفة الله واجبة عند الأشعرية بالشرع ولا تتم الا بالنظر الصحيح (وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب) (١) كما سبق ذلك .

أما الماتريدية فان وجوب المعرفة تثبت بالعقل دون سائر الأحكام بمعنى أنه لو لم يرد به الشرع لادركه العقل استقلالا لوضوحه فالعقل مبين له كالرسول .

حدود المعرفة الواجبة :-

وحقيقة المسألة كما يقول ابن تيمية رحمه الله : ان المعرفة منها ما يحصل بالعقل ، ومنها ما لا يعرف الا بالشرع ، فالاقرار الفطرى كالاقرار الذى أخبر الله به عن الكفار قد يحصل بالعقل كقوله تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) (٢)

وأما ما في القلوب من الايمان المشار اليه فى قوله تعالى : (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا) (٣) فلا يحصل الا بالوحي كما فى قوله تعالى :

---

(١) الأيجي : المواقف ص ٢٨ وما بعدها .

(٢) سورة لقمان آية ٢٥ .

(٣) سورة الشورى آية ٥٢ .

(قل ان ضللت فانما اضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحي الي ربي) [1] . [2]

وأما مسألة وجوب المعرفة بالأدلة المنطقية فيبين ابن تيمية موقف السلف منها بقوله : " والسلف والأئمة جعلوا هذا من الكلام المبتدع الباطل ولم يدع أحد من الأنبياء وأتباعهم أحدا على الاستدلال على معرفة الله بهذا الطريق وانما ابتدعه فى الاسلام من كان مبتدعا فى الاسلام من الجهمية والمعتزلة ونحوهم ولكن الذى يعرفه العامة والخاصة أن كل واحد من الآدميين محدث كان بعد أن لم يكن وانه ليس بفاعل نفسه ولم يفعله مثله ولهذا استدل . سبحانه بذلك فى قوله تعالى : (ام خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) [3] ، وكذلك يعلمون حدوث ما يشهدون حدوثه ويعلمون أنواعا من الأدلة غير هذا " [4] .

ورغم أن معرفة الله عز وجل اسمى المعارف واجلها فان النظر الذى ندب اليه الانسان حتى يصل به الى هذه المعرفة محدود فى نطاق مداركه وميادين فكره ، فهو مدعو الى اعمال الفكر فيما خلق

---

(١) سورة سبأ آية ٥٠ .

(٢) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ص ٤٥٦ .

(٣) سورة الطور آية ٣٥ .

(٤) ابن تيمية درء تعارض العقل والنقل جـ ٧ ص ٤٥٠ .

الله من شيء في السماوات والأرض ، وفي الانسان نفسه وفي الجماعات البشرية ولم يحظر عليه الا التفكير في ذات الله لأن ذات الله فوق الادراك العقلي ، يقول صلى الله عليه وسلم : (تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره) (١) .

وكما سبق لنا فان الشريعة الاسلامية لا تلغي دور العقل ، أي انها لا تهمل النظر العقلي الذي يعني التدبر والتفكر ، ولكن ليس معنى هذا أن العقل يزكي الشرع ويعدله أو يتقدم عليه أو يعتبر اصلا للنقل كما يزعم المعتزلة والفلاسفة ، وانما غاية ما يتوقف عليه الشرع من العقل هو تصديقه للوحي .

ثم أليس الوحي الذي أخبرنا به المعصوم يتضمن أدلة عقلية على الربوبية والوحدانية والنبوة والبعث وغيرها من الأصول كقوله سبحانه : (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) (٢) ، وقوله : (أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) (٣) وقوله : (فلينظر الانسان مم خلق) (٤) .

---

(١) صحيح كما قال الحافظ السخاوي في المقاصد وقد تعددت طرق روايات هذا الحديث فخرجه أبو نعيم في الحلية والطبراني في الأوسط ، والبيهقي في الشعب ، ورواه البخاري والرفاعي من حديث أبي هريرة تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله .

(٢) سورة النساء آية ٨٢ .

(٣) سورة يس آية ٨١ .

(٤) سورة الطارق آية ٥ .

ولذا فلا يذم النظر باطلاق ولكن يذم الباطل منه المؤدى يتجه الى الطرق الوثنية اليونانية ليستدل بها استدلالا عقيما لا يؤدى الى اليقين القطعى فى العقيدة ويخالف بها الكتاب والسنة والعقل ، لأن صريح العقل لا يخالف صحيح النقل .(1)

النظر ليس شرطا فى الايمان :-

كان الايمان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد الصحابة بسيطا غير معقد يدل على ذلك ما جاء عن عمر بن الحكم(2) حيث قال : (أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بجارية فقلت : يا رسول الله علي رقبة أفأعتقها ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين الله ؟ فقالت : فى السماء ، ومن أنا ؟ قالت أنت رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعتقها . فإنها مؤمنة)(3)

فبهذه المعرفة الأولية المتعلقة بالله ورسوله أقر لها الرسول من المرأة بالاسلام ، وأجاز عتقها وقد كتب صلى الله عليه وسلم الى الملوك يدعوهم الى الايمان بالله وتوحيده فيما جاء به عنه ، فمن فعل ذلك

---

(1) هذا تعبير شيخ الاسلام ابن تيمية . أنظر مؤلفاته وخاصة درء تعارض العقل والنقل .

(2)و(3) تواترذكر هذه القصة من الصحابي الجليل عمر بن الحكم السلمي، وهي مفصلة بالمجلد الرابع ص١٤٥ من كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة)

وانظر : الموطأ : كتاب العتق والولاء والرسالة للشافعي ص٤٣، ٤٤ .

قبل منه سواء أكان اذعانه عن تقدم نظر أم لا .

ويعلق ابن حجر على ما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر ـــــن أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (أمرت أن اقاتل الناس حتـــى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتـــوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحق الاســـلام وحسابهم على الله) [1] ، فيقول : " فيه دليل على قبول الأعمـال الظاهرة والحكم بما يقتضيه الظاهر والاكتفاء في قبول الايمان بالاعتقاد الجازم خلافا لمن أوجب تعلم الأدلة " [2] .

ولذا فانه لا حاجة لاشتراط النظر ، لأن الذين لم يشترطوا النظر لم ينكروا النظر في حد ذاته ، وانما أنكروا توقف الايمان على وجوب النظر بالطرق الكلامية ، اذ لا يلزم من الترغيب في النظـــر جعله شرطا في الايمان ، لكن هذا الخوض في مسألة الايمـــان بالله تعالى عن طريق النظر يجرنا الى طرح سؤال : وهو :

هل البرهان شرط في الايمان ؟

وهل الاعتقاد بوجود الله تعالى بما له من صفات لا يحتاج الـــى برهان ؟

---

(١) سبق تخريجه واللفظ للبخاري .

(٢) فتح الباري جـ ١ ص ٧٧ .

والجواب : أن البرهان يستعمل فى حالتين :

اما فى الكشف عن قضايا جديدة لم تكن محل الايمان بها .

أو يستعمل فى التأكد من صدق الأحكام والقضايا القديمة .

وهذا الاستعمال الأخير هو الذى يحاول عن طريقه المتكلمون تحقيق القضايا التى يقولون بها .

أما الفلاسفة فمنهم من يشترط التحقق البرهاني ، ومنهم من يقر الحقيقة عن طريق الايمان وحده دون حاجة لبرهان عقلي .

وأما الفلاسفة التجريبيون فيقصرون التحقق فقط على المعاني التجريبية أى المعانى المستمدة من التجربة ، وكل معنى أولى لا يمكن التحقق من صدقه .

الا أن "كانت" حاول اثبات القضايا العقلية الأولية باستعمال التجربة الحسية ، ذلك لأنه كان يرى أنه حتى القضايا الرياضية والمنطقية والهندسية قابلة للاثبات باستعمال المنهج التجريبي(١).

ومحاولة " كانت " فى التأكد من قيام علوم الطبيعة والهندسة والرياضيات على أسس تجريبية عقلية فى آن واحد عادفها النجاح الى حد ما فى تأسيس هذه العلوم ، ولكنها وقفت مترددة امام الحقيقة فى ذاتها فأقرتها عن طريق الايمان وحده لا عن طريق التحقق البرهاني(٢).

وهكذا صار الايمان عند المدرسة " الكانتية " يقرر عن طريق الايمان وحده فقط ، لا عن طريق البرهان بمعنى أنه اذا كنت

---

(١) محمد الرويسى : دراسات فى فلسفة ما بعد الطبيعة ص ٥٠ وما بعدها دار ليبيا للنشر والتوزيع - بنغازى .

(٢) المرجع السابق ص ٥١ وما بعدها .

مؤمنا فانه يكفى أن أكون مؤمنا وليس من الضرورى أن أقيم الدليل لأثبت أننى مؤمن أو لأتأكد من صدق ايمانى .

ومع هذا نجد أهل السنة والفلاسفة والمتكلمين قد استدلوا على وجود البارى بطرق مختلفة : اما نقلية برهانية ، أو عقلية فقط ، أو عقلية منطقية .

أما أهل الاشراق فلهم طريق آخر لا تخضع لهذه البراهين ، وهناك طريق وسط بين الاشراق والتأمل يمثله ابن طفيل ، وسيأتى ذكر ذلك فى استعمال الدليل .

الاستدلال :-

لا شك أن الاقرار بالخالق وكماله يكون بديهيا ، كما سبق ذلك فى حق من سلمت فطرته ، ولكنه مع ذلك تقوم أدلة كثيرة على اثبات وجوده تعالى ، قد يحتاجها من تغيرت فطرته بما يعرض لها من أحوال .

ومن هنا لم يكتف القرآن المعجز فى اثبات الألوهية بمخاطبة القلب والوجدان بل اعتمد الحجج الدامغة والبراهين الناصعة والتمثيل التى تقنع العقول ، قال تعالى : (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) (١) .

---

(١) سورة البقرة الآية ١١١ .

من أدلة القـــرآن : -

أول دليل يلاحظ بجلاء في القرآن العظيم على اثبات الخالق تعالى ووجوب عبادته وحده دون سواه هو : مصدر القرآن الربانـــي المتميز باعجازه في النظم والبيان ، وفي اقراء الله تعالى القرآن لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وفي توجيهه له الى أقـــوم السبل ، وفي الاخبار بالغيب وفيما حواه هذا الوحي من حقائـــق علمية وقوانين تنظيمية تبهر العقول في كل عصر ، وسيأتي بحث هـذه المسائل مفصلة ضمن منهج القرآن في اثبات الألوهية ، وبيان أنهـا براهين ملزمة تأسر العقول وتستولي على القلوب ، ونكتفي هنا بالاشارة الى بعض الأدلة القرآنية الأخرى زيادة على دليل الفطرة السليمـــة الذي سبق لنا في الفصل الثاني والذي اعتمده القرآن الكريـــم كأساس لطلب الدليل على وجود الباري[1] - وهي :

دليل الخلـــق : -

ويمثل له بأن الحادث[2] يستحيل عليه أن يكون قد أحـــدث

---

(١) أنظر ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل حيث يقول :
" وهذا شأن الحق الذي يطلب معرفته بالدليل فلا بد أن يكـــون مشعورا به في النفس حتى يطلب الدليل عليه أو على بعض أحوالـــه وأما ما لا تشعر به النفس أصلا فليس مطلوبا لها البتة " جـ٤ ص٦ ٨٠

(٢) لا يحتاج دليل الخلق أو الحدوث الى معرفة الأعراض والجواهـــر ثم القول بأن الجواهر لما لازمت الأعراض وهي حادثة كانـــت حادثة أيضا ولا الى الالتزام في ذلك بمقدمات طويلة ومعقـــدة فآية الاحداث أو الاختراع كما يسميها (ابن رشد) صفة بينة بنفسها لا يحتاج أن يستدل بغيرها عليها .

نفسه ، ولذا يجادل الله المنكرين لاثبات وجوده تعالى بقوله في سورة الطور : (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون) (١) .

فقد بينت الآية أن المخلوق المربوب لا يمكنه خلق نفسه كما يستحيل أن يكون خلق بدون خالق - ولذا فانه لم يستطع أحد أن يدعي أنه الخالق لنفسه أو لغيره لأنه قبل أن يخلق كان عدما والعدم لا يهب الوجود ففاقد الشيء لا يعطيه .

فهذه المخلوقات لها خالق غيرها ، وهذا الخالق هو الله تعالى : (قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض) .

ولذا تحدى الله المشركين بأن الذين يعبدونهم لا يستطيعون أن يخلقوا ذبابا وهو من أضعف المخلوقات وأحقرها ، قال تعالى : (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب وما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز) (٢) ، ولا يزال هذا التحدي معجزا الناس الى يوم الدين .

---

(١) سورة الطور الآيتان ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) سورة الحج الايتان ٧٣ ، ٧٤ .

دليل العناية [1] :-

وتظهر هذه العناية لكل متأمل فى الكون رغم تنوع واختلاف الكائنات ، فكل كائن خلق لغاية نعلمها أو نجهلها ، وفى سبيل هذه الغاية اتقن الله تعالى صنعته ، فكل كائن معلوم لدينا أو مجهول فى السماوات أو فى الأرض أمده الله سبحانه بالقوى والطبائع والأعضاء التى تتحقق معها تلك الغاية .

كما سخر سبحانه وتعالى كل ما في السماوات والأرض لخير الانسان ونفعه وكل الموجودات مرتبطة بعضها ببعض بسنن ونواميس دقيقة - قال تعالى : (ان فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا بها الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) [2] ، وكذلك قوله : (ألم نجعل الأرض مهادا والجبال

---

(١) الذى قال بدليل العناية ابن رشد فى مناهج الأدلة ص ٦٧ ، ٦٨ الا أن ابن تيمية يرجعه الى دليل الخلق باعتبار أن الاستدلال بالمخلوق أسبق فى دلالته على الخالق من كونه مشتملا على العناية الالهية كذلك فان كل دليل دل على العناية دل أولا على الاختراع .
أنظر تعليق ابن تيمية على مناهج الأدلة ص ٦٦ ولكنى رأيت أن أذكر هذا الدليل لشدة توافقه مع منهج العلم الحديث فى اثبات وجود الخالق .

أوتادا ، وخلقناكم أزواجا ، وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا ، وبنينا فوقكم سبعا شدادا ، وجعلنا سراجا وهاجا ، وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا)[1] ، وغيرها كثير .

وهناك آيات تجمع بين دليلي الخلق والعناية من مثل قوله تعالى : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون)[2] .

فهذه الأدلة الثلاثة تعرف بطريق النظر الى ملك السماوات والأرض أو دليل الآفاق .

وهناك طرق أخرى فى معرفة الله سبحانه وتوحيده مستمدة من القرآن الكريم أيضا كطريق الاسباب والمسببات - قال تعالى : (ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات) .

وطريق النظر النفسى (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) وكذلك طريق المعقولات المحضة والبديهيات العقلية والجانب العلمي .[3]

---

(١) سورة النبأ الآيات (٦ - ١٦) .

(٢) سورة البقرة الايتان (٢١ - ٢٢) .

(٣) يراجع فى ذلك د . محمد غلاب فى كتابه المعرفة عند مفكرى المسلمين .

كل هذه الأدلة القرآنية وان كانت تدخل تحت منهج القرآن فى اثبات الألوهية الذى سيأتي البحث فيه الا أنها ليست عين المنهج المقصود بالدراسة ، لذا سيلاحظ المتتبع للفصول الآتية محاولة من نوع جديد لابراز هذا المنهج العظيم .

أدلة السلف الصالح (١) :-

يقول السلف الصالح بكل دليل اتفقت العقول على صحته وكان شرعيا أى أن الشرع قد اتى به ، وأمر الناس ان يستدلوا به ، ولذا فأدلة السلف هي أدلة القرآن بما فيها المعجزة الكبرى الذكر الحكيم المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم .

---

(١) السلف الصالح كل من وافق رأيه الكتاب والسنة نصا وروحا وعاش فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة الا أنه لا مانع من اعتبار بعض المتأخرين ممن وافق رأيهم الكتاب والسنة بأنهم على نهج السلف الصالح ، أما من خالف الكتاب والسنة ، ولو عاش فى القرون الأولى للهجرة فلا يعتبر سلفيا ، ولذا فان ما اصطلح عليه عرفا من اطلاق بعض المتأخرين على أصحاب المذاهب المختلفة التى ينتمون اليها سلف غير مقصود هنا ، بل المقصود من كان على منهج الرسول وأصحابه رضى الله عنهم وأرضاهم .

استدلالات المتكلمين والفلاسفة :-

قال الشهرستاني : " سلك المتكلمون طريقين في اثبات الصانع تعالى وهو الاستدلال بالحوادث على محدث صانع وسلك الأوائل طريقا آخر وهو الاستدلال بامكان الممكنات على مرجح لأحد طرفي الامكان " (١)

(١) دليل الحدوث :-

عالج المتكلمون (٢) قضية الاستدلال على وجوده تعالى على الصورة التالية حيث قالوا : " العالم حادث وكل حادث لا بد له من محدث اذن العالم لا بد له من محدث وهو الله تعالى " (٣).

والمقدمة الكبرى في هذا الدليل وهي كل حادث لا بد له من محدث بديهية ، أما المقدمة الصغرى وهي العالم حادث فهي المحتاجة للاستدلال .

فلنعرف ما هو العالم أولا ، ثم نبين المراد بالحدوث المحكوم به عليه ودليله فالعالم ما سوى الله تعالى وصفاته من أجناس

---

(١) نهاية الاقدام ص ١٢٤ - ١٢٥

(٢) هم المعتزلة والاشعرية والماتريدية الذين استعملوا نفس الدليل والخلاف بينهم في بعض العبارات .

(٣) صيغة القضية مأخوذة من كلام الاشاعرة (بتصرف قليل) . أنظر نهاية الاقدام ص ١٢٤ - ١٢٥ ، وابن رشد الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ص ٤٣ وما بعدها .

الموجودات ، يقال عالم الحيوان وعالم النبات وعالم الاجرام .

أما المراد بالحدوث المحكوم به على العالم فى هذه المقدمة
يعنى أن محدوث المحكوم عليه زمانا
أنه وجد بعد أن كان معدوما ، والعالم أعيان وأعراض فما يقوم بنفسه أى لا يكون تحيزه تابعا لتحيز غيره هو العين وما يقوم بغيره أى يكون تابعا فى تحيزه لتحيز غيره هو العرض والعين أن لم يقبل الانقسام أصلا بأن كان جزءا لا يتجزأ فهو الجوهر الفرد (١) وان كان مؤلفا من جواهر فهو الجسم وعلى هذا فالاعيان جواهر فردة وأجسام .

---

(١) الجوهر الفرد اصطلاح المتكلمين لمبدأ الذرة عند الفلاسفة اليونان كديمقراطس ولوقيبس وابيقوروس القائلين بأن العالم مكون من عناصر أو ذرات متناهية فى الصغر وغير قابلة للقسمة وقد سماها بعض المتكلمين (الجزء الذى لا يتجزأ) ومنهم المعتزلة وعلى رأسهم العلاف ت ٢٣٥ هـ ثم الاشاعرة الذين يدعون مذهبهم فى حدوث العالم عن طريق دفاعهم عن المذهب الذرى ، أنظر د . البير نصرى : أهم الفرق الاسلامية ص ١١٩ ط نادر بيروت ١٩٦٠ م ، وحتى يصل المتكلمون الى ما يريدون من هذا قالوا بابطال الدور والتسلسل ولهم على ذلك أدلة لا يتسع المقام لذكرها ولكن الفلاسفة الذين يقولون بقدم العالم لا يسلمون لهم ببطلان التسلسل فى كل أنواع التسلسل .
أنظر الايجي : المواقف عند بحثه لعوارض الاجسام وطريقة التطبيق ص ٢٤٦ ط بيروت .

ثم قالوا : اذا علم هذا فالأعيان حادثة والأعراض حادثة .

أما حدوث الأعراض فبالمشاهدة وما لم نشاهده منها فيقاس على المشاهد ولنأخذ الحركة والسكون مثالا على ذلك فنقول الحركة حادثة لما فيها من الانتقال من حال الى حال ولأنها على التقضي فتوجد حركة وتعقبها حركة وما ينقض وينصدم لا يكون قديما بل حادثا فالحركة حادثة .

وأما كون السكون حادثا فلأنه ضد الحركة الحادثة وضد الحادث حادث ثم ان السكون يقبل العدم والذى يقبل العدم لا يكون قديما .

أما حدوث الأعيان فلأنها لا تخلوا عن الحركة والسكون الحادثين وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ، اذ يستحيل ألا يكون للحادث أول بل يجب أن تكون الحوادث متناهية لها أول .(١)

وما لا يسبق وجوده وجود جملة من الحوادث محصورة لها أول يجب أن تكون حادثة ، واذا كانت الأعيان حادثة كما قلنا فان الأعراض حادثة أيضا لأن الأعراض لا توجد الا فى الأعيان أى بما أن محلها حادث فانها أى الأعراض كذلك حادثة .(٢)

---

(١) الباقلاني التمهيد ص ٤١ - ٤٤ بتصرف

(٢) ابن رشد : مناهج الأدلة ص ٤٣ وما بعدها بتصرف .

نقـد هذه الطريقـة :-

وقد ذم هذه الطريقة الامام الاشعرى وقال انها طريقة مذمومة[1] وذلك لما فيها من مقدمات خفية يصعب على العامة ادراكها واعتبرهـا أهل السنة طريقة مذمومة مبتدعة ابتدعها المعتزلة ونسج على منوالهـم الاشاعرة والماتريدية فهى لم يأت ذكرها فى كتاب الله ولا فى سنـة نبيه صلى الله عليه وسلم ولم يدع الرسول صلى اللهعليهوسلمأحدا مـن الناس الى الايمان بوجود الله بهذا الطريق ، ولم يتكلم بها أحد من الصحابة ولا من تبعهم باحسان وجاء فى تعليق شيخ الاسلام ابن تيميـة على هذه الطريقة ما مختصره أنه زيادة على اشتمال هذه الطريقة علـى مقدمات خفية فهى مقدمات تحتاج الى تفصيل فقد تكون حقا وقـد تكون باطلا فلا يثبت المدعى بها مطلقا ، وذلك مثل قولهم ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث فهذا حق اذا كانت الحوادث محصـورة لها أول وجملة محدودة أولها موجود بعد عدم أما اذا كانت الحوادث لا أول لها بمعنى أنه ما من حادث الا وقبله حادث لا الى نهاية فـان

---

(١) ذكر ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية وقال ان ذلك جاء فـى رسالة أبى الحسن الأشعرى الى أهل الثغـر أنظـر بيان تلبيس الجهمية ١ ص ٢٤٨ ط أولى . مكة المكرمة .

ما قارن هذه الحوادث التي لا أول لها لا يجب أن يكون حادثا ومن هنا وجد المتكلمون أنفسهم في حاجة ماسة الى معالجة مسألة جديدة هي امتناع حوادث لا أول لها .(١)

دليل الامكان (٢) :

واستدل المتكلمون كذلك بوجود الممكنات على وجود الله تعالى بقولهم الممكن موجود قطعا ، والممكنات الموجودة لا يكون وجودها من نفسها ، وليس وجودها بممكن فتعين أن يكون وجودها بواجب الوجود لذاته وهو الله تعالى .(٣)

وهذا الدليل يتفق فيه المتكلمون مع الفلاسفة الا ان الفرق بينهما

---

(١) نقد شيخ الاسلام ابن تيمية هذه الطريقة في عدة مواضع من كتبه أنظر موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول : ج ١ ص ٢٤ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ومحمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م ، انظر بيان تلبيس الجهمية ج ١ ص ١٠٠ - ١٠٤

(٢) الامكان : اصطلاحا : صفة الشيء الذي يحكم العقل بجواز وجوده وعدمه على السواء لذاته .

(٣) التطبيق المنطقي لهذا الدليل يصاغ كالآتي : جملة الممكنات الموجودة ممكنة بداهة ، وكل ممكن يحتاج الى سبب يعطيه الوجود ، ينتج جملة الممكنات الموجودة محتاجة الى سبب يعطيها الوجود وبعد ذلك ينظر في هذا السبب .

أن الفلاسفة لا ينظرون لمسألة الحدوث هذه ، الا الكندى[1] فبالرغم من أنه فيلسوف فانه يقول بحدوث العالم مثل المتكلمين ويستدل على وجود الله تعالى بان الجسم الطبيعى متناه وليس علة ذاته فاذا ثبت ذلك كان اللهو المبدع الأول .

المعرفة الصوفية

والصوفية[2] فى وصفهم طريق المعرفة ، يرون أن الانسان بعد التصفية التى يقوم بها يرى الأشياء مباشرة ، فكيف يحتاج الى دليل عليها وهو

---

(١) الكندى : هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندى فيلسوف عربى واحد أبناء ملوكها كان أبوه أميرا على الكوفة وكان هو عالما بالطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق والهندسة وعلم النجوم وملم باليونانية والسريانية وقد اختاره المأمون لترجمة مؤلفات أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان (ت ٢٥٨ هـ)

(٢) اختلف في مأخذ هذا اللقب فقال بعضهم مأخوذ من الصفة لشبه هؤلاء بزهاد أهل الصفة وهذا لا يوافق قاعدة النسب فى اللغة فان ذلك يقتضى أن يقال فى النسب الى الصفة صفيه ، لا صوفيه . ثم ان الزهد فى الصحابة والتابعين تمثل في كثرة العمل الصالح ما استطاعوا وفى الاقتصار على تناول الحلال الطيب من الدنيا ، فزهدهم زهد من لا تلهيه تجارة ولا بيع عن ذكر الله أما الصوفية فحالهم غير ذلك ...

وذهب ابن الجوزى وآخرون الى أن الصوفية نسبة الى(صوفه) تشبيها لهؤلاء " بآل صوفة) وهم قوم كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويتنسكون ، واختار ابن تيمية أن تسميتهم بالصوفية يرجع الى لبسهم الصوف ، ويبدو غير ذلك ، اذ قد تكون هذه التسمية جاءت من كلمة " ثيو صوفيا" اليونانية ومعناها الحكمة الالهية ، والصوفي هو الحكيم الذى يطلب الحكمة الالهية ويسعى لها ، والدليل على ذلك أن الصوفية لم يظهروا كمذهب له قواعد واصطلاحات الا فى القرن الثالث الهجرى بعد ترجمة كتب اليونان الى العربية ودخول لفظ الفلسفة فيها .

يراها [١] أى أن ذلك يكون نتيجة نور يقذفه الله فى قلب العبد بعد تجريد نفسه من العوارض الشهوانيه بالمجاهدة والمحاسبة .

وقد رد شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله هذه الطريقة لعدم أخذها بالعلم الشرعي فقال : " وليس الأمر على ما قالوا . بل مشائخ الصوفية الذين لهم في الأمة لسان صدق متفقون على وجوب تعلم العلم الشرعي . وتدبر كتاب الله ، والنظر فيما ذكره فيه من الآيات والأمثال المضروبة ومتفقون على النظر والاعتبار بها فى المخلوقات من الآيات . [٢]

رأى ابن الطفيل [٣]

يقف ابن طفيل موقفا وسطا بين التأمل والاشراق أحيانا . وبين التأمل والنص أحيانا اخرى فالانسان في نظره يستطيع أن يرتقى بنفسه من المحسوس الى المعقول . ومن المعقول الى الكشف .

وهكذا جمع بين طريقتين : طريقة عقلية ، وأخرى كشفيه .

أما معرفة التفاصيل مما أوجبه الشرع كالصلاة والصوم والزكاة ، والحج

---

(١) الدكتور عبد الفتاح دويدار : الوحدانية مع دراسة فى الأديان والفرق ص ٣٥٩

(٢) ابن تيمية : تلبيس الجهمية ص ٢٦٣

(٣) أبن طفيل : هو أبو جعفر الأندلسى (ت ٥٨١/ ١١٨٥ م) " ترجمته فى روض القرطاس للمراكيشى ص ١٣٥ " .

واباحة أشياء وتحريم أخرى وعلة تشريعها ، فهذه لابد للانسان أن يأخذ بما جاء في النصوص الشرعية .

وهكذا يتلخص منهجه في معرفة الله وعبادته ، في طرق ثلاثة :

الأولى : التأمل .

الثانية : تطهير النفس بالاعراض عن الشهوات وحب الخير والاقرار بالعبودية المطلقة لله تعالى .

الثالثة : الرجوع الى النص لأداء ما يجب عليه من العبادات ومن التأدب بالآداب الشرعية .(١)

---

(١) أحمد أمين : حي بن يقظان ص ٩ - ٢٨ - ٣٢ ط ٣

الخلاصـــــــة

يختص اسم الجلالة : " الله " بذات رب العالمين دون سواه ويدل على صفة " الألوهية " الملازمة له ، فهو سبحانه مألوه بمعنى معبود .

ولفظ " الله " عربى مشتق ، والمراد بالاشتقاق هنا ملاقية الاسم للمصدر فى اللفظ والمعنى بمعنى أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة .

وأسمه تعالى ، هذا غير منحوت من كلمة " الوهم " العبرية ، ولا هو مقابل لكلمة " يهوه " التى عند اليهود وتدل على ذلك خصائصه اللفظية والمعنوية ، وقاعدة الاستعارة فى اللغة العربية ، وكذلك تفرع العبرانية عن اللغة العربية حيث ثبت أن الكلمات العبرية مختصرة من الكلمـــات العربية وبذلك فهى متأخرة عنها .

أما كلمة " يهوه " فلا تقابل اسم الجلالة " الله " القديم الأزلى كاختلاف المفهوم بين الكلمتين ، فاليهود لا ينزهون اليهم " يهوه " بل يصفونـــه بأوصاف تعالى الله عنها علوا كثيرا ، ويدعون أنه اله بنى اسرائيل دون غيرهم من الناس .

بينما ينزه المسلمون الله تعالى عن جميع النقائص ويصفونه بكل الكمالات (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير)[1] ، ويوحدونه التوحيد الخالص

---

(١) سورة الشورى الآية ١١

الذى ينقاد له العبد ظاهرا وباطنا .

وهذا هو الفرق بين من يعرف خالقه ويفرده بالتأله والخضـــوع ، والذل ، والحب ، والافتقار ، والتوجه اليه وحده دون سواه ، وبين من لم يعرفه ، ويشرك فى ذاته وصفاته وأفعاله .

ولقد دعا الله سبحانه وتعالى عباده الى اقامة الدين ، الـــذى فطرهم عليه عند أخذهم من ظهر أبيهم آدم ، وسألهم (ألست بربكم قالـــوا بلى)[1] فالاسلام ، هو الذى فطر عليه الناس حتى أنهم لو تركوا لمـــا أختاروا عليه دينا آخر ولكن يصير الانسان كافرا باضلال غيره له أو بآفـــه من الآفات البشرية .

والله سبحانه وتعالى أعرف من أن ينكر أو يشك فيه أو يرتاب فلقـــد قالت الرسل لاقوامهم (أفي الله شك)

ولذا قد تظهر هذه الفطرة بوضوح ، عندما يتعرض المنكـــرون لوجود الله للشدائد العظام ، وتسد فى وجوههم منافذ الخـــلاص عندها تفر من بين أيديهم الضلالات التى حجبتهم عن الله حيث يصهرهم هذا الكرب ، الذى هم فيه فتنقدح فيهم أنوار الحق فيعرفون ان لا ملجأ لهم من

---

(١) سورة الاعراف الآية ١٧٢

الله الا اليه ، وهذا ما يشير اليه قوله تعالى : (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين . قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون)(١)

وهكذا يبرز التلاحم بين النفس البشرية والدين الحق باعتبارهما متناسقين في الطبيعة والاتجاه ، فاذا انحرفت الفطرة يقومها الدين الاسلامي .

واما الفرق بين الفطرة والغريزة فان الغريزة تدل على الدوافع الأولية للانسان ، وهي دوافع ترتبط بحاجات البدن الاحيائية .

وأما الفطرة فهي الخلقة ، أي النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق ، وفطرة الانسان هي ما خلق عليه الانسان ، وهو الاسلام القائم على حفظ الأنفس وتطهيرها والداعي الى الفضائل .

ومع هذا فانه يحتاج الى أدلة على اثبات وجود الله تعالى اما لاعادة الفطرة الفاسدة الى الصواب أو لارضاء غرور العقل أو لدفع شبه أهل البدع ، ولذا عمد النظار الى اقامة الحجج تلو الحجج لابطال اقوال الخصم بل هناك من النظار من عمد الى نصوص القرآن

---

(١) سورة الانعام الآيتان ٦٣ - ٦٤

فأولها وفق مذهبه ، وهكذا حدثت مناهج مختلفة ، ومسالك متنوعة جنح فيها العقل الى طرق منطقية عويصة على الفهم ومفوتة لكثير من المقاصد الواجبة والمحمودة .

وكانت أول فرقة جنحت الى الطرق المنطقية والكلامية فرقة المعتزلة ثم تبعتها الأشعرية والماتريدية ، فاختلطت مسائل علم الكلام التي تختص بازالة الشكوك ودفع الشبه والدفاع عن عقيدة التوحيد بمسائل الفلسفة ، التي نظرتها في الالهيات غير نابعة من العقيدة الاسلامية بل من العقل ، ولذلك نرى الفيلسوف كثيرا ما يخالف هذه العقيدة ويحاول نفيها ثم انه من عادة علماء الكلام تصدير مباحثهم بمسائل العلم والنظر باعتبارها من الطرق الموصلة الى معرفة وجود الله تعالى فالنظر في الاستعمال القرآني يشمل جميع زوايا الشيء المنظور اليه حيث يتساند الادراك الحسي مع الادراك العقلي لمعرفة الجوانب المادية والمعنوية للشيء .

اما النظر في عرف المتكلمين ، فهو الفكر الذي يطلب به علم أو ظن أي الظن المرجح .

وأما العلم فيبحثه المتكلمون من حيث كونه علما ضروريا أو نظريا ، والضروري يحصل من غير احتياج الى تفكر وهو العلم المعبر عنه بالبداهة .

أما النظرى فهو استدلالى يحتاج فيه الى نوع تفكر سواء أكان هذا التفكر على الاطلاق أو هو حسب الطريقة المنطقية .

وقد وقع نزاع فى وجوب النظر على ثلاثة مذاهب :

مذهب المعتزلة الذى يقول بوجوب النظر عقلا ، وسبب وجوبه عندهم هو الخوف من الضرر .

ومذهب الأشاعرة الذين يقولون ان النظر وجب بالشرع ، ولكن قد تكون الأدلة ظنية ، ويحتمل أن الأمر لا يفيد الوجوب لذا فان القاعدة عندهم أن مالا يتم الواجب الا به فهو واجب .

وأما المذهب الثالث فهو مذهب أهل السنة وأكثر أهل الكلام حيث ينكرون وجوب النظر المبنى على قواعد منطقية ، ودليلهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وأهل العصور اقروا العوام على ايمانهم مع عدم الاستفسار عن الدليل .

ولكن هذا الخلاف كان يمكن ان تتجاوزه على الأقل فرقتان هما أهل السنة والأشعرية باعتبارهما متفقتين على عدم وجوب النظر على غير المستطيع .

ثم ان العلم يخلقه الله فى العبد ، والنظر سبب غير موجب ، فإن شاء الله خلق العلم بعد النظر ، وان لم يشأ خلقه لم يحصل .

وأما قضية معرفة الله تعالى فمطلوبه بقدر الطاقة البشرية ، والعلماء متفقون على كفاية الدليل الجملي في الايمان ، وأن مسألة وجوب المعرفة بالأدلة المنطقيةلم يدع أحد من الأنبياء وأتباعهم الى الاستدلال على معرفة الله بهذا الطريق ، وانما بدعة دخلت الاسلام عن طريق الجهمية والمعتزلة ولا يعني هذا أن الشريعة الاسلامية تلغي دور العقل وتهمل النظر ، فادلة الوحي على الربوبية والألوهية والوحدانية والنبوة والبعث أدلة عقلية برهانية تبهر الخصم ، ولذا لا يذم النظر باطلاق وانما يذم منه ، الذي يتجه الى الطرق الوثنية اليونانية ذلك لأن صريح العقل لا يخالف صريح النقل .

وأما ملخص الاستدلالات فتنحصر زيادة على المعجزة الكبرى (الذكر الحكيم) التي يستدل بها أهل السنة - في دليلي الخلق والعناية الالهية وطريق الأسباب والمسببات ، وطريق النظر النفسي فهذه الطرق وان كانت تدخل تحت منهج القرآن في اثبات الألوهية ويقول بها أهل السنة الا أنها ليست عين المنهج المقصود بالبحث في الفصول الآتية

وأما استدلالات المتكلمين والفلاسفة فتتمثل في دليلي الحدوث والامكان بينما تحصل المعرفة الصوفية بالمجاهدة وتجريد النفس عن العوارض الشهوانية ويقف ابن الطفيل وسطا فيقول احيانا بالتأمل والاشراق وأحيانا أخرى بالتأمل والنص .

الباب الثانى

خصائص القراءة القرآنية

فى

إثبات الألوهية

(الباب الثانـى)

خصائص القرآن الذاتية فى اثبـات الألوهيـة

ان الناظر فى القرآن العظيم يجد فيه الشاهد المثبت والدليل القاطع على أن مصدره ربانى ، وسنحاول أن نستوضح فى هـذا الباب جملا من خصائص القرآن الذاتية فى اثبات الألوهية ، وليست هذه المحاولة على سبيل الحصر ، بل على سبيل التمثيل بما بدا لنا أنه يمثل الجزء الأساسي من دعوة الذكر الحكيم الى الايمان بالله واخلاص العبادة لرب العالمين .

ثم ان تلاوة كتاب الله تعالى وتدارسه بقلب حاضر وعقل واع يولد فى المؤمن شعورا من القناعة والايمان اللذين لا يعرف لهما مثيل لدى المعتنقين للأديان والمذاهب الأخرى .

ومن خصائص القرآن الذاتية فى اثبات الألوهية مصدره واعجازه واقراء الله القرآن للرسول وتوجيهه الى ما يجب أن يكون والاخبار بالغيب وانقطاع الوحي عنه ، وسنفرد لكل خاصة فصلا مستقلا لا على أساس اثبات المصدر أو الاعجاز فقط ، ولكن بقصد بيان أنه يوجد فى هذا التوثيق للقرآن الأدلة الباهرة على وجوب الايمان بالله تعالى وعبادته باخلاص .

الفصل الأول

مصدره

الفصـــــل الأول

مصـــدره

ان الباحث في كون القرآن العظيم آية وعلامة على وجود الله تعالى رغـــم وضوحها وثباتها لا يجد مناصا من دراستها كمسألة متجددة بتجدد الأزمـان تثار حولها مشاكل فى كل عصر ، قد نوقش أكثرها قديما ، لكنها تعـــرض فى عصرنا هذا ، فى شكل جديد وبدها يحوى الكثير من التحدى .

انها جديدة فعلا باستنادها الى العلم التجريبى ، باعتباره صاحـــب القول الفصل والسيادة على الطبيعة ، حيث سيطرت الآلة .

وهذه لا شك أول مشاكل عصرنا التى سجلتها علينا النبأ العظيم فـــى قوله تعـــالى :

(يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون)[1]

وفى محاولة بحثنا لهذه المسألة القديمة المتجددة ، سنسعى لتجديد[2] الحجج والبراهين ، التى سبقنا اليها علماؤنا منذ عصور خلت ، مراعـــين فى ذلك ما جد من مشاكل عصرية ، ومبينين بكل تأكيد ، أن القرآن العظـيم وحي مستقل ، غير نابع عن خاتم الانبياء والمرسلين ، محمد صلى اللـــه عليه وسلم - وأنه بحججه الدامغة ، وبراهينه الصادقة فى التفريق بين

---

(١) سورة الروم آيه ٧

(٢) ليس المقصود بالتجديد تكرار الكلام القديم بشكل وأسلوب مختلف ، وانمـا اثارة جوانب أخرى قد يكون بها اهتمام فى هذا العصر .

شخصية النبي المأمور ، والوحي الآمر لدليل على أن القرآن يمثل الجـــزء الاساسى فى اثبات الألوهية (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل[١]) يقوم بدور المبلغ الأمين (فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب[٢]) ما كان يدرى من قبل ، ما الكتاب ولا الايمان ، حتى بعثه ربه يهدى الى صراط مســـــتقيم (وكذلك اوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكـــن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم[٣]).

ولنبدأ بمسألة الوحى[٤] لا لنثبت نبوة محمد - عليه أفضل الصلاة وازكـى التسليم فذلك حاصل ضمنا[٥] بل لنثبت أن ظاهرة الوحى ربانية ومنفردة عـن العوامل النفسية تفردا كاملا[٦] وأن ما يزعمه بعض الباحثين - من غير المؤمنين

---

(١) سورة آل عمران آيه ١٤٤

(٢) سورة الرعد آيه ٤٠

(٣) سورة الشورى الآيه ٥٢

(٤) الوحى : الاشارة . والكناية . والرسالة . والالهام . والكـــلام الخفى ، وكل ما ألقيته الى غيرك . يقال وحيت اليه الكلام وأوحيت وهو أن تكلمه بكلام تخفيه : الجوهرى : الصحاح فصل الواو باب اليـاء والوحوى فى اصطلاح الشريعة : عبارة عن كلام الله تعالى المنزل عـــلى نبي من انبيائه : التهانوى : كشف اصطلاحات الفنون ص ١٥٢٣

(٥) أى بوجود الموحى اليه ، وهو محمد - صلى الله عليه وسلم - باعتباره مرسلا من رب العالمين وهو ما يتضمنه تعريف القرآن كما سيأتى .

(٦) تراجع التفاصيل فى : البخارى : الصحيح قصة بدء الوحى فى البـــاب الأول ، ورشيد رضا فى الوحى المحمدى : الفصل الاول . ومحمد سعيد رمضان البوطى : فى كبرى اليقينيـــات الكونيه : ظاهرة الوحى من ص ١٩٩ الى ٢٠٩ ط / ٥ دار الفكر ومالك بن نبي : فى الظاهرة القرآنية ص ١٣١ وصبحى الصالح فى فصل ظاهرة الوحى .

بالقرآن ممن يدعون المنهجية والموضوعية في أبحاثهم - بوصفهم الاسلام بدين محمد ، كما يصفون المسيحية بدين المسيح ، لا أساس له من الصحة في (إن الدين عند الله الاسلام)[1] ولن يرضى المسلمون أن يسمى الاسلام بدين محمد ، فحسب ، بل فوق أنه دين محمد فهو كذلك دين ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء ،الذين تنبع رسالتهم من النبع الالهي (LA DIVINE ORIGINE) قال تعالى :

(انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان واتينا داوود زبورا . ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما)[2]

واذن فايمان المسلمين بوحى الله تعالى الى انبيائه المرسلين وبتصديقهم فيما دعوا اليه الناس من اخلاص فى العبادة ، ونبذ للشرك ، هو أساس العقيدة الاسلامية .

وان من ينكر النبوة والوحى يكفر بالالوهية ، ويلحد فى الاديان كلها بما فيها الاسلام .

ومن المتفق عليه بين اليهود والمسيحيين مع المسلمين . أن الله سبحانه وتعالى بعث للانسانية رسالة تحوى معلومات تتعلق به سبحانه ، وبجميع

---

(١) سورة آل عمران الآيه ١٩

(٢) سورة النساء الآيه ١٦٣ - ١٦٤

الكائنات باعتبارها مخلوقاته "[1] مع الفرق فى مفهوم الوحى ومستوياته بيننا وبينهم ، وهذا الاتفاق المجمع عليه بين الديانات الكبرى الموجودة اليوم يفند ولا شك ما تدعيه دائرة معارف العلوم الاجتماعية من أن الذى (قاد الانسان الى التجارب الدينية هو ما ينفرد به البعض من خصائص غير عادية فى العيون والآذان الداخلية نيلتقط بها مالا يتمكن الانسان العادى من سماعه ورؤيته وهو فى ذلك مثل الذى يبرز فى مجال الفن بسبب ما يتمتع به من قوة فى التذوق الفنى)[2]

وحقيقة الوحى وان كانت واضحة تماما عند نا المسلمين فهى " لم تلق الاهتمام اللائق فى التفكير اللاهوتى المسيحى ، وكذلك لم تبد الفلسفات القديمة والحديثة أى اهتمام بهذه الظاهرة "[3]

وليس لنا باعتبارنا المسلمين أن نخاف أبدا ، من أن نجيب على جميع المسائل ، التى يثيرها العقل البشرى ، فحدث الوحى لا يمكنه أن يكون موضوع اعتقاد أعمى لا يبرر ، بل هو فوق العقل ينير له السبيل " ليس

---

(١) القس موريس بورمانس : الوحى الالهى ومشاكله فى نظر الفكر المسيحى ص ٣٢٥ نشر مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بتونس ضمن (سلسلة الدراسات الاسلامية)
معانى الوحى والتنزيل ومستوياتهما ط ١٩٧٩ م

(٢) Encyclopaedia of social sciences Vol 13 P230

(٣) مابين معكوفين من كلام القس "موريس بورمانس" ولعله يقصد بقوله : "لم نجد الفلسفات . .) الفلاسفة الغربيين ، وأما ما قاله الفلاسفة المسلمون من شأن الاتصال بالعقل الفعال بالنسبة للنبى فليس الا انكارا مغلفا للوحى .

من المعقول[١] أن يترك الله الخالقُ الانسانَ المخلوق يبحث عنه على الدوام ، دون أن يكافىء هذا البحث بمبادرة الحوار ، والمخاطبة مع الانسان[٢] قائلا له نعم : اني أنا هو ، ها أنذا ، وها هو معنى الكون ، وها هي غايـــة كل هذه المخلوقات[٣] "

وأما كون الوحى يطرح كمشكلة لدى المسيحيين فذلك لان مفهوم الوحى - عندهم أثار أبحاثا صعبة ومجادلات شاقة دامت قرونا عديدة انتهت بعدها الى مآسى وانفصالات بين الكنائس[٤] . ومع هذا مازالت النقاط الجوهرية تشغل الفكر

---

(١) و (٢) قول كلود ترسمنتون "ليس من المعقول ان يترك الله الخالق الانسان المخلوق يبحث عنه على الدوام الخ . ." فيه نظر ، وهو أنه اذا كان يقصد بالمعقولية وجوب ذلك على الله سبحانه وتعالى فبهذا ننزه عنه ربنـــا واما اذا كان يقصد بالمعقولية انه سبحانه من رحمته بخلقه انه لا يتركهم من غير هدى ، بل يبعث لهم الرسل ليدلوهم على الصراط المستقيم ، فهذا حق وهو ماجعلنا نورد رأيه فى اثبات الوحى للانبياء - أما قوله : بمبادرة الحوار والمخاطبة مع الانسان " فانا لا نرضاه لقوله تعالى : (وماكان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء انه علىم حكيم " (الشورى ٥١) فقد حصرت هذه الآية الوحى فى ثلاثة انواع :
النوع الأول : القاء المعنى فى القلب ، ويأتى من خارج نفس النبى ، أى ينزل عليها من الله ، ولا يفيض من داخلها كما يتوهم بعض القساوسة وهذا هو الفرق بين هذا النوع من الوحى وبين الالهام ، فالوحى حقائق يقينيه والالهام وجـــدان نفسى .
النوع الثانى : الكلام من وراء حجاب وهو أن يسمع النبى كلام الله من حيث لا يراه كما سمع موسى عليه السلام النداء من وراء الشجرة .
النوع الثالث : اتيان ملك الوحى المرسل من الله متمثلا بصورة رجل أو غير متمثل الـى النبى ، فيسمع منه النبى صلى الله عليه وسلم ما يلقيه عليه فيعيه

(٣) كلود ترسمنتون : مشكلة الوحي ص ٢٩ ط سوى باريس ١٩٦٩
Claude TRESMONTANT : Le Probleme de la Revelation P: 29 ed SEUIL PARIS 1969

(٤) يراجع فى ذلك : موريس بورمانس : الوحى الألهى ومشاكله فى نظر المفكر المسيحى نشر مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية بتونس (سلسلة الدراسات الاسلامية) 7

المسيحي الى اليوم ، وسوف يبقى البحث عندهم مستمرا بدون أن يصلوا أبدا الى الاجابة الكاملة والنهائية .

ومن هنا يظهر التباين بيننا وبينهم في مفهوم الوحي ، فهو عندهم معقد أشد التعقيد [1] . الأمر الذي أدى بالكثير منهم الى انكاره تماما ، واتخاذ الالحاد مذهبا لهم يتباهون به ويعملون على نشره في العالم بأسره .

وأما عندنا فالوحي أسمى وسائل المعرفة ، وأدقها ، وأوضحها ، ولم نورد أقوال بعض الباحثين الغربيين في اثبات الوحي هنا لتوثيق القرآن ، فنحن معاشر المسلمين في غنى عن ذلك ، لاستقرار الذكر الحكيم في ايماننا ، وتيقننا من صدقه ، نتلوه في كل حين ، ونحن مميزون له عن كل قول آخر غيره ، حتى أصبح أمرا معلوما بالضرورة .

ولكن أوردنا تلك الاقوال لنبين ، أن الغرب يمكنه الاقرار بالالوهية ، باعتبار أن الله موحيا ، وما دام كذلك فهو موجود يجب تنفيذ أوامره والانتهاء عن نواهيه ، وليس لقيصر أي أمر [2] بل الامر كله لله ، الذي يحي ويميت .

---

(١) تتداخل مشاكل الوحي عندهم ، حيث يدخل في الوحي التزاوج المتعارض أو المتكامل : علو الله المحدث والحلول الباطني في المحدَث ، الوحدة والتعدد ، كلام الحق وعمل الغداء ، الاستشهاد العقائدي والاشهاد الشخصي ، التاريخ المتطور المتصاعد ، والحقيقة القاطعة النهائية . الحدث المنصوم والحضره الراهنة ، الكمال النهائي والانتظار الحالي : (المصدر السابق)

(٢) يقال أن المسيح قال : " دع ما لقيصر لغير وما لله لله " وهذا غير صحيح فقيصر وما ملك لله الواحد القهار .

مفارقات بين القرآن وبين الكتب المقدسة الأخـــرى

لم يكن رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ يتلقى معاني القـــرآن في قلبه ، ثم يتولى بعد ذلك التعبير عنها بلغته هو ، كما ثبت ذلك عـــن الكتب المقدسة الاخرى ، وليس القرآن الكريم عملا مشتركا بين مؤلف بشرى وبين الله تعالى .

فقد كان رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقرأ الايات الموحى بهـا قراءة ، كما جرت على لسانه ، فيعيها ويجهد نفسه لحفظها وترداد ها بحرص شديد ، الأمر الذى أدى الى نهيه عن التعجيل بأخذه قبل فراغ جبريل عليـه السلام من قراءة الوحى ، قال تعالى :

(لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه . فاذا قرأ ناه فاتبـــع قرآنـــه .[1]

ومعنى جمعه وقرآنه " ضمه وجمعه "[2] في صدر النبى ـ صلى اللـــه عليه وسلم ـ .

أما اختيار اللغه البشرية ليخاطب بها الله تعالى مخلوقاته من الناس ، فلا يتنافى مع علو ذاته وقداستها ، فقد بين سبحانه أنه ما أرسل من رســول الا باللغة التى يفهمها قومه مباشرة ، قال تعالى :

---

(١) سورة القيامة الآيات ١٦ - ١٧ - ١٨

(٢) ابن قتيبة (ابو محمد عبد الله بن مسلم) تفسير غريب القرآن ص ٥٠٠ وابـــن الجوزى (ابو الفرج عبد الرحمن) زاد المسير جـ ٨ ص ٤٣

(وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيُضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم)[١]

ولذا فالاعتراض على اللغة كأداة اخبار من الله تعالى[٢] اعتراض مرفوض ، باعتبار أن وظيفة اللغه ، وظيفة اجتماعية بدونها يصعب التخاطب والاخبار بالمعنى الدقيق لمفهومها .

وقد شاء الله تعالى ، أن يكون الوحى الظاهرة المناسبة لمخاطبة من اصطفاه ، وميزه بالعصمة ، وحسن التلقى للمعارف الربانية رغم ما يجد هذا المتَلَقي من الشدة والغط ، تقول أم المؤمنين السيدة عائشه رضى الله تعالى عنها ، فى وصف حال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقت نزول الوحى : " رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا "[٣] وعنها أيضا أن الحارث بن هشام[٤] سأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يارسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : " أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على ، فيفصم عنى ، وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول "[٥] .

---

(١) سورة ابراهيم الآيه ٤

(٢) سيأتى التعرض لمشكلة الالهام النفسى عند المسيحيين واعتراضهم على الوحى

(٣) البخارى : بدء الوحى ١/٢

(٤) هو الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى (ت ١٨ هـ)

(٥) البخارى : بدء الوحى ومسلم : فضائل ٨٧

واذن فالصواب أن لا يعترض أحد على ما يشعر به ويراه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأن وسائل المعرفة المثبة لذلك أو النافية ليست مما يمتلكه الانسان ، وانما مما يدركه من سلوك خاتم الأنبياء والمرسلين ، واستقامته ، واعجاز ما جاء به ومعقوليته[1] وقد بين سبحانه أن اعتراض الكفار على ما يراه النبى ويحسه ، ليس اعتراضا صائبا لأنه لا برهان لهم على كذبه (والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالافق الأعلى ، ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى ، أفتمارونه على ما يرى)[2]

---

(١) نقل الشيخ محمد رشيد رضا فى الوحى المحمدى ماكتبه المستشرق (أدوار مونتيه) فى مقدمة ترجمته لمعانى القرآن بالفرنسية ما نصه : (كان محمد نبيا صادقا كما كان أنبياء بنى اسرائيل فى القديم ، كان مثلهم يؤتى رؤيا ويوحى اليه ، وكانت العقيدة الدينية وفكرة وجود الألوهية متمكنتين فيه ، كما كانتا متمكنتين فى أولئك الأنبياء أسلافه ، فتحدث فيه ، كما كانت تحدث فيهم ذلك " الالهام النفسى " ، وهذا التضاعف فى الشخصية ، اللذين يحدثان فى العقل البشرى المرائى والتجليات والوحى والاحوال الروحية التى من بابها) ويعلق الشيخ محمد رشيد رضا على هذه الشهادة بقوله : (ان جميع خصائص النبوة التى كانت فيه (يعنى محمد) أكمل شكلا وموضوعا وأصح رواية وأبعد عن الشبهات " الوحى المحمدى ص ٥٩ واما تعليل هذا المستشرق للوحى الذى يأتى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأنه (الهام نفسى) فتعليل فاسد ، ولا ينطبق الا على مباحثهم الخاصة بعلم الالهام المعقد أشد التعقيد وعلى كتبهم المحرفة .

(٢) سورة النجم الآيات من (١ الى ١٢)

فالنبي يشهد بكل قواه ، أنه يرى ويسمع موضوعه خارج مجاله[1] الشخصي فالوحي بالنسبة اليه تجل ذاتي ، والكلام الموحى يساوقه ومي به وبمصدره ، وهو بخلاف الالهام والالقاء في القلب فان صاحبه لا يدري من أين أتى له ، وهو لا ينطوي على يقين كامل .

أما الوحي فهو يقيني في نفس الرسول لا يشك فيه[2] ، حيث يسمع قول ربه تعالى ويعيه .

ويأتي الوحي على صورتين :

الأولى : الأخذ عن جبريل وهو في صورته الملكية .

الثانية : انخلاع جبريل من الصورة الملكية الى الصورة البشرية حتى يتلقى الرسول منه . وفي الحالتين صعوبة وشدة على الجبلة البشرية فالانبياء بحكم بشريتهم تنتابهم - أثناء تلقي الوحي حالة خارجة عن مدارك البشر بالكلية ، تسبب لهم غيبة عن الحاضرين يتوهمها الناس غَشْيًا أو إغْماءً " وليست منهما في شيء وانما هي في الحقيقة استغراق في لقاء الملك الروحاني ، بادراكهم المناسب لهم ، الخارج عن مدارك البشر بالكلية ، ثم يتنزل الى المدارك البشرية اما بسماع دوي من الكلام فيتفهمه أو يتمثل له صورة شخص يخاطبه بما جاء به من عند الله . ثم تنجلي عنه تلك الحال ، وقد وعى ما ألقي اليه . . . لذا كان المشركون يرمون الأنبياء بالجنون ويقولون له رئي أو تابع من الجن وانما لبس عليهم بما شاهدوه من ظاهر تلك الاحوال ، ومن يضلل الله فما له من

---

(١) مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية ص ٩٨ - ٩٩ دار الفكر بيروت

(٢) المصدر السابق " بتصرف " ص ١٠٢

هـــاد[١]) ومن أجل هذا يخاطب رب العزة والجلال رسول الله محمدًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليهيأه الى تقبل الوحى بقوله :

(انا سنلقى عليك قولا ثقيلا)[٢] كما يرد على من ينكر الوحى بقولـــه تعالى : (أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم)[٣] ويشهد سبحانه وتعالى بأنه هو نفسه منزل القرآن العظيم بقوله : (لكن الله يشهد بما أنـــزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا)[٤]

ثم انه فى كل جزء من القرآن الكريم يتكلم الله تبارك وتعالى ليصدر أمـــرا (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدى القوم الكافرين)[٥] أو ليشرع قانونـــــا (ومن آياته الليل والنهار ، والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمـــــر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون)[٦] أو ليخبر عن حوادث فائته أو آتيه (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون)[٧] وقوله (الم غلبت الروم فى أدنـــى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعـــــد

---

(١) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) المقدمة ص ٩٢

(٢) سورة المزمل الآيه ٥

(٣) سورة يونس آيه ٢ وتتمتها (ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين)

(٤) سورة النساء الآيه ١٦٦

(٥) سورة المائدة الآية ٦٧

(٦) سورة فصلت الآيه ٣٧

(٧) سورة آل عمران الآية ٤٤

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم "(١) أو ليجيب عن أسئلة (ويستنبؤنك أحق هو قل اى وربى انه لحق وما أنتم بمعجزين)(٢) أو تقويم مفاهيم مغلوطة (ويعبدون من دون الله مالايضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون)(٣) ثم ان القرآن صريح فى أنه لامنعه فيه لمحمد صلى الله عليه وسلم اذ يقول الله عز وجل مخاطبا رسوله الكريم ، ليحاجج من ينكر أن القرآن العظيم ، منزل بلفظه ومعناه ، من عند الله عز وجل دون سواه ، وأن لا قدرة لأحد من الخلق على تأليفه البته . " قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون "(٤) ويؤكد أنه عليه الصلاه والسلام لا يقرأ كتابا ولا يحسن الكتابة بقوله " وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون "(٥) كما يؤكد أمية محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى : " الذين يتبعون الرسول النبى الأمي الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراه والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر (٦) ثم يوضح بكل تأكيد أنه لو يتكلف محمد النبى

---

(١) سوره الروم الآيات من ١ الى ٥

(٢) سوره يونس آية ٥٣

(٣) سوره يونس آية ١٨

(٤) سوره يونس الآية ١٦

(٥) سوره العنكبوت الآية ٤٨

(٦) تتمه الآيه : " ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون " (الأعراف آية : ١٥٧) .

النبي الصادق الأمين بأن يقول على الله عز وجل مالم يقله لعاجله بالعقوبة الصارمة (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين (١) ثم لقطعنا منه الوتين (٢) فما منكم من أحد عنه حاجزين (٣))

وبذلك لم يطرح المسلمون السؤال الذى يعرضه المسيحيون للأبعاد المعينة للالهام فى كتبهم المقدسة . وهو : هل كان تأليف الكتب المقدسة بالاملاء الالهى المحض أم بالعمل المشترك بين المؤلف البشرى وبين الروح الالهى أم مجرد ابداع تأليفى لانسان عبقرى فى ميدان الدين ذلك لأن ما يحمله القرآن الكريم من مميزات وخصائص تدل على أنه نزل فى أكمل وأدق صورة يعجز عنها انسان مهما كانت فطنته وعبقريته ، فالناس جميعا يقفون أمام نص محفوظ من التغيير والتبديل أو الزيادة والنقصان (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (٤))

---

(١) و (٢) فى تفسير (اليمين) يقول ابن قتيبه (٢٠٣ - ٢٧٦ هـ) وانما أقام اليمين مقام القوة لان قوة كل شيء فى ميامنه) تأويل مشكل القرآن ص ١٥٤ ط ٣

وقيل لأخذنا منه باليمين يعنى انتقمنا منه بالحق ، قال الرازى : (واليمين على هذا القول بمعنى الحق ، كقوله تعالى : (قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) " الصفات آيه ٢٨ "التفسير الكبير ج ٣ ص ١١٨

وأما الوتين فهو نياط القلب أى العرق المتصل من القلب بالرأس ، والذى اذا قطع مات الحيوان ، قال ابن قتيبة ولم يرد أنا نقطعه بعينه بل المراد انه لو كذب لامتناه فكان كمن قطع وتينه ونظيره قوله عليه السلام (مازالت أكلة خيبر تعاودنى فهذا أوان انقطاع أبهرى " والابهر عرق يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه فكأنه قال هذا أوان يقتلنى ألم ، وحينئذ صرت كمن انقطع ابهره - التفسير الكبير ج ٣٠ ص ١١٩ وابن الجوزى : زاد المسير فى علم التفسير ج ٨ ص ٣٥٥

(٣) سورة الحاقه الآيات من ٤٤ الى ٤٧

(٤) سورة الحجر الآيه ٩

ولذا لم يطرأ عليه أي تحريف وبقي ثابتا على مر الزمن لم يفقد جدته وصدقه (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) (١)

بينما تختلف الحال بالنسبة للكتب المقدسة الاخرى (٢) اذ قد توصل أصحابها بعد مناقشات تفسيريه ، طويله اختلفت فيها المذاهب وتعارضت المدارس الى أن شهود العهد الجديد لم يكتفوا بتسجيل أقوال المسيح وأعماله ، ولم يقتصروا على تكرارها كما جاءت .

فقد أكد لهم علم الالهام ونظريته أن ما أنجز من البحث التاريخي للأناجيل اثبت للمؤلف البشري النصيب الأكبر في تنظيم المعلومات والاستفادة منها سواء وردت من يسوع المسيح ام فيه (٣)

---

(١) سورة النساء الآيه ٨٢

(٢) المقصود بالكتب المقدسه : كتب العهد القديم (التوراة) وكتب العهد الجديد (الأناجيل) ويعتبر المسيحيون الأناجيل مكملة للتوراة وبذلك جعلوا كتب العهدين كتابا واحد يقوم دينهم المحرف على الايمان به بخلاف اليهود فلا يؤمنون الا بكتب العهد القديم والتلمود .

(٣) اعتبرت الكنائس الكاثوليكيه والارثودكسيه أن الكتاب المقدس يشمل الوحي الذي في يسوع المسيح ، والتبليغ الشفاهي الذي قامت به الجماعات المسيحية الأولى المعبرة عنه بالسنة (Tradition) كما أن تفسيرات وتوضيحات الكتاب المقدس شاهده لهذه السنة .
اما الكنائس البروتستانتيه الاصلاحيه فمالت الى تقديم النص المكتوب للكتاب المقدس ، الا أنهم متفقون على أن يسوع المسيح نفسه هو الوحي الكامل للأب السرمدي ولذا فهو الحضرة الالهيه المستقرة بين البشر ، وهذه النتيجه الباهته احدى أسباب الالحاد ولا شك (انظر كتاب مشكلة الوحي الالهي لكلود ترسمنتون (بالفرنسيه)
RENÉ LATOURELLE:
وعلم الوحي الالهي لرينى لاتورال
Theologie de la Revélation
(Desclé de Brouer Bruges)

ومن هنا جاء موقف المفكرين المناهضين لاله الكنيسة باعتباره قد جرد من مزاولة تسييره لهذا الكون الذى خلقه ، فتداخلت آراؤهم وأقوالهم بين انكار للاله وجحوده ، وبين القول بسلبية ولا مسؤوليته ، بل وتجريده من صفاته وتحميله وزر الانسان ، وهذا سبب من أسباب الالحاد الغربى حيث يتلقى الطفل صفات باهتة عن الله تعالى ، وعندما يكبر يجد أنه من المستحيل أن يتصف الله سبحانه بهذه الصفات فيلحد .(١)

ومنذ أصبح نقد النصوص التاريخية علما ، تمكن المسيحيون من اكتشاف مشاكل مطروحة وخطيرة فى أحايين كثيرة ، تتمثل فى تناقضات وأمور بعيدة عن التصديق يقول موريس بوكاى(٢) فى هذا الشأن (واننا لنأسف حقا لذلك الموقف الذى يهدف الى تبرير الاحتفاظ فى نصوص التوراة والانجيل ببعض المقاطع الباطلة خلافا لكل منطق . ان ذلك موقف يسيء كثيرا الى الايمان بالله لدى بعض العقول المثقفة .(٣)

زد على ذلك ما فرضته الكنيسة على مختلف الأجيال الغربية من جهل بكل ما يسمى الاسلام حتى أن "الله" عند المسلمين ليس هو الذى يدركه المسيحيون ولذلك نجد كلمة " الله " غير مترجمة الى لغاتهم فى الترجمات الخاصة بالقرآن أو المباحث الاسلامية ، كما يزعمون أن محمدا عليه الصلاة والسلام قد اعتمد على

---

(١) الدكتور بركات عبد الفتاح دويدار : الوحدانية مع دراسة فى الاديان وانظر الله يتجلى فى عصر العلم

(٢) موريس بوكاى : طبيب فرنسى معاصر اهتم بمقابلة النصوص فى الكتب المقدسة بحقائق العلم .

(٣) القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم (دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثه) ص ١٠ نشر وترجمة دار المعارف ١٩٧٩م

ما سبقه من الأنبياء وذلك بقصد ابعاد كون القرآن الكريم وحيا من الله تعالى كما يرفضون النظر فيما يحتويه القرآن العظيم ولو لمجرد التأمل وهو حق فظيع وتعصب أعمى لا مثيل له فى التاريخ ، والحال أن البحوث العلمية الدقيقة فى هذا العصر أظهرت بكل تأكيد الفرق الجوهرى بين الديانتين المنحرفتين اليهودية والمسيحية من جهة وبين الأسلام من جهة أخرى ، حيث أن الديانتين تفقدان نصوص الوحى الثابت ، وتعتمدان على شهادات بشرية غير مباشرة ، فى حين أن الاسلام له القرآن الذى هو وحى منزل وثابت معا ، كتب فور نزوله ويحفظه ويستظهره المسلمون فى كل أوقاتهم وعند الصلوات خاصة وفى شهر رمضان كما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم من غير تبديل أو تحريف ، رغم ما يبذله محترفو الغزو الفكرى من محاولات فى تأويل ظاهرة الوحى بالالهام وحديث النفس من أجل التلبيس على منبع يقين المسلمين ، ولكن القرآن بقى محفوظا لم يختلف عليه طوال التاريخ الاسلامى حتى مع أهم فرق الشيعة[1] فقد ورد فى كتاب (أصل الشيعة وأصولها)

---

(١) قد يعتقد بعض الشيعة من الامامية وقوع تحريف فى القرآن كما ذكر ذلك الشيخ محب الدين الخطيب فى كتابه الخطوط العريضة لأصول الشيعة (من ص ٩ الى ١٦) غير أن هذا ليس لهم عليه دليل اذ المصاحف التى فى حوزتهم لا تختلف عن نسخ أهل السنة ، ومسألة تقسيم السور وترقيمها حيث يقال ان سورتى الضحى والشرح تكونان سورة واحدة ، وكذلك سورتا الفيل وقريش ، وسورتا الأنفال والتوبه ، فهذا القول لا يوجد الا نظريا عند بعض علماء الشيعه .
اما الكلمات التى يقال انها ساقطة من مصحف عثمان فغير مضافة فى مصاحفهم لأن امامهم لم يعتمدها . وأما سورة النورين الموضوعة والتى نشرها جارسين دى تاسى تحت عنوان (سورة مجهولة من القرآن) فان عنوانها ظهر لأول مرة فى القرن السابع الهجرى ، كما جاء ذلك عند الطوسى ، ولذا لم يعتمدها العالم الفذ ، ميرزا اسكندر كاظم ثم ان التباين واضح بينها وبين القرآن من حيث الاسلوب وأناقة العبارة وتناسقها يراجع فى ذلك الجريدة الاسيوية JOURNAL Asiatique عدد ديسمبر ١٨٤٣ مقال ميرزا اسكندر كاظم ، ومدخل الى القرآن للدكتور محمد عبد الله الدرازى . ٤ (تعليق)

قول - مؤلفه[1] ((ان الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله اليه (يعني بذلك محمداً صلى الله عليه وسلم) - للاعجاز والتحدي ، ولتعليم الاحكام وتمييز الحلال من الحرام وأنه لا نقص فيه ، ولا تحريف ولا زيادة ، وعلى هذا اجماعهم ومن ذهب منهم أو من غيرهم من فرق المسلمين الى وجود نقص فيه أو تحريف فهو مخطيء بنص الكتاب العظيم (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) والاخبار الواردة من قبلنا أو قبلهم الظاهره في نقصه ،أو تحريفه ضعيفة شاذة وأخبار أحاد لا تفيد علما ، ولا عملا ، فأما أن تأول بنحو من الاعتبار أو يضرب بها الجدار .

ويعتقد الامامية أن كل من اعتقد أو ادعى نبوة بعد محمد - صلى الله عليه وسلم - أو نزول وحي أو كتاب فهو كافر يجب قتله[2] .))

وبناء على ذلك فان القرآن العظيم ثبت توثيقه علميا وتاريخيا[3] ، بأنه الكتاب الرباني الوحيد الذي ليس فيه أي تغيير . وبأن قبول نصه من الجميع يعد أكبر حجة ودليل على صحة هذا النص الموحى به والموجود معنا اليوم ، ولذلك أخرج القرآن من نطاق الحركة النقدية الحديثة للكتب المقدسة ، التي ثبت نقلها عن مصادر مختلفة ، وحوت تناقضات وأمورا غير معقولة .

---

(١) هو الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، العالم الشيعي المشهور (١٢٥٩ هـ ١٨٧٦م) - (١٣٧٣ هـ ١٩٥٤م)

(٢) أهل الشيعة وأصولها ص ١٣٣ طبع المطبعة العربية بمصر ١٣٧٧ هـ

(٣) يراجع بسان هيلار : محمد والقرآن B. St HILAIRE MOHAMED et le KORAN والدكتور محمد عبد الله الدراز مدخل الى القرآن ص ٤٠ (تعليق)

فقد وكل سبحانه وتعالى أصحاب هذه الكتب بحفظ كتبهم الا أنهم لم يحفظوها قال تعالى : (والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله)[1] فحرفوا وبدلوا ما استحفظوا عليه (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون)[2] في حين أن القرآن الكريم (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)[3]

ثم ان الجمهور قد أحاط نص القرآن بمقاييس في الرواية تمنع اقحام شيء عليه أو تنقص شيء منه قالوا : " ان القرآن لا يثبت الا بالتواتر ، فكل قراءة على خلاف الوجه المرسوم في مصحف الجماعة ليست بالقرآن "[4]

وهكذا وصل الينا حسب هذا المنهج العلمي المتبع في النقول والأخبار[5]

---

(١) سورة المائدة الآيه ٤٤

(٢) سورة البقرة الايه ٧٩

(٣) سورة فصلت الايه ٤٢

(٤) الزركشي : البرهان في علوم القرآن جـ ١ ص ١٢٩

(٥) يعتمد منهج البحث العلمي عند علماء المسلمين على قاعدة فذه هي قولهم ان كنت ناقلا فالصحة أو مدعيا فالدليل - وهي قاعدة جليلة امتازت بها هذه الامه الملتفة حول كتابها والحافظة له بحفظ الله له ، وموضوعه خبرا منقولا يجب تحقيقه لا لأنه يشك في النسبة بينه وبين مصدره فذلك غير وارد البتة لانه ليس كمخطوطات العالم القديم التي وقع نقلها بشيء من الحرية فكانت موضوعا للمراجعة والرويات الشفوية ، وانما شأن القرآن، فهو الكتاب المنقول الينا تواترا أي يستحيل على ناقليه اتفاقهم على الكذب ، لكونهم جمعا عن جمع ، ولأن الخبر له اشاعة " انظر كتاب كبرى اليقينات الكونية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص ٣٣ وما بعدها ط دار الفكر (الطبعة الخامسة) .

وهو منهج فوق المذاهب والاجناس والأوطان ، يعتمد على الحس لا العقل والنظر حتى لا يدخل فيه ما يستحسنه العقل ، أو يخرج منه ما يستقبحه .

وبهذا التوثيق نقرأ النص القرآنى فى المصاحف المطبوعة اليوم مطابقا ، مطابقة حرفية للنص المكتوب باملاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث حفظ بعناية وتقديس فى صدور الصحابة والتابعين وتابعى تابعيهم ، ويحفظ اليوم ، والى يوم يبعثون بهذه الصورة المشرفة فى صدور المسلمين[1] وصدق الله عز وجل الذى

---

(١) رغم الخلاف الذى نزع بين مختلف الفرق الاسلامية مبكرا بسبب تباعد آرائهم السيابة ظل القرآن واحدا حتى بالنسبة للفرق الاسلامية الحانقة على الخلفاء الثلاثة الاول " أبو بكر " وعمر وعثمان " رضى الله عنهم جميعا وما نقله البقلانى من زعم بعض الشيعة أن القرآن أضعاف هذا وهو يبلغ حمل جمل وانه سيظهره (المهدى) أو دعواهم أن هذا القرآن ليس هو الذى جاء به النبى - صلى الله عليه وسلم - وانما هو شىء وضعه عمر وعثمان رضى الله عنهما . أو دعواهم أن فيه زيادة أو نقصانا ، فقد رد عليهم البقلانى ردودا مفحمة منها :

أولا : ان الله ضمن حفظ كتابه أن يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه ووعده الحق .

ثانيا : أن العدد الذين أخذوا القرآن فى الأمصار ، وفى البوادى ، وفى الاسفار والحضر ، وضبطوه حفظا من بين صغير وكبير - عرفوه حتى صار لا يشتبه على احد منهم حرف لا يجوز عليهم السهو والنسيان ولا التخليط فيه والكتمان

ثالثا : ولوزادوا أو نقصوا أو غيروا لظهر ، وقد علمت أن شعر امرىء القيس وغيره على انه لا يجوز ان يظهر ظهور القرآن ولا أن يحفظ كحفظه ولا ان يضبط كضبطه ولا ان تمس الحاجة اليه امساسها الى القرآن لوزيد فيه بيت أونقص منه بيت لا بل لوغير فيه لفظ لتبرأ منه اصحابه وانكره أربابه فاذا كان ذلك مما لا يمكن أن يكون فى شعر أمرىء القيس ونظرائه مع الحاجة اليه تقع لحفظ العربية فكيف يجوز أو يمكن ما ذكروه فى القرآن مع شدة الحاجة اليه فى الصلاة التى هى اصل الدين ثم فى الاحكام والشرائع .

رابعا : اشتمال الهمم المختلفة على ضبطه فمنهم من يحفظه للشرائع والفقه ومنهم من يقصد بحفظه الفصاحة والبلاغة ، ومن الملحدين من يحصله لينظر فى عجيب شأنه وكيف يجوز على أهل هذه الهمم المختلفة والاراء المتباينة على كثرة اعدادهم واختلاف بلادهم وتفاوت اغراضهم أن يجتمعوا على التغيير والتبديل والكتمان

(اعجاز القرآن للبقلانى ص ١٩)

تكفل بحفظه حيث يقول (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)[١].

ويحفظه سبحانه لكلامه ، تحفظ عقيدة الانسان ، ويقوم الكون كله بها اذ هى الحقيقة الكبرى والموضوع الرئيسى فى جميع القرآن .

ثم ان اثبات الالوهية الواحدة ونبذ كل الشركاء والتعريف بها أكبر أبواب هذه العقيدة التى من ضمنها الايمان باليوم الآخر ، والايمان بالملائكة والكتب والنبيين والقدر خيره وشره ومن هنا كان البحث فى مسألة الالوهية يرتبط بكل العقيدة الاسلامية الصحيحة وقد أثبتها القرآن الكريم بكل دقة وموضوعية وهويخاطب الانسان بجهاته من كل جانب ، ويدخل اليه من كل أقطار نفسه من صفحة الكون المعروضة أمامه ، من الاحداث الجارية حوله ، من نفسه وما يجرى فيها ، من مشاهد الدنيا ومشاهد الآخرة ، مما تدركة الحواس وما لا تدركه الحواس ، كما يواجهه بحقيقة نفسه عاجزا ضعيفا محتاجا ، مقرا بعجزه[٢].

ومن عجز الانسان عدم قدرته على الاتيان بمثل هذا القرآن العظيم فى فصاحته وحكمه ، وتشريعاته وعلومه ولذلك فأول ما يقرعنا به القرآن هى خاصية اعجازه ، ولسنا نريد هنا الخوض فى بيان اعجازه فذلك يخرجنا عن موضوع البحث وانما نريد أن نعلم أن خاصية الاعجاز تندرج ضمن منهج القرآن فى اثبات الالوهية

---

(١) سورة الحجر آلايه ٩

(٢) الشيخ محمد قطب : دراسات قرآنية ص ٣٢ ط ٣ دار الشرق ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م .

الفصل الثاني

اعجاز

(الفصل الثانـــي)

اعجـــــــــــــازه

أما اذا نظرنا الى ذات القرآن بصفة موضوعية ، فيمكن لنـــا أن نعرفه من نصه نفسه أى من جهة وحدته الذاتية التى هى موضوعه وهو التعريف بالحد أو ما يعبر عنه بمصطلح العصر بالتعريـــــف الموضوعي ، فيكون حينئذ أن القرآن على ما هو عليه : " كـــلام الله المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلـــم بواسطة الأمين جبريل عليه السلام ، المعجز ، المكتوب فـــــى المصاحف المنقول الينا بالتواتر المتعبد بتلاوته ، المبدوء بسـورة الفاتحة المختوم بسورة الناس " (١)

---

(١) هذا التعريف متفق عليه بين الأصوليين والمتكلمين وبين الفقهـاء والبلغاء على حد سواء فهو كلام الله باعتباره صفة أزلية لـــه سبحانه وتعالى ، وهو معجز باعتباره الكلام البالغ من مطابقـة مقتضى الحال حد الاعجاز وهو متعبد به لما يتعلق به من الأحكام وقد أريد ببيان اختصاص اسم القرآن بصفاته الـــتى امتاز بها عن أنواع الكلام الأخرى ، فالكلام جنس شامل لكـــل كلام واضافته الى الله تميزه عن كلام من سواه من الانـــس والجن والملائكة ، والمنزل مخرج الكلام الالهى الذى استأثـــر الله به عنده أو القاه الى ملائكته ليعملوا به ولا ينزلوه على أحـــد من البشر ، اذ ليس كل كلامه تعالى منزلا بل المنزل قليل من كثيـــر (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفـــد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) الكهف الآية ١٠٩ .
وأما تقييد المنزل بكونه على محمد فلاخراج ما أنزل على الأنبياء مـــن قبله وبكونه المعجز ليخرج بذلك مثل الحديث القدسي فانه ليـــس بمعجز وقيد المتعبد بتلاوته أى المأمور بقراءته فى الصلاة وغيرهـــا على وجه العبادة لاخراج ما لم يتعبد بتلاوته كالقراءة المنقولة الينا عن طريق الاحاد وكالأحاديث القدسية المسندة الى الله تعالى وتلقـى الرسول مضمونها وحيا فبينها صلى الله عليه وسلم بكلامه وهو الأظهر والله أعلم .

وبالنظر الى هذا التعريف الذى يشمل الجنس وهو كلام الله تعالى والفصلين الفارقين وهما صفة الوحى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وأنه مقصود به الاعجاز[١] ليحترز بهما عما يمكن أن يتصل بجنس القرآن العظيم وليس منه فى ما هيته النوعية ، نجد أن هذا التعريف يثير مسائل خمسا - هي :

أولا : وجود الله تعالى وهو المقصود بهذا البحث .

ثانيا : صدور الكلام عنه سبحانه وتعالى .

ثالثا : اثبات الوحي الذى هو تلقى عبد من عباده لكلامه بطريق من طرق الادراك زائد عن طرق الادراك المادية للانسان التى هى الحاسة والحس والعقل وهو طريق أسمى من هذه الطرق ، يمكن أن يدرك به بعض من خصه الله تعالى بذلك بطريق الاصطفاء : (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير)[٢] (وانا اخترتك فاستمع لما يوحى)[٣]

---

(١) وليس هو القصد الوحيد ، وأما أصل المعجزة فهى الفعل الذى لا يستطيع أحد أن يأتى به ، ويكون من النوع الذى نبغ فيه قوم الرسول فى ذلك العهد ، حتى لا يقال إن الرسول تحدى قومه بأمر لا يعرفونه ولا موهبة لهم فيه كالحال بالنسبة لسحرة فرعون مع عصا موسى عليه السلام حيث أبطلت سحرهم وتلقفت ثعابينهم بأمر الله ، وكابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله لعيسى .

(٢) سورة الحج آيه ٧٥

(٣) سورة طه الاية ١٣ .

رابعا : وجود الموحى اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم باعتباره مرسلا من رب العالمين .

خامسا : وجود القصد [1] مع تحدى كل القوى المختارة التى ميزها الله تعالى بقدرة العقل والفكر والاختيار ، فالقصد الرئيسى فى القرآن كله هو تأسيس العقيدة الصحيحة باعتبارها محور الاصلاح البشرى ، فكلمة لا اله الا الله بكل موجباتها فى الافاق وفى الأنفس وكل تفصيلاتها وتفريعاتها أو كل مقتضياتها فى واقع النفس وواقع الحياة جاء بها القرآن على منهج لم يسبقه به كتاب ولم يلحقه به آخر ، وهى لا تتعارض مع حقائق الكون التى تنتهى إليها العقول ، وهذه حجته القاطعة ودليله القائم على مر الزمان فهو معجز فى بلاغة أسلوبه وسمو معانيه وجوامع كلمه ومعجز فى استيعابه كل قضايا الحياة بما قصه من سير الأنبياء والمرسلين السابقين وبما تضمن من تشريعات حكيمة ، ومثل عليا ، وجوانب روحية مدهشة ، ومعجز بما حوى من آيات العلم والمعرفة الصحيحة عن الجانب المادى من الكون مما لم يكن للناس علم به ، قال تعالى : (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) [2]

---

(١) أنظر محمد الفاضل ابن عاشور : المحاضرات المغربيات ص ١٤٢ ط الدار التونسية للنشر ١٩٧٤ م .

(٢) سورة الاسراء الاية ٨٨ .

وقال تعالى : (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتـــوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فـــان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) (١) .

ويورد فى هذا الشأن وحيد الدين خان تعليقا للمستشـــرق ولاستن فى كتابه MOHAMAD HISLIFE ET DOCTRINE p143 يقول فيه : " ان اعتداد محمد بالاعجاز الأدبى للقرآن لم يكن على غير أساس بل يؤيده حادث وقع بعد قرن من قيام دعوة الاسلام " وخلاصة هذا الحادث أن جماعة من الزنادقة أزعجهم تأثير القـــرآن الكريم فى عامة الناس فاتصلوا بعبد الله ابن المقفع ٧٢٧ م الكاتـــب العبقرى وطلبوا اليه معارضة القرآن على أن يتكفلوا بكل ما يحتـــاج اليه خلال مدة القيام بهذه المهمة ، وقد قدرت بسنة ، ولكنه بعـــد مضى ستة أشهر على الاتفاق عاد اليه هؤلاء الزنادقة وهم تطلـــع الى معرفة ما حققه أدبيهم ولما دخلوا عليه وجدوه مستغرقا فى تفكيـــر عميق وأوراق الكتابة متناثرة أمامه على الأرض بينما امتلأت غرفتـــه بأوراق كثيرة كتبها ثم مزقها ، وقد اعترف امام أصحابه والخجـــل والضيق يملكان عليه نفسه أنه على الرغم من مضى ستة أشهر فانـــه

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٣ ، ٢٤ .

لم يفلح أن يأتي بآية واحدة من طراز القرآن الكريم .[1]

وهكذا تخلى ابن المقفع عن مهمته مفلولها وثبت عجز الانسان عن الاتيان بمثل هذا القرآن ، ثم انه بالنسبة لنا المسلمين نعرف بخبر الله عز وجل أن الجن غير قادرين على معارضة القرآن وأن العرب كانوا يتناقلون شعر هؤلاء [2] - يقول الباقلاني : " والقدر الذى نقلوه من ذلك قد تأملناه فهو فى الفصاحة لا يتجاوز حد فصاحة الانس ولعله يقصر عنها ولا يمتنع أن يسمع كلامهم ويقع بينهم ، وبينهم محاورات فى عهد الأنبياء صلوات الله عليهم وذلك الزمان مما لا يمتنع فيه وجود ما ينقض العادات [3] " واذن فان العرب يعتقدون أن للجن كلاما وهم يخاطبونهم ويحكون عنهم من ذلك أن لامرىء القيس قصيدة مع عمرو الجني ، وقد نقلت أشعار لذى الرمة عن الجن منها قوله :

وكم عرست [4] بعد السرى من معرس ... به من كلام الجن أصوات سامر [5]

---

(١) وحيد الدين خان الاسلام يتحدى ص ١٢٥

(٢) يروى بعض الشعر فى العربية وينسب الى الجن ومن ذلك البيت التالي :

وقبر حرب بمكان قفر .. وليس قرب قبر حرب قبر

أورده الباقلاني والرماني فى اعجاز القرآن ونص عبارة الباقلانى : قالوا هو من شعر الجن وحروفه متنافرة لا يمكن انشاده الا بتتمتع فيه .

(٣) الباقلاني : اعجاز القرآن ص ٣٩ .

(٤) التعريس النزول آخر الليل للنوم والاستراحة .

(٥) وسامر الذين يتحدثون بالليل .

وقوله أيضـــا :

ورمل عزيف (١) الجن فى عقباته (٢) هزير (٣) كتضراب المغنين بالطبل (٤)

وقد حكى الله تعالى عن الجن ما تفاوضوا فيه حول القرآن - فقال :

(واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين) (٥)

وهناك من المتكلمين من يرى أن عجز الانس عن الاتيان بمثـــل القرآن يثبت له حكم الاعجاز فلا يعتبر غيره ، غير أن الايـــــة تشرك الجن مع الانس فى عدم الاتيان بمثله ولذلك فحكمة تشريـــك الجن لا بد منها للاعتقاد السائد بأن الجن يتكلمون وينقل كلامهـــم الناس .

وكما أدهش القرآن الكريم العرب وحير عقولهم بسحر بيانـــه وروعة معانيه فانه بمنهجه فى العقيدة استطاع أن يزحزحهم عـــن عقائدهم الباطلة ويأخذ بيدهم الى الايمان بالله الواحد فكان الآيـــة الكبرى بين يدى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه أفضل الصـــلاة

---

(١) عزيف الجن صوت يسمع بين الرمال .

(٢) فى ديوانه ص ٤٨٨ يروى (فى عقداته هدوء) وعقدات الرمـــل ما انعقد منه هدوء أى بعد ساعة من الليل .

(٣) هزير صوت كصوت الرحى وما أشبهها .

(٤) الباقلاني : اعجاز القرآن ص ٣٩ وما بعدها .

(٥) الأحقاف الآية ٢٩ .

والتسليم [١] ، وهو لا يزال ولا شك البرهان الدائم الذى يدفع الناس تلقائيا الى الايمان بالله واحد لا غير هو رب العالمين .

وقد أثبت بعض المتخصصين فى العلوم الاجتماعية والنفسية ما يجده قارىء القرآن ومستمعه أثناء التلاوة فقال [٢] : " يجد فيه لذة للجوارح وفرحة للقلب وانشراحا للخاطر ، فالاذن والعين واللسان تمتلىء بالكلام العزيز قبل أن ينفذ الى الصدر أو يستنير به العقل [٣] التلاوة والتجويد أساسيان لربط الصلة بالكتاب/ الاستماع الى الذكر الحكيم تمكن عاطفى وجوارحى من الكلام المنزل ووسائل

---

(١) روى أن جبير بن مطعم ورد على النبى صلى الله عليه وسلم فى معنى له أراد أن يفاديه فدخل والنبى صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة (والطور وكتاب مسطور) فى صلاة الفجر فلما انتهى الى قوله : (ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع) قال جبير : " خشيت أن يدركنى العذاب " وأسلم .
البخارى جـ ٤ ص ٦ ومسلم رقم ٤٦٣ ورسالة ١ / ٩٩ .
وفى الأثر الآخر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه اعتنق الاسلام لما سمع سورة طه (الاصابة ٤ / ٢٤٠) - وقد قال فى ذلك الشاعر:
سمعت سورة طه من مرتلها ... فزلزلت نية قد كنت تنويها

(٢) صاحب القول هو الدكتور/ عبد الوهاب بوحديبة المتخصص فى العلوم الاجتماعية والنفسية ومدير مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية بتونس .

(٣) روى فى صحيح البخارى باب الماهر بالقرآن انه عليه الصلاة والسلام قال : (ما أذن الله لشىء ما أذن لنبى حسن الترنم بالقرآن) ومعنى يأذن : أى يسمع له يقال اذنت للشى اذا استمعت له .

الابلاغ هنا جزء لا يتجزأ من تلك التجربة المؤدية الى المعنى [1] .. كلام الله انهاء لذبذبة الانسان غير الواعي لكنهه ولمصدره ولمصيره وبه يدمج الفرد الضائع فى التدفق الكونى للموجودات فهو مصدر الفهم وهو العروة الوثقى [2] وهذه الحالة تصدق على الذين لا يحسنون العربية ، فكم سامع للقرآن لا يفقه شيئا من اللغة العربية ومع هذا يعجب لترتيل المقرىء وينساق مع تجويده وجدانيا ، ثم يتطلع الى معانى الآى الحكيم فيعقلها ولو بواسطة الترجمة لمعانيها وبذلك يتوقد الاحساس الفطرى بوجود الخالق الحق فيؤمن أو يعزز ايمانه به تعالى [3] .

---

(١) يقول تعالى : (الذين أتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به) البقرة الاية ١٢١ ، وحق التلاوة النية الخالصة لله سبحانه وتعالى والتزام أحكامه ومن ضمنها ترتيل القرآن أى الترسل والتثبت ، وأما التجويد فهو تحسين تلاوة القرآن الكريم على حسب ما أنزل الله تعالى على نبيه عليه الصلاة والسلام باخراج كل حرف من مخرجه واعطائه حقه من الصفات التى تتعلق به من غير تكلف ولا تعسف ، وحكم ذلك شرعا فرض على كل قارىء لقوله تعالى : (ورتل القرآن ترتيلا) وأما الاستماع فدليله قوله تعالى : (واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون) الاعراف الاية ٢٠٤ .

(٢) عبد الوهاب بوهديبة : كلام الله وحضوره المستمر فى التاريخ ص١٤ .

(٣) أكبر دليل على قولنا هذا وجود هذه الكثرة من المسلمين الذين يجهلون العربية بتاتا ومع ذلك يحفظون القرآن الكريم .

وهذه آية اعجازه الواقعة فى كل عصر ، والتحدى بهـا لازم لأهل كل زمان فقد قال عز وجل : (وان أحد من المشركيـــن استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه)[1] قـــال الباقلاني :" فلولا أن سماعه اياه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه"[2] ثم قال بعد ذلك : " وليس اذا أمكن معرفته (أى الله) من جهـــة العقل امتنع أن يعرف من طريق القرآن بل يمكن عندنا أن يعـــرف من الوجهين " [3].

ويقول الامام الطبرى[4] عن القرآن : " هما الله تعالـــى الرسول عليه الصلاة والسلام بالرسالة مؤيدا بدلالة على الأيام باقيـة وعلى الدهور والأزمان ثابته ، وعلى مر الشهور والسنين دائمـــة يزداد ضياؤها على كر الدهور اشراقا وعلى مر الليالى والأيـــام ائتلافـا "[5]

---

(١) سورة التوبة آيه ٦

(٢) اعجاز القرآن ص ٩ .

(٣) لما كانت الأشعرية ترى أن طريق معرفة الله هو العقل فـــان الباقلاني أراد هنا أن يبين أن معرفة الله ليست مقصورة علـى العقل بل يمكن أن تكون من طريق العقل ومن طريق النقل .

(٤) محمد بن جرير الطبرى ت ٣١٠ هـ .

(٥) جامع البيان فى تفسير القرآن المقدمة جـ ١ ص ٣ .

وفى الحديث : (ان هذا القرآن حبل الله المتين والنور المبين ، والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه لا يزيغ فيستعتب ولا يعوج فيقوم ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد)[١] .

وهذه علامة على وجوب عبادته سبحانه ، ذلك لأن القرآن شرح لما يتعلق بذاته تعالى وأفعاله وصفاته وكما يقول الغزالي : " فالعلوم كلها داخلة فى أفعال الله عز وجل وصفاته ، وفى القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته ، وهذه العلوم لا نهاية لها ، وفى القرآن اشارة الى مجامعها "[٢] .

ولذا نجد ابن القيم يرجع دعوة الله تعالى لعبادته ومعرفته الى طريقين :

الطريق الأولى : النظر فى آياته المشهودة أى مفعولاته .

الطريق الثانية : التفكر والتدبر فى آياته المسموعة المعقولة وهو القرآن الكريم[٣] الذى قال عنه جعفر الصادق[٤] فيما ينقله الغزالى عنه : "لقد تجلى الله عز وجل لخلقه فى كلامه ولكنهم لا يبصرون "[٥]

---

(١) خرجه الترمذى فى كتاب ثواب القرآن والدارمى فى فضائل القرآن وعند الامام احمد جـ ٣ ص ١٤ - ١٧ - ٢٦ كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض.

(٢) الاحياء جـ ١ ص ٢٩٠ .

(٣) كتاب الفوائد ص ٠٠ .

(٤) الامام جعفر الصادق ت ١٤٨ .

(٥) الاحياء جـ ١ ص ٢٨٩ .

الفصل الثالث

اقراء القرآن للرسول

الفصل الثالث

اقراء القرآن للرسول

أما الخاصية الثالثة فتتمثل فى كون الله سبحانه وتعالى هو الذى أقرأ هذا القرآن لخاتم الرسل محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، فكان أول ما نزل عليه : (اقرأ باسم ربك الذى خلق)[1] حيث نزلت عليه وهو فى غار حراء .[2]

فقوله سبحانه (اقرأ) أمر بالقراءة لا بتبليغ الرسالة ، قال ابن تيمية : وبذلك صار نبيا ، وقوله : (قم فأنذر)[3] أمر بالانذار وبذلك صار رسولا منذرا .[4]

ثم انه سبحانه وتعالى طلب اليه فى سورة الأعلى أن يجتهد فى حفظ ما يقرأ من القرآن العظيم فقال : (سنقرئك فلا تنسى)[5] ذلك لأنه انذار رب العالمين للبشرية المميزة بالعقل فلا يجوز لمحمد صلى الله عليه وسلم أن ينسى منه حرفا واحدا ، كما أنه

---

(١) سورة العلق آية ١ .

(٢) يراجع فى ذلك حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها فى نزول (اقرأ باسم ربك) فى الصحيحين : البخارى فى بدء الوحي ج ١ ص ٤ وفى التفسير ، ومسلم فى الايمان .

(٣) سورة المدثر آية ٢ .

(٤) يراجع مجموعة تفسير شيخ الاسلام ابن تيمية وكيفية ترجيحه لأول ما أنزل من القرآن ص ١٩٧ ، وكذلك السيوطى فى الاتقان ١ : ٢٩ .

(٥) سورة الأعلى الآية ٧ .

لا دخل له فيما احتواه هذا التنزيل العزيز ، قال تعالى : (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين)[1] ولذا فلا مجال لأن يتقول النبي على الله الأقاويل .

وفي سورة البقرة يقول له الله سبحانه وتعالى : (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين)[2] فهو لم يكن يعلم هذه الآيات الا ساعة أن تتلى عليه ، ولم يكن مختارا في تبليغ رسالة ربه والا لما أخبره بأنه من المرسلين .

وكذلك فانه سبحانه يمن عليه بقوله تعالى : (ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم)[3] ، وهو لعمر الحق أعظم درجة ينالها بشر في هذه الدنيا وهذا القرآن يسميه منزله تعالى كتابا حتى لا يقع الخوض في مقدار ما أنزل على الرسول على الله عليه وسلم بالادعاء بالباطل بالزيادة فيه أو بالنقص منه فيخاطبه بقوله سبحانه : (كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين)[4] ، فهو ملزم بالانذار بهذا القرآن مهما بلغت آياته من الشدة على الكافرين .

---

(١) سورة الشعراء آيات ٩٢ - ٩٤ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٢ .

(٣) سورة الحجر آية ٨٧ .

(٤) سورة الاعراف آية ٢ .

وفي سورة النساء يبين له أنه يمكن أن يضله بعض الناس عن الطريق السوى ولكن بفضل الله تعالى ورحمته به نزل عليه الكتاب والحكمة وعلمه ما لم يعلم (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون الا أنفسهم وما يضرونك من شئ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ، وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) (١) .

وهذا فضل عظيم حقا اقتضته حكمة الله تعالى حيث أراد أن يحمل هذه الرسالة الى الانسانية قاطبة شخص أمى هو محمد صلى الله عليه وسلم الذى لم يدخل على فطرته الصافية الا تعليم ربه فحمل القرآن الكريم وبلغه نقيا صافيا من كل شائبة من تعليم الناس ومفاهيم الأرض ، وبذلك تجاوبت معه الفطرة الانسانية وأثرت فى أعماق أعماقها قال تعالى : (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمي الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) (٢) .

وبذلك كانت أميته أكبر برهان على أن هذا الكتاب من عند مدبر للأكوان بحق هو الله تعالى : (وما كنت تتلوا من قبله من

---

(١) النساء آية ١١٣ .

(٢) الاعراف الآية ١٥٨ .

كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون) [١] .

وقد ذكرت هذه الأمية في التوراة والانجيل كما أخبر بذلك القرآن الكريم ليدل على شيء عظيم وهو أن هذا القرآن لم يكن ليأتي به أمي من تلقاء نفسه (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) [٢] .

ولذلك لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم يعرف أي شيء من المعارف الخاصة بالنبوة لأنه لم يكن يدري ما الكتاب ولا ما الايمان كذلك ليس له حتى نية الاستعداد لمهمة الهداية هذه فقد جاءه الوحي وهو يجهل هذا النوع من التعليم بتاتا ومن رحمة الله تعالى به أنه جعله على استعداد لتلقي ما يلقى اليه من نصوص الكتاب ببيان أن الرسل من قبله كانت هذه حالهم اذ قال له : (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم) [٣] .

ثم بين له أنه كذلك عومل كالرسل السابقين فقال له : (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم) [٤]

---

(١) العنكبوت آية ٤٨ .
(٢) الاعراف آية ١٥٧ .
(٣) الشورى آية ٥١ .
(٤) الشورى آية ٥٢ .

ومن الأدلة على أنه لم يكن يتوقع أنه سيكلف بدور المرسل وأن ما يتلوه فوق طاقته البشرية وأنه من لدن الرحمن الرحيم أكرمه به قوله سبحانه : (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين) [١] .

وهو نفسه لم يكن يعرف كيف يرشد نفسه الى الطريق القويم لولا أن هداه الله تعالى الى ذلك حيث وجده ضالا عن العبادة الصحيحة فهداه اليها (ووجدك ضالا فهدى) [٢] .

ومن هنا كان التحول ضخم بين شخصيته صلى الله عليه وسلم قبل بعثته كرجل عادى وبين حياته بعد نزول الوحي حيث أصبح رسولا نبيا ، فبين الحالتين اختلاف بين ، مع الاحتفاظ بالخط الأساسي وهو الدرجة العالية من الاخلاق التى لم تتغير ، فهو الأمين الذى لم يشترك فى عبادة الأوثان ولم يرتكب عملا مشينا ولم يكذب أبدا ، والذى قال عنه الامبراطور هرقل لأبى سفيان ((لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله)) [٣] ، وهذه شهادة ذات قيمة عظيمة ، وان كانت غير معروفة فى المراجع الأوربية [٤] تثبت أن القرآن

---

(١) القصص آية ٨٦

(٢) سورة الضحى آية ٧ .

(٣) يراجع البخارى : كتاب الجهاد

(٤) محمد عبدالله دراز : مدخل الى القرآن الكريم ص ١٦٤ .

نفسه دليل على وجود الله تعالى : (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) (١) .

واذن فالمصدر الحقيقي للقرآن هو الله تعالى ، ودور محمد صلى الله عليه وسلم على ما فيه من صعوبة ومشقة يتسم بالخشية والتقديس نحو القرآن الذى هو كلام الله ذاته ، ولا قدرة لمحمد عليه الصلاة والسلام أو لغيره على تبديله أو ادخال أى تعديل عليه (قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسى) (٢) ولا أن يشرحه من تلقاء نفسه ، ولا حتى أن يعجل بتكرير النص القرآنى لنفسه وهو يتلقاه من جبريل عليه السلام .

فالشارح للقرآن والجامع والحافظ له ،هو صاحبه ومنزله اذ هو القادر على ذلك(لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه) (٣) وقوله تعالى : (فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما) (٤)

---

(١) سورة يونس آية ١٦ .

(٢) سورة يونس آية ١٥ .

(٣) سورة القيامة آيات ١٦ - ١٩ .

(٤) سورة طه الاية ١١٤ .

الفصل الرابع

توجيه الرسول الى ما يخالف اجتهاده

(الفصل الرابع)

توجيه الرسول الى ما يخالف اجتهـــــاده

أما الخاصية الرابعة فهى مخالفة النص القرآني لاجتهـــاد[1] الرسول صلى الله عليه وسلم وتصويب رأيه نحو الكمال فيأذن له فى شىء لا يميل اليه أو يعاتبه فى أشياء قليلة الخطورة ، بل قد يوجـــه اليه نقدا نلمح فيه شيئا من الشدة ، من مثل قوله تعالى : (وما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيـــا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكـــم فيما أخذتم عذاب عظيم)[2] .

لقد تأثر رسول الله عليه الصلاة والسلام للذى عرض علـــى الجماعة المؤمنة من العذاب ، اذ لم يتوقع هذا النقد المخيـــف فبكى بشدة : وبكى معه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وجاءهما عمـــر الفاروق رضى الله عنه وهما على هذه الحالة يبكيان فقال يا رسول اللـــه أخبرنى ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فان وجدت بكاء بكيت ، وان لم أجد بكاء تباكيت ، فقال النبى صلى الله عليه وسلـــم :

---

(١) أجاز الجمهور وقوع الاجتهاد منه صلى الله عليه وسلم . يراجع : النووى فى شرح مسلم حيث دل على اتفاق جميع الطوائـف الاسلامية على اجتهاده فى أمور الدنيا ، ويراجع الشوكانـى فى ارشاد الفحول ص ٢٥٥ .

(٢) سورة الانفال آية ٦٧ وما بعدها .

(أبكى للذى عرض علي أصحابك من الفداء لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة) لشجرة قريبة وذكر الآية [1] .

فلو كان صلى الله عليه وسلم يعلم أن أخذ الفداء من أسارى بدر [2] يجلب له هذا النقد لما فعل ذلك وان كان قد أحل له الله تعالى وللجماعة المؤمنة أكل الغنائم وأخذ الفداء اذا أثخن [3] فى الأرض ثم أن القصد من هذه الآية هو تربية المجتمع الاسلامى بدليل أنه عدل سبحانه عن توجيه الخطاب بطريق الافراد فى أول الكلام فى

---

(١) أول حديث عمر رضى الله عنه قوله : (لما هزم الله المشركين يوم بدر وقتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون استشار النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعليا ، فقال أبو بكر : يا نبى الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان ، وانى أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار ، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا ، فقال رسول الله : ما ترى ابن الخطاب ؟ قلت : والله ما أرى ما رأى أبو بكر ولكن أرى أن تمكننى من فلان (قريب لعمر فأضرب عنقه) وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من أخيه فلان فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليس فى قلوبنا هوادة للمشركين هؤلاء صناديد هم وأئمتهم وقادتهم ، فهوى رسول الله ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فأخذ منهم الفداء ، فلما كان من الغد غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو قاعد وأبو بكر الصديق وهما يبكيان ؟) الحديث وهو من رواية مسلم مختصرا بمعناه : صحيح مسلم جـ ٣ / ١٣٨٣ - ١٣٨٥ وزاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى المجلد ٣ ص ٣٨٠ ، والطبرى : جـ ١٤ ص ٦٣ ، وابن كثير فى التفسير جـ ٢ / ٢٨٩ ، ورواه الامام أحمد فى المسند مطولا رقم ٢١٨ ، ٢٢١ .

===

قوله : (ماكان لنبى) الذى أخرجه مخرج الغيبة مع أن المقصود به هو النبى صلى الله عليه وسلم الى الجمع فى قوله : (تريدون عرض الدنيا) حيث قصد به تربية جماعة المؤمنين فى أشخاص رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ألا يدل هذا النص الموحى على أنه من لدن عالم الغيب والشهادة مدبر مصالح العباد ومحكم شئون الكائنات جميعها .

ثم انه سبحانه وتعالى قد يعاتبه عتابا (١) ينبهه فيه الى عدم العودة الى الذى عوتب عليه لأنه لو لم ينهه لتكرر منه ذلك الفعل مثل

= = (٢) غزوة بدر هى أول قتال قاتله الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت فى رمضان من السنة الثانية للهجرة وتقع بدر على بعد مائة وخمسين كلم من المدينة فى اتجاه مكة المكرمة .

(٣) قال تعالى : (حتى يثخن فى الأرض) أى حتى يتمكن فى الأرض اذ الاثخان هو قوة الشىء وشدته . أنظر زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى مجلد ٣ ص ٣٨٠ .

---

(١) العتاب : من عتب عليه أى وجد عليه يَعْتِبُ ويَعْتِبُ عَتْبًا وعتبا ، قال الخليل العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة المَوْجَدة تقول عاتبه معاتبة قال الشاعر :

أعاتب ذا المودة من صديق ... اذا ما رابنى منه اجتناب
اذا ذهب العتاب فليس ود .... ويبقى الود ما بقى العتاب

يراجع فصل العين باب الباء من معجم الصحاح للجوهرى تحقيق عبد الغفور عطار ، ومادة عتب فى المصباح المنير وأما كون العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة فذلك يعنى مطالبة الاخلاء بخلائهم ومراجعتهم ومذاكرة بعضهم بعضا هول ما كرهوه وعاكسيهم الموجدة . يراجع بتصرف تهذيب اللغة للأزهرى تحقيق عبد السلام هارون ومراجعة محمد على بخا .

قوله سبحانه له فى سورة التوبة : (عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) [١] فقد عاتب سبحانه وتعالى رسوله فى هذه الآية على سرعة الاذن للذين تخلفوا عن غزوة تبوك [٢] لا على نفس الاذن لهم بالتخلف . [٣]

وعفو الله عنه فى هذه الآية يقتضى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خالف ما هو أولى بالجزم تجاه المنافقين المندسين فى مجتمع المؤمنين ، ولذلك خطأه ربه فى الرأى الذى رآه فى معالجة

---

(١) سورة التوبة الآية ٤٣ .

(٢) تبوك : موضع بين وادى القرى والشام هى الآن مدينة آخذة بأسباب الحضارة التقنية والرفاهية العصرية وتبعد عن المدينة المنورة سبعمائة كلم ، وحدثت هذه الغزوة فى السنة التاسعة للهجرة .

(٣) من المحقق أنه عتاب على سرعة الاذن لا على نفس الاذن اذ المنافقون مفسدون وجبناء وباندساسهم فى الجماعة المؤمنة محاولة منهم لخذل هذه الجماعة .
يراجع فى ذلك الزمخشرى فى الكشاف (ج ٢ ص ١٢٩) ، وتفسير أبى السعود (جـ ٢ ص ٢٧٢) ، وتفسير الألوسى (جـ ١٠ ص ١٠٧) ، وتفسير المنار (جـ ١٠ ص ٤٦٤) ، وما حققه الدكتور عويد المطرفي من هذه الأقوال فى مؤلفه المسمى : " آيات عتاب المصطفى فى ضوء العصمة والاجتهاد " من ص ١٥٩ الى ص ١٨٠ .

هذه المسألة ، وعاتبه عتاب تنبيه [1] حتى لا يعود الى الذى عوتب عليه ، لأنه لو لم ينبه لتكرر منه ذلك الأمر وقد يؤدى به حال التكرار وعدم التنبيه عليه الى ما هو فوقه . [2]

---

(١) ضبط د . عويد المطرفي أنواع عتاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أنواع :

النوع الأول : عتاب التوجيه : وهو ما يقصد به توجيه الرسول الى ما يراد منه فى تبليغ الرسالة دون اكتراث لما يلقاه منهم من تكذيب وسخرية - وهذا النوع ينقسم الى قسمين :

أ - عتاب الدفع وتقوية العزيمة مثل قوله سبحانه : (كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين) سورة الاعراف الآية ١ - ٢ .

ب - عتاب الاقصار : والمقصود منه تخفيف اندفاع النبى صلى الله عليه وسلم فى التبليغ عما يشق عليه من الجهد وبذل فوق ما يستطيع من طاقته ومثاله قوله تعالى : (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون) سورة فاطر آية ٨

النوع الثانى : عتاب التنبيه : والمقصود منه تنبيه الرسول صلى الله عليه وسلم الى ما يحتمل وقوعه منه ولو لم ينبه الى ذلك لوقع مثل ذلك الفعل منه كقوله تعالى : (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) سورة براءة آيه ٨٤ .

النوع الثالث : عتاب التحذير والمقصود منه تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم من عاقبة أمر وقع فيه خطأ فى اجتهاد مع عدم ذكر شىء من عقوبة أو وعيد مع ما يحمل هذا العتاب من شدة وتخويف فى بعض المواقف كقوله تعالى : (وان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) سورة الأنعام الآية ٥٢ .

(٢) د . عويد المطرفي : أيات عتاب المصطفى ص ١٥٣ .

وقد يكون هذا من باب التنبيه دون العتاب لأن قوله سبحانه وتعالى : (عفا الله عنك) فيه تلطف ودعاء للمخاطب على مقتضى الأسلوب العربى فى مخاطبة الأحباء من نحو قولهم : " وفقك الله " " وأصلحك الله " ، قال سفيان بن عيينة [١] : " أنظر الى هذا اللطف بدأه بالعفو قبل أن يعيره بالذنب " [٢] ، وقال ابن الانبارى [٣] " لم يخاطب بهذا لجرم أجرمه ولكن الله وقره ورفع من شأنه حين افتتح الكلام بقوله : (عفا الله عنك) كما يقول الرجل لمخاطبه اذا كان كريما عليه " عفا الله عنك " ما صنعت فى حاجتى ، " ورضى الله عنك هلا زرتنى " [٤] .

وقد قال بهذا القول القاضى عياض [٥] فى الشفا [٦] والقسطلانى فى المواهب [٧] ، وغيرهما الا أنه لا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم فعل الأولى قبل أن ينزل عليه الوحي وان كان يحق له أن يفعل أولا يفعل فى غياب النص ما دام الأمر موكولا الى اجتهاده فقد أذن له ربه فى ذلك حين قال له : (تُرجِي من تشاءُ منهن وتُؤوِي إليك من تشاءُ) [٨]

---

(١) هو سفيان بن عيينة الكوفى ثم المكي ثقة حافظ وامام حجة (ت١٩٨) تقريب ابن الجوزى : زاد المسير فى علم التفسير جـ ٣ ص ٤٤٥ .

(٢) هو : الامام أبوبكر بن الانبارى (ت ٣٢٨ هـ) كحالة معجم المؤلفين ٨/ ١٤٣

(٣) زاد المسير نفس الصفحة .

(٤) القاضى عياض هو : عياض بن موسى اليحصبى السبتى (ت ٥٤٤هـ) معجم المؤلفين ٨/ ١٦ .

(٥) الشفا : جـ ٢ ص ١٣٩ .

(٦) الزرقانى : شرح المواهب اللدنية جـ ٢ ص ٢٧٢ .

(٧) سورة الأحزاب الآية ٥١ .

واذن فالظاهر من قوله تعالى : (عفا الله عنك) مع تعقيبه بالاستفهام الانكارى فيه ، يدل على أن هذا الاستفهام يقتضى مخالفة الرسول لما يجب أن يكون وهو التريث وعدم الاذن للمستأذنين بالتخلف حتى تظهر له حقيقة حالهم من الصدق والكذب .

وهذه مخالفة للنص القرآنى قبل نزوله عليه فلو كان من عنده لما خالفه ولما وقع تنبيهه على هذه المخالفة من لدن مقلب القلوب وعالم الاسرار خالق الصالحين والاشرار .

ثم انه يأذن له الله تعالى بالقيام بأمر يكبر عليه فيخاف التكذيب وتيل المشركين له من مثل قوله تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته [1] والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين) [2] .

لقد وضعه الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية وفى آية قبلها [3] من السورة نفسها فى وظيفته التى خصه بها وهى تبليغ الرسالة كاملة دون نقص أو تأخير بعض مسائل الوحي بالاجتهاد : (وما على الرسول الا البلاغ المبين) [4] مهما لاقى فى سبيل ذلك من شدائد

---

(١) فى رواية قالون عن نافع (رسالاته) بالجمع .

(٢) سورة المائدة الآية ٦٧ .

(٣) قوله تعالى : (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر) المائدة الاية ٤٨ ، وكلا الآيتين ذكرتا فى سياق الكلام لدعوة أهل الكتاب الى الاسلام ومحاجتهم فى الدين .

(٤) سورة النور الآية ٥٤ ، وسورة العنكبوت الآية ١٨ .

وأزمات فقد ذكر الألوسى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((بعثنى اللّه تعالى بالرسالة فضقت بها ذرعا فأوحى الله تعالى ان لم تبلغ رسالاتى عذبتك وضمن لى العصمة فقويت)) (١) .

وهذه شدة ولا شك على الرسول صلوات الله وسلامه عليه ترفع الحرج عنه وتقوى ارادته وتدفعه الى الامتثال فيبلغ رسالة ربه اذ حسب النبى جرما عدم التبليغ ، وقد عصمه (٢) الله من الناس كسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

---

(١) الألوسى روح المعانى جـ ٦ ص ١٨٩ وأنظر البخارى : خلق افعال العباد ص ٣٩ - ٤٠ ، وفتح البارى صحيح البخارى جـ ١٣ ص ٥٠٤ مع اختلاف فى الرواية .

(٢) لسنا فى حاجة هنا لبيان الراجح من أقوال المفسرين فى وقت نزول آية (عصمته من الناس) ولا فى توجيهها عند أهل السنة أو الشيعة ، انما بيان عموم القصد فى الآية وهو أنه لا يجوز للرسول كتمان ما أمر بتبليغه مهما لاقى من محن خاصة وأنه أثر أن عمه العباس كان يحرسه وهو فى مكة أيام الشدائد وأنه حرس كذلك من طرف عدد من الصحابة فى المدينة حتى قال : (أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى الله) سنن الترمذى جـ ٥ ص ٢٥٠ ، ولذا فقد تكون بعض الآيات نزلت فى مكة ووضعت توقيفا منه فى سورة مدنية ، وقد يكون العكس حيث توضع بعض الآيات المدنية فى سورة مكية توقيفا منه صلى الله عليه وسلم .
وأما ما ذهب اليه الشيعة من أن سبب نزول هذه الآية هو ولاية سيدنا على بن أبى طالب بعد الرسول صلى الله عليه وسلم فيراجع فى ذلك تفسير المنار ص ٤٦٣ وما بعدها المجلد السادس حيث فند زعمهم هذا بالأدلة القاطعة .

وفي سورة عبس يعاتبه الله سبحانه وتعالى بسبب اعراضه وتشاغله عن ابن أم مكتوم الأعمى [١] بمن جاءه من رؤساء قريش [٢] رغبة منه صلى الله عليه وسلم في اسلامهم فيقول له تعالى : (عبس وتولى أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك الا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى) [٣] .

وسبب نزول الحادثة أنه صلى الله عليه وسلم كان يطمع في اسلام من يخاطبهم من عظماء قريش اذ أقبل ابن أم مكتوم وقال : "علمني يا رسول الله مما علمك الله ، وجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري أن رسول الله مشتغل بكلام غيره حتى ظهرت الكراهية في وجهه صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل على القوم يكلمهم فنزلت آيات عبس هذه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه بعد ذلك ويقول له مرحبا بمن عاتبني فيه ربي" [٤] .

---

(١) قيل اسمه عمرو بن قيس ، وقيل اسمه عبد الله بن عمرو .
زاد المسير : جـ ٩ ص ٢٧ .

(٢) هم عتبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام وأمية ، وأبي بن خلف المرجع السابق ص ٢٦ .

(٣) سورة عبس الآيات ١ - ١٠ .

(٤) الحديث حسنه الترمذي وصححه الحاكم وذكره ابن الجوزي في تفسيره : جـ ٩ ص ٢٦ .

فهذا العتاب لا شك خارج عن وجدان الرسول صلى الله عليه وسلم اذ كيف يعقل أن يعاتب نفسه ويعلن عما فرط من رأيه .

فلو كان القرآن من غير عند الله لكتم آيات العتاب هذه ، ولكنه الوحي لا يستطيع كتمانه (وما هو على الغيب بضنين).[1]

---

(١) سورة التكوير : الآية ٢٤ .

الفصل الخامس

الاخبار بالغيب

الفصل الخامس

الاخبار بالغيب

تتضمن هذه الخاصية اخبار القرآن بأمور غيبية ، يعجز التكهن بها فى أى عصر من العصور وبأى مستوى علمي رفيع ، من ذلك وعده سبحانه باظهار الاسلام على جميع الأديان فقال تعالى : (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) [١] ، قال الباقلاني : " ففعل ذلك " [٢] ، وقال الرازى : " ظهور الشئ على غيره قد يكون بالحجة وقد يكون بالكثرة والوفور وقد يكون بالغلبة والاستيلاء ومعلوم أنه تعالى بشر بذلك ولا يجوز أن يبشر الا بأمر مستقبل غير حاصل ، وظهور هذا الدين بالحجة مقرر معلوم فالواجب حمله على الظهور بالغلبة " [٣]

ويبدو أن الحجة والبيان غلبة أيضا فى عصر تكثر فيه المذهبية [٤] وتتزاحم فيه الشبهات بسبب ظهور قوات مادية لا تعير أهمية للايمان

---

(١) سورة التوبة الآية ٣٣ وسورة الصف الآية ٩ .

(٢) أبو بكر الباقلاني : اعجاز القرآن ص ٤٨ تحقيق السيد أحمد صقر

(٣) الفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ١٦ ص ٤٠ .

(٤) المذهبية هى ترجمة للمصطلح العصرى "الايدلوجية" Ideologie فقد دل هذا المصطلح فى أول الأمر على الفلسفة التى تطرح جانبا النظر فى الماورائى ، ثم دل بعد ذلك على التحليل الخيالي وهو يدل اليوم على مجموعة أفكار وعقائد ونظريات يدين بها عصر من العصور أو مجتمع ما . يراجع مادة Ideologie فى القاموس الفرنسى العربى (المنهل) .

بالخالق ولا العمل بهديه .

ثم ان قوله سبحانه : (ليظهره [1] على الدين كله) يدل على توضيح الاسلام وبيانه وكذلك جعله فوق الأديان مستعليا عليها كلها وهذا الوعد قد يحصل بالعلم والحجة أو بالسيادة والغلبة أو بالشرف والمنزلة أو بها كلها ، كما أن هذا الظهور يمتد الى جميع بقاع العالم حيث توجد الأديان المخالفة للاسلام لقد أظهر الله تعالى فعلا دينه فى جزيرة العرب على زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده فى مواضع من الدنيا فى الشام وأفريقيا وفى أجزاء من أوروبا وبلاد فارس وآسيا الصغرى وفى القارة الهندية ، الا أنه حصل للاسلام بعد ذلك نكسات تمثلت فى احتلال التتار للبلاد الاسلامية وفى فقدان الاندلس ، وفى النير الاستعمارى على أجزاء كبيرة من بلاد المسلمين ، وفى محاولات الكارهين لهذا الدين اطفاء

---

(١) ذكر ابن الجوزى فى قوله تعالى : (ليظهره) قولين :
الأول : ان الهاء عائدة على الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ليعلمه شرائع الدين كلها فلا يخفى منها شىء ، قاله ابن عباس رضى الله عنه .
الثانى : أنها راجعة الى الدين (وهو الاظهر) وفيه رأيان : رأى يقول ان الظهور يكون عند نزول عيسى عليه السلام حيث يتبعه أهل كل دين فيدين الناس جميعا بالاسلام قاله أبو هريرة والضحاك ، وأما السدى فقال : ان الظهور يكون عند خروج المهدى ، والرأى الآخر يرى ان اظهار الدين يكون بالحجج الواضحة وان لم يدخل الناس فى الاسلام . يراجع زاد المسير فى علم التفسير جـ ٣ ص ٤٢٨ .

تورہ بالقيل والقال وصد الراغبين فيه من اعتناقه واذلال أهله .

ولذا فان اختيار عدد من المفسرين (١) القول بظهور الاسلام بالغلبة والسيادة لا ينطبق على مختلف الازمان والبقاع فى الواقع التاريخى السابق . (٢)

---

(١) يراجع فى ذلك ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ ٣ ص ٣٤٩ وما بعدها ، والرازى التفسير الكبير جـ ١٦ ص ٤٠ وما بعدها ، ومحمد رشيد رضا : تفسير المنار المجلد ١٠ ص ٣٩٠ .

(١) هناك روايتان فى مسند الامام أحمد رضى الله تعالى عنه : الأولى عن تميم الدارى ، والثانية عن المقداد بن الأسود رضى الله عنهما وفى كلا الروايتين اتفاق فى المعنى وهو أن لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر الا أدخله الله كلمة الاسلام بعز عزيز أو ذل ذليل ، اما يعزهم الله عز وجل فيجعلهم من أهلها أو يذلهم فيدينون لها . المسند جـ ٦ ص ٤ .
ولذا كان تميم الدارى يقول : قد عرفت ذلك فى أهل بيتى لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ، ولقد أصاب من كان منهم كافرا الذل والصغار والجزية . المسند جـ ٤ ص ١٠٣ .
وفى صحيح مسلم نجد رواية عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : ان الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وان أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لي . الصحيح ٤/٢٢١٥ .
كذلك نجد فى مسند الامام أحمد قوله عليه الصلام والسلام : (أنه ستفتح لكم مشارق الأرض ومغاربها) فالأول مقيد بما زوى له ، والثانى مطلق .
فاذا وافقنا من يقول بوجوب حمل المطلق على المقيد من علماء الأصول فان حديث المسند هذا يقيده حديث ثوبان ثم ان وجود بعض الأحاديث الأخرى التى تعين البلاد المفتوحة كمصر حيث أوصى عليه الصلاة والسلام بالقبط خيرا ، والشام ، وملك كسرى وقيصر وقد فتحت كلها وظهر فيها الاسلام على جميع الأديان ،فان هذه الأحاديث مفسرة للقرآن لا شك ومبينة لنا عجائبه حتى لا نقع فى التأويلات البعيدة وتلك حكمة الله عالم الغيب والشهادة لا البشر الذى يجهل ما فى الغد .

والظاهر أن هذا الوعد يصدق مرة بالغلبة والسيادة كما هو الحال فى الجزيرة العربية حيث استئصلت جميع الأديان منها وتركز بها الاسلام بفضل الامتثال لما أوجبه الله تعالى فى كل وقت من اعلاء دينه وحماية دعوته وتعزيز سلطانه ، ومرة بالعلم والحجة والشرف والمنزلة كما ظهر ذلك فى الجانب الدفاعى خاصة لعلماء المسلمين حيث حافظوا طوال التاريخ الاسلامي بتوفيق من الله على العقيدة والفقه الاسلاميين .

وهذا ظهور للاسلام مكن الكثيرين من عقلاء الأمم من اعتناق هذا الدين والذب عنه والتكثير من أهله والصمود أمام الأهوال التى لم يخلو منها زمان ولا مكان .

ثم ان حكمته سبحانه اقتضت خلق المؤمن والكافر حيث ثبت بنص قوله تعالى : (هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير) [1] أى بصير بما يستحق الهداية ممن يستحق الضلال .

ونحن لا يمكن أن نفهم ظهور الاسلام على معنى القضاء النهائي على الأديان الأخرى لأنه سبحانه أخبرنا بأن الاختلاف

---

(١) سورة التغابن الآية ٢ .

فى الدين سيبقى قال تعالى : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين)[1] ،وقوله ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا)[2]

ومع هذا فان الاسلام لم يتوقف عن الظهور والانتشار منذ بداية الدعوة له الى هذا العصر وهذا يظهر لنا بوضوح اذا رسمنا خريطة للأديان[3] نبين فيها عدد الأديان الموجودة فى أول البعثة المحمدية وما تغطيه مساحة كل دين على الخريطة ، ثم ننظر فى تطور هذه الأديان .

ومدى ما وصلت اليه حتى مطلع القرن الخامس عشر الهجرى ولا شك أن النتيجة ستكون مذهلة للغاية ، حيث نجد أن انتشار الاسلام على هذه المساحات الشاسعة فوق الكرة الأرضية لا يتوقعه أى بشر سواء فى عهد التنزيل أو عند من يعتدون بعقلانيتهم وعلمهم .

فقد كان الاسلام مجرد نقطة فى الجزيرة العربية فى بداية ظهوره ، وهو اليوم يغطى القارتين : الاسيوية والافريقية

---

(١) سورة هود الآية ١١٨ .

(٢) سورة يونس الآية ٩٩ وتتمتها (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) .

(٣) هى الخريطة المصطلح على تسميتها بالخريطة الايدلوجية .

وهذه المساحة تقدر بنصف الدنيا [1] ، وقد بدأ يقتنع بأهمية أصوله العقدية وجدوى نظمه الاجتماعية كثير من الناس في أوروبا وأمريكا واستراليا ويدخلون فيه أفواجا فسبحان الله العظيم ، أما عدد المسلمين فيصل الى المليار نسمة [2] وسيكبر هذا الرقم ما دام

---

(١) يمثل مالك بن نبى هذه الخارطة بألوان لكل دين حيث نجد فى بداية الاسلام لون المجوسية ولون البرهمية ولون المسيحية ولون اليهودية ، ونقطة صغيرة هى لون الاسلام ، ثم يعرض علينا خريطة جديدة لأديان فى عصرنا هذا فنلاحظ أن البوذية قد شطب عليها (ماوتسى تونغ) من الوجود ، والمجوسية محاها عمر بن الخطاب يوم القادسية ، أما البرهمية فقد محتها ظروفها الخاصة كدين لا كثقافة ، وأما المسيحية فانها فقدت مبرراتها بسبب هجوم العلم الحديث عليها ، واذا فان كثيرا من القساوسة ألقوا المسوح عنهم وتزوجوا وقد اغلقت بعض دور العلم المسيحى وخاصة فى أمريكا اللاتينية أبوابها وكذلك بعض الأديرة حيث انصرفت الفتيات لمجالات أخرى غير مجال الكنيسة كما ظهر لون جديد على الخريطة هو لون الشيوعية وهى عقيدة الحادية قبل أن تكون مذهبا سياسيا أو اقتصاديا باعتبارها نتيجة عطية تعويض لمبررات مفقودة من المسيحية ومن المتوقع أن تبهت هى أيضا لأن مبرراتها لا تقوى على مقاومة الاسلام حيث نجد لونه الأخضر يغطى مساحة من الدنيا تعادل نصفها تقريبا . أنظر محاضرة مالك بن نبى حول دور المسلم ، ورسالته فى الثلث الأخير من القرن العشرين من ص ٢٦ الى ص٣٤ طبع الدار العلمية - دمشق .

(٢) انظر احصائيات الامم المتحدة لسنة ١٩٧٢ م ، وأنظر محمود شاكر فى كتابه سكان العالم الاسلامي وهذا العدد تقريبى اذ لا توجد احصاءات كاملة .

الدليل التاريخى لهذا الدين يعضد نظريتنا وهو أن الاسلام ينمو منذ فجره حتى اليوم .

والآيات القرآنية التى تتضمن الاخبار عن الغيب صادقة الدلالة لما تحوى من خوارق ومعجزات تقيم الدليل على أن القرآن آية الله الكبرى .

الاخبار بانتصار الروم : -

ومن هذه الآيات الاخبار بأن الروم ستغلب الفرس - قال تعالى : (ألم [1] غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون) [2]

---

(١) من الملاحظ أن كل سورة من سور القرآن افتتحت بحروف التهجي نجد فى أولها ذكر " الكتاب أو التنزيل أو القرآن الم ذلك الكتاب لا ريب فيه" (البقرة) .

المص كتاب انزل اليك (الاعراف) ، طه ما أنزل عليك القرآن لتشقى (طه) ، الم تنزيل الكتاب (السجدة) ، يس والقرآن الحكيم (يس) ص والقرآن ذى الذكر (ص) .

الا هذه السورة ولعله فى أخباره بالغيب كفاية للاقناع بأن القرآن وحي الله .

(٢) سورة الروم الآيات ١ - ٦ .

لما نزلت هذه الآيات البينات على رسول الرحمة والصبر والجهاد كانت الهوة عميقة بين الكفر والايمان ، وكانت العداوة على أشدها بين الدولتين اللتين تكتنفان الجزيرة العربية (١) ، فقد انتصر الفرس على الروم ، واستبد عبدة النار برعايا الروم المسيحيين واغتصبوا الصليب المقدس منهم ودمروا كنائسهم وأخرجوهم من المدائن في الجزيرة العربية وعبروا نهر الفرات الى الشام ومنها الى مصر وآسيا الصغرى ، ووجه كسرى من بيت المقدس المحتلة خطابا الى هرقل قائلا : " من لدن الاله كسرى الذى هو أكبر الآلهة وملك الأرض كلها الى عبده اللئيم الغافل (هرقل) انك تثق فى الهك فلماذا لا ينقذ الهك القدس من يدى ؟" (٢) .

وكعادة الاتباع والضعفاء فى كل زمان يتحمسون للمظاهر المادية وينبهرون بالانتصارات الظرفية ويحولون الصراع الدائر خارج

---

(١) هما الامبراطورية الفارسية الواقعة شرقي الجزيرة العربية على ساحل الخليج العربى وتعرف بالامبراطورية الساسنية ويعبد رعاياها الشمس والنار والامبراطورية الرومانية وتسمى بالامبراطورية البيزنطية وتقع غربى وشمال الجزيرة العربية وتمتد الى البحر الأسود ويعتنق رعاياها المسيحية منذ عهد قسطنطين ٣٢٥ م .

(٢) وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى من ص ١٣٠ الى ١٣٢ وللتوسع يراجع سقوط واندحار الامبراطورية الرومانية لادوارد جيبون EDWARD GIBON: the HISTORY OF the DeLINE AND FALL OF the ROMAN

حدودهم الى داخلها ، وهو ما فعله كفار مكة حيث أخذوا ينتصرون لنصر الفرس ويفرحون ويشمتون بالمسلمين ويقولون لهم : أنتم النصارى تؤمنون بالله تعالى ، ونحن والفرس لا نؤمن بالهاكم وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم . (١) .

وهكذا ظهر ما للاعتقاد الدينى من تأثير فى النفوس ومن تباين بين الكفر والايمان ، وكان الاخبار بالغيب مندرجا ضمن الدعوة الى الالوهية ، ولذا لم يترك القرآن الذى هو كلام من بيده أقدار الناس وأحوالهم القلة من المسلمين السيئة أحوالهم المادية بذلها الكثرة من الكفار المتجبرين بمظاهرهم المادية فنبأهم بأن هذه الهزيمة ستتحول الى نصر فى بضع سنين (وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) وقد صدق أخبار القرآن بأمر مستقبل لا يمكن أن يكون الا من البارى عز وجل فغلبت الروم الفرس ، وكانت آخر معارك بينهما فى نينوا (٢) حيث تنازلت الفرس عن الأرض التى احتلتها من رومة و أعادت الصليب المقدس (*) ورجع (هرقل) الى عاصمة (القسطنطينية) فى احتفال رائع. (٣)

وينقل لنا وحيد الدين خان تعليقا لادوارد جيبون EDWARD GIBON على هذا الاخبار الغيبي فيقول : " فى ذلك الوقت حين

---

(١) المرجع السابق .

(٢) تقع (نينوا) على ضفاف دجلة .

(٣) كان ذلك عام ٦٢٨ م .

(*) أى صليبهم الذى يقدسونه

تنبأ القرآن بهذه النبوءة لم تكن أية نبوءة أبعد منها وقوعا لأن السنين الاثنتي عشرة الأولى من حكومة (هرقل) كانت تؤذن بانتهاء الامبراطورية الرومانية .[1]

ولكن الله غالب على أمره ، أبعد هذا الدليل ينكر وجود مدبر الأكوان والخلائق المستحق للعبادة .

سنسمة على الخرطوم[2] :-

اقتضت حكمة الله عز وجل أن ينزل على نبيه قرآنا يمزق حواجز الغيب ويعلن في وضوح تام ودقة متناهية بأنه سينزل بالوليد ابن المغيرة عقابا من جنس مكابرته عناده[3] ، فيقول تعالى عنه (سنسمه على الخرطوم) أي يسمه على أنفه حتى يتبين أمره ويعرفه الناس فلا يخفى عليهم كما لا تخفى السمة على الخرطوم .[4]

وهكذا يصدق الوحي فتقع معركة بدر ، ويقتل الوليد وقد وسم بالسيف على أنفه كما جزم بذلك القرآن العظيم من قبل ، أفلا يجعلنا هذا نؤمن بعالم الغيب والشهادة ونخلص له العبادة ؟

---

(١) وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ١٣٥ ، وادوارد جيبون في سقوط وانحدار الامبراطورية الرومانية الجزء الخامس حيث ذكر هذه الوقائع .

(٢) سورة القلم الآية ١٦ .

(٣) كان الوليد بن المغيرة من ألد أعداء الاسلام والمعاندين لآيات الله قال تعالى (كلا انه كان لآياتنا عنيدا) سورة المدثر الآية ١٦ .

(٤) وقيل يسود الله وجهه يوم القيامة ، قال ابن جرير : لا مانع من اجتماع ذلك عليه في الدنيا والآخرة ، أي أنه يسمه في الدنيا على أنفه ويصليه سقر في الآخرة كما أنبأ بذلك في قوله تعالى (سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر) المدثر ٢٦ و ٣٠) - ابن كثير : التفسير جـ ٤ ص ٤٠٤ .

الاخبار بهلاك أبي لهب

رغم أن أبا لهب [1] أحد أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنه كان كثير الإيذاء له ، يتبعه حيثما حل ليفسد عليه دعوته ويصد القبائل عن الايمان به .

وكذلك أظهرت امرأة [2] أبي لهب عداوة شرسة للرسول وكانت عونا لزوجها على كفره وجحوده .

ولكن يأبى الله تعالى الا أن ينتصر لرسوله صلى الله عليه وسلم فيوحي اليه بسورة المسد [3] لتكون الدليل الباهر على أن مصدر

---

(١) أبو لهب : من قبيل الكنية الا أنه خرج مخرج الاسم لتنفي عنه صفة التعظيم ولعله السبب في العدول عن اسمه الأصلي عبد العزى بن عبد المطلب وعن كنيته (أبو عتبة) ويقال له (أبو لهب) لموافقة حاله التي هي لهب وجنتيه مآله التي هي النار وذلك تهكما به ، كما يقال للشرير أبو الشر ، وللخير أبو الخير .

(٢) امرأة أبي لهب : هي أم جميل العوراء واسمها أروى بنت حرب ابن أمية وهي أخت أبي سفيان ، وقد كانت تمشي بالنميمة بين الناس وتحمل حزمة من الشوك والحسك فتنثرها بالليل في طريق النبي صلى الله عليه وسلم لايذائه وكانت تهجوه بقوله : مذمما أبينا ودينه قلينا ، وأمره عصينا .

يراجع في ذلك أبو السعود جـ ٥ ص ٢٩١ ، والقرطبي جـ ٢٠ ص ٢٤٢ وابن كثير جـ ٤ ص ٥٦٤ .

(٣) سورة المسد مكية وتسمى سورة اللهب وسورة تبت وقد أخبرت بموت أبي لهب وزوجته على الكفر وبأنهما من أهل النار وهذا من الاخبار بالغيب الذي لا يعلمه الا الله تعالى .

القرآن رباني وأن ما يخبر به من أمور غيبية حقيقية واقعة لا تأتى الا على لسان نبي ، قال تعالى : (تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد)[1] .

لقد تضمنت هذه السورة الاخبار بالغيب الذى لم يستطع أبولهب تكذيبه فاستمر على الكفر والخسران دون أن يستخدم هذا التنزيل فى صالحه ويقول للعرب - ولو نفاقا - ها انى أشهد أن لا اله الا الله ليهدم بشهادته المزورة هذه الاسلام ، ولكن هذا لم يأت على خاطره أبدا ، رغم أنه ممكن لأن كثيرا ممن كانوا مشركين وقتها أسلموا كعمر بن الخطاب ، وخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص رضى الله عنهم وأرضاهم .

وأما كونه سيموت كافرا فضير متوقع للدلائل الآتية :

أولا : أنه أحد أعمام الرسول صلى الله عليه وسلم وأغلب أعمام الرسول كما هو معروف دخلوا فى الاسلام أو دفعوا عنه أذى قريش كأبى طالب فلماذا يتأخر أبولهب عن ذلك ويعاديه .

ثانيا : زيادة على كون عقيدة الاسلام عقيدة مبرهنة تعتمد الحجة الدامغة والبرهان الناصع ، وهذا كاف فى الاقناع فهى

---

(١) سورة المسد وآياتها خمس .

تعتمد أيضا على مخاطبة القلب والوجدان وهذا له تأثير كبير على النفوس خاصة وهو بنظم قرآني معجز ، فكيف لم يؤثر هذا كله في أبي لهب ولم يطك عليه أزمة عقله ويستولي على قلبه ، وهو من أهل الفصاحة والبيان الذين تأسرهم الكلمة ، ولكنه شأن الذين لا ينتفعون بما يسمعون من حق لأن قلوبهم غائبة عنه قال عز وجل : (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد) (١) .

ثالثا : لقد مات أبو لهب بعد وقعة بدر بسبع ليال (٢) ، وقبل هذه الوقعة توالت على الرسول محن وشدائد لا يقوى عليها الا نبي فقد أوذي صلى الله عليه وسلم بشدة وحاول كفار قريش قتله كما أذاقوا صحابته العذاب الأليم حتى مات بعضهم من شدته ، وخرج بعضهم الآخر مهاجرا الى الحبشة ، وابتلي بثلاث سنين في العراء والجوع والعطش قاطعته فيها قريش حتى يرجع مع صحبه عن دعوتهم الى عبادة الله الصمد ، ولكنهم لم يهنوا ولم يرجعوا الى أن انقذهم الله من هذا البلاء بالغاء هذه المقاطعة .

وهاجر من مسقط رأسه مكة المكرمة التي تعز عليه وهو مطارد تطلبه قريش في كل مكان ولولا أن عصمه ربه منهم لظفروا به وقتلوه .

---

(١) سورة ق الآية ٣٦ .
(٢) الألوسي : جـ ٣٠ ص ٢٦٣ .

وبعد كل هذه المحن تأتى غزوة بدر وتنتصر فيها الفئة القليلة المؤمنة على الفئة الكثيرة الكافرة لتدل بوضوح على أن الله متم نوره ولو كره المشركون .

ورغم هذا لم يتعقل أبولهب ولم يراجع موقفه تجاه هذا الدين ولو فعل ذلك لوجد أن ابن أخيه على حق ، والحق أولى أن يتبع ، ولكنه اختار الكفر ومات عليه عنادا ، فكان من أهل النار تحقيقا للاخبار بالغيب .

ثم انه لم ينتفع بماله وولده كما كان يصور له خياله ذلك ،فقد ذكر عنه انه كان يقول : (اذا كان ما يقول ابن اخى حقا فانى افتدى نفسى يوم القيامة من العذاب بمالى وولدى) (١)

وكان جواب القرآن على هذا التصور الخاطئ قوله عنه : (ما أغنى عنه ماله وما كسب) (٢) ، ويتحقق هذا الاخبارا الغيبى ويموت أبو لهب بمرض يسمى (العدسة) ولم ينفعه جاهه ولا ماله مما رماه الله به .

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم مج ٤ ص ٥٦٤ .

(٢) سورة المسد الآية ٢ .

فيتركه ابناه [1] ثلاثة أيام حتى انتبن خوفا من أن يصيبهما هذا المرض المعدى كالطاعون ، ثم يقولا نغشى هذه القرحة اتقاء للعار ، فيحفرا له حفرة ثم يدفعاه اليها بعود حتى يقع فيها ، ثم يقذف بالحجارة حتى تتم مواراته [2] .

وهكذا يتحقق الاخبار بالغيب مرة أخرى .

---

(١) كان لأبى لهب ثلاثة أبناء : عتبة ، ومعتب ، وعتيبة أسلم الأولان يوم الفتح ، وأما عتيبة فلم يسلم وكانت كلثوم بنت رسول الله عنده واختها رقية عند أخيه عتبه فلما نزلت سورة المسد قال أبولهب لهما رأسى ورأسكما حرام ان لم تطلقا ابنتى محمد فطلقاهما ، ولما أراد عتيبة بالتصغير الخروج الى الشام مع أبيه قال لآتين محمدا وأوذينه فأتاه فقال : يا محمد انى كافر بالنجم اذا هوى ، وبالذى دنا فتدلى ثم تفل أمام النبى صلى الله عليه وسلم وطلق ابنته أم كلثوم فغضب على الله عليه وسلم ودعا عليه فقال : اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فافترسه الاسد . الألوسى جـ ٣ ص ٢٦٣ .

(٢) نفس المصدر السابق وكذلك ابن كثير : التفسير جـ ٤ ص ٥٦٤ .

الفرق بين علم الغيب والتكهن العلمي

يلتبس لدى بعض الناس مفهوم علم الغيب [1] بمفهوم التكهن التنبؤ [2] العلمي ، مع أن الفرق بينهما بعيد فالتنبؤ العلمي قائم على دراسة خواص الأشياء وما يحدث عنها ، وعلم الغيب خاص بالله الحي القيوم ، مستتر عن الانسان خارج عن مجال بحوثه

قال تعالى : (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) [3] وقال مفردا نفسه بهذه الخاصية : (قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون) [4] ، وقال مؤكدا عدم اطلاع

---

(١) يقال للشيء غيب وغائب باعتباره بالناس لا بالله تعالى فانه لا يغيب عنه شيء . الراغب الاصفهاني : المفردات كتاب العين ص ٣٦٦ .

(٢) التنبؤ العلمي : اصطلاح يدل على كشف المستقبل وفق بحوث علمية مبنية على معطيات قريبة من الواقع لا الواقع نفسه ، ولكونها كذلك تعتبر مجرد " حساب للاحتمالات أو الاحصائيات وهو ما يجعل التنبؤ العلمي مشفوفا بالريبة ويستحسن فيه شيء من التواضع فيستبدل لفظ التنبؤ " في العربية بلفظ التكهن حتى لا يقع الخلط بين الوحي الالهي الذي يأتي النبي وبين التخمين والحدس الذي يستعمله الكاهن والباحث التجريبي اليوم على اختلاف بينهما في المعطيات والأسلوب حيث أن الاخير لديه من القواعد والبذور ما يشير الى امكان حدوث أشياء في المستقبل .

(٣) سورة آل عمران الاية ١٧٩ .

(٤) سورة النمل الاية ٦٥ .

الخلق على غيبه : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول) [١] .

وهذا ثابت عمليا عند الباحثين فى الكون المادى حيث تبين لهم أن أبحاثهم لا تشمل الوجود كله ، لأن هناك أبعادا [٢] يختلف كنه وجودها عن وجود الزمان والمكان ووجود المادة عموما وهو ما يعطيهم أساسا للقول بوجود حقائق خارج نطاق الكون المادى المعروف [٣] يقف عندها الباحث مبهورا فلا يستطيع بعقله الذى هو أداة التفكير العلمى ادراك ما يخرج عن نطاق منطقه وملاحظاته التجريبية اذ مجال العلم عندهم هو : (دراسة تطور الأنظمة والبحث عن الثوابت والمستقرات خلال هذا التطور) [٤] ، وأما شرح مصطلحاته فهو أن التطور يقصد به حالة النظام الظاهرة خلال الزمان ، والنظام هو كل ما يستطاع عزله عن باقى الكون بدون أن يتفاعل معه شىء آخر ، فالذرة نظام ، والخلية نظام ، والجسم نظام ، والأرض نظام .

أما الثوابت والمستقرات [٥] فهى العوامل الثابتة التى لا تتغير

---

(١) سورة الجن الآية ٢٦ .

(٢) للكون المادى أبعاد أربعة هى : الطول ، العرض ، الارتفاع ، الزمن ، وقد زاد العالم الألمانى كالوتز (١٩٢١) نظرية البعد الخامس .

(٣) يوسف مروة الطبيعة فى القرآن ص ١٧٩ .

(٤) د . بشير التركي لله العلم ص ١٨ .

(٥) الثوابت والمستقرات فى الأنظمة الكونية وثابته ومستقرة نسبيا والى حين حسب مبدأ (كلوزيونس كارنو) المسمى مبدأ التطور وهو تطور الى الهلاك لا الى الترقى وسيأتى بحث هذه المسألة عند بحثنا لمبدأ العلية ولفى الصدفة .

رغم ارتباطها بتطور النظام وتغير العديد من عوامله الأخرى ، مثال ذلك الأرض فان دورانها له سرعة ثابته ، ومحورها ثابت ، وشكلها ثابت ، وكثافتها ثابته فجميع هذه الثوابت تضبط النظام الكوني[1] وهو ما يدعو الباحثين في هذا المجال الى محاولة الظفر بهذه الثوابت والمستقرات من أجل التحكم في الطبيعة والى ادراك كيفية تطور الأنظمة لمحاولة التكهن بمصيرها ، وهذا هو ما يهمنا في معرفة الفرق بين الوحي والتنبؤ بالغيب عن طريق العلم ومن ثمة السيطرة على هذه الأنظمة غير أن هناك صعوبات تقف عليها العلم المعاصر تعترض تحقيق هذا الحلم من ذلك " أنه يوجد مبدأ علمي ينطبق على كل الأنظمة المجهرية يطلق عليه اسم " مبدأ غير الثبات " " لها يزنبارق " وهو أننا لا نستطيع أن نعرف العوامل التي تضبط النظام في وقت ما بدون أن نسلم من الوقوع في خطأ تقدر قيمته بكمية تسمى " ثابتة بلانك " وهذه الثابتة حقيرة بالنسبة للقياس المجهري .[2]

---

(١) د . بشير التركي : لله العلم ص ١٨ ، ١٩ وسيأتي بحث قول الذين يقولون بأن الكون تحول من الفوضى الى النظام ومن التعدد الى الوحدة الى غير ذلك .

(٢) د . بشير التركي : لله العلم ص ٤٦ .

وهذا فى حد ذاته كاف لنضع فى اعتبارنا قوانين خارقة للأصول الأساسية للعلم فتفترض احتمال المداخلة الروحية فى كل حالات النظام الكونى .[1] وهو ما يؤدى باستمرار الى وجود اختلاف فى نتائج (التنبؤ) العلمى باعتبار أن (التنبؤ) العلمى قائم على دراسة خواص الأشياء وما يحدث عنها .

---

(١) اذا أردنا أن نعلم شيئا عن تطور نظام ما يجب علينا أن نجد " قانون حالة النظام" ومن المعلوم أنه ليس ممكنا فى جميع الظروف لأن الانسان لا يستطيع ادراك قيمة العوامل المرتبطة بالنظام فى وقت ما وبالتالى فهو لا يستطيع أن يجسد حل معادلات (قانون حالة النظام) ولا يعرف شيئا عن تطور النظام ولا عن مستقبله مثال ذلك الهلال .
يراجع د . بشير التركى : لله العلم ص ٤٥ و ٤٦ .

الفصل السادس

انقطاع الوحي

((الفصل السادس))

انقطاع الوحى عن الرسول ﷺ الحاجة اليه :

ثم انه قد ينقطع الوحى عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - مدة من الزمن ، ويكون فى أشد الحاجة اليه ، من ذلك ما روى عن سبب نزول قوله تعالى : (ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت ، وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا)[1] وهو أن قريشا سألوا النبى - صلى الله عليه وسلم - عن ذى القرنين ، وعن الروح ، وعن أصحاب الكهف ، فقال : غدا أخبركم بذلك ، ولم يقل ان شاء الله فأبطأ عليه جبريل ولم يأته أياما[2] لتركه الاستثناء ، فشق ذلك عليه حتى أنه روى عنه ، أنه قال : صلى الله عليه وسلم لجبريل " ابطأت على حتى ساء ظنى واشتقت اليك " فقال جبريل : " انى كنت أشوق ولكنى عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست "[3].

وهذا يدل عليه قوله تعالى : (وما نتنزل الا بأمر ربك)[4] على حد

---

(١) سورة الكهف الايتان ٢٣ - ٢٤

(٢) اختلف فى مدة احتباس الوحى عنه صلى الله عليه وسلم على خمسة اقوال هى : ثلاثة أيام ، اثنتا عشر ليلة ، خمسة عشر يوما ، خمسة وعشرون يوما ، ويروى أن سورة " الضحى " نزلت فى هذا السبب لتكبت ألسنة المشركية بأن الله لم يدع رسوله ولم يقله ، ابن كثير ج٤ ص ٥٢١-٥٢٢ ، وابن الجوزى : زاد المسير فى علم التفسير مج ٥ ص ٢٤٩ وانظر صحيح البخارى ٤/ ١١٢ و ٦ ، ٩٤

(٣) الواحدى : اسباب النزول ص ١٧٣ ، وابن الجوزى زاد المسير : المجلد الخامس ص ٢٤٦

(٤) سورة مريم الآية ٦٤ وتتمتها (له ما بين أيدنا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا)

قول المفسرين ، أنه قول جبريل عليه السلام (١) .

فلو كان للرسول - صلى الله عليه وسلم - امكانية الاجابة عن الاسئلة ، التي تطرح عليه لما احتار في إجابة قريش عن اسئلتهم ، ولذا فمن المستحيل ان يكون القرآن من تأليفه هو ، أو من كلام أي كان غير الله سبحانه وتعالى .

لذلك نجده - صلى الله عليه وسلم - بعد أن هاجر الى المدينة المنورة ، قد اشتد شوقه الى استقبال الكعبة بدلا من بيت المقدس ولكن الوحي لم ينزل ستة عشر شهرا بشأن تحويل القبلة لذلك استمر عليه الصلاة والسلام مع أصحابه طيلة هذه المدة يستقبلون بيت المقدس .

ويوضح الامام محمد عبده انتظار الرسول تحويل القبلة بقوله : " ولا يعد في تشوفه الى قبلة ابراهيم ، وقد جاء باحياء ملته ، وتجديد دعوته ، ولا يعد هذا من الرغبة عن أمر الله تعالى الى هوى نفسه كلا ان هوى الانبياء لا يعدو أمر الله تعالى وموافقة رضوانه " (٢)

وقد استجاب له الله سبحانه وتعالى فولاه قبلة يرضاها (قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين آتو الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما اللهبغافل عما يعملون) (٣)

فحادثة تحويل القبلة حادثة كبيرة أثيرت حولها الفتن العظيمة من المنافقين

---

(١) ابن الجوزي في زاد المسير ... ج الخامس ص ٢٥٠ .
(٢) الشيخ محمد رشيد رضا : تفسير المنار المجلد الثاني ص ١٤
(٣) سورة البقرة الآيه ١٤٤

والكافرين ولهذا أظهر الله سبحانه وتعالى عنايته بهذا الحدث الكبير ، وشرف المؤمنين بالخطاب مع الرسول عليه الصلاة والسلام ، لتشتد قلوبهم ، وتطمئن نفوسهم فقال لهم : " وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره)لئلا يتوهم من سياق الكلام أن تحويل القبلة خاص به عليه الصلاة والسلام (١) .

وهذا دليل ما بعده دليل على أن أنقطاع الوحى لا يخول للرسول - صلى الله عليه وسلم اتخاذ القرار التشريعى أو الافتاء بما يراه فى أمور الدين ، بل الواجب عليه الانتظار مهما طال الزمان ثم الامتثال لما يوحى إليه ربه مهما كانت شدة الفتن وهذا هو معنى الخضوع لله الواحد القهار .

وهناك قضية (٢) نغصت عليه حياته صلوات الله وسلامه عليه حيث انتظر الوحي شهرا كاملا ؛ فلم ينزل عليه ، وقد حاول خلال هذه المدة الاطلاع على الحقيقة ، شأن كل زوج يرمى بالخيانة فى أهله حتى أنه قال لعائشة " أم المؤمنين " : يا عائشه أما انه بلغنى عنك كذا وكذا ، فان كنت بريئةفسيبرئك الله وان كنت المممت بذنب فاستغفرى الله (٣) .

ولقد برأها الله سبحانه وتعالى فى سورة النور حيث قال عز من قائل : " ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم ، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ، لولا اذ

---

(١) الشيخ محمد رشيد رضا : تفسير المنار المجلد الثانى ص ١٦

(٢) قضية الافك التى رمى المنافقون فيها أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها بالزنا .

(٣) الموطأ : حديث الأفك . وانظر البخارى ٥/ ١٨٨ ومسلم ٢٧٧٠

سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء - فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين (١).

ولو كان محمد - صلى الله عليه وسلم - يعلم الحقيقة لما انتظر شهرا كاملا حتى يبرأ أهله من هذا الافك المبين ، ولشرع قانونا يعاقب به أصحاب هذه الأراجيف ، ولكن ليس له من الامر شيء بل لله الواحد عالم الغيب والشهادة وما على الرسول والمؤمنين الا الصبر لحكم الله وانتظار الفرج .

وهذا دليل آخر على أن القرآن الكريم من عند الله يظهر الحق ويزهق الباطل ويقام العدل وينتصر المظلوم ويعذب الظالم .

وهذه أسباب كافية ولا شك تدعونا الى الاعتقاد بوجود الله تعالى ووجوب عبادته .

---

(١) سورة النور الآيات ١١ - ١٧

الباب الثالث

منهج القرآن

في

إثبات الألوهية

تمهيـــــد :

يعتمد الاسلوب القرآني في اقناع الناس على مخاطبة العقول[1] والقلوب فيؤثر فيها تأثيرا متلازما[2] ، " الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها "[3] مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد "[4].

وهذا واقع يجده من يتلو القرآن أو يسمعه ، فأياته الكريمة تقنع عقلـــه وتمتع عاطفته .

والمتتبع لاسلوبه يلاحظ أن مسلكه ملزم ومفحم معا لكون أدلته قطعية فـــي ثبوتها وهذا معلوم من الدين بالنسبة الى كل قضية تعرض لها القرآن اثباتـا أو نفيا وعليها الحجج والبراهين الصادقة .

فهي أدلة معجزة وسالمة من التناقض والاختلاف . قال تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)[5]

---

(١) هو برهان نقلي لأنه مأخوذ من القرآن الكريم وعقلي لأنه يخاطب العقول .

(٢) المتلازم : هو المتعانق .

(٣) قال احمد بن حنبل : المحكم الذي ليس فيه اختلاف والمتشابه الذي يكون فـــي موضع كذا وفي موضع كذا ابن تيمية الفتاوى جـ ١٣ ص ٢٧٥
وقال ابن تيمية : قال كثير من السلف المتشابه هو الوعد والوعيد "والمحكم هـــو الامر والنهي - وقال : قيل القرآن يعمل بمحكمه " ويؤمن بـ متشابهه" .
وأما قوله في تأويل "المتشابه" فانه يرى أن المقصود بذلك هو العلم بكيفية ما أخبرنا به الله وهذا لا يعلمه الا هو سبحانه وتعالى وان كان العلم بتأويله الذي هو تفسيره ومعنـــاه المراد به يعلمه الراسخون في العلم "كتاب الرد على النطاقين ص

(٤) سورة الزمر الايه ٢٣

(٥) سورة النساء الايه ٨٢

وأما كيفية استعماله الادلة المثبته لتوحيد الألوهية فهى تتمثل :

أولا : في خطابه الموجه لكافة العقول سواء النيرة والمتحجرة في شتى المعارف أو التى معارفها سطحية أو بدائية والفرق بين الفريقين هو في التعمق وعدمه فأصحاب العقول النيرة يتعمقون في معرفة الأدلة وخواص الاشياء التى تدل على وجود خالقها ووحدانيته وأما الآخرون فيكتفون بالمعلومات البسيطة السهلة .

ثانيا : في موارد هذه الادلة ، التى هى الاقناع والتوجيه والارشاد . وقد أخطأ الرازى وجمهور الفلاسفة في اعتبارهم أن أدلة القرآن ليست قطعية في أصول الدين وأن البراهين الحقة ، هى ما جاء بها علم الكلام والمنطق فقد جاء في نهاية العقول للرازى قوله : " أن الاستدلال بالسمعيات في المسائل الاصولية لا يمكن بحال لان الاستدلال بها موقوف على مقدمات ظنية وعلى رفع المعارض العقلي ، وأن العلم بانتفاء المعارض لا يمكن " اذ يجوز أن يكون في نفس الامر دليل عقلى يناقض ما دل عليه القرآن ولم يخطر ببال المستمع "[1] . ونقض هذا الادعاء الباطل نجده في ردود شيخ الاسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ المبينة للطرق البرهانية التى جاء بها القرآن الكريم ، والتى سيأتى بحثها بعد أن نورد رد الشيخ محمد أبو زهرة على هذا القول بالذات .

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة : ابن تيمية ص ٢٥٢ وتوجد نسخة خطية من نهاية العقول للرازى بدار الكتب المصرية برقم ٧٤٨ عقائد ط ١٣

يقول أبو زهرة - رحمه الله - " ولسنا نوافق فخر الرازى على ذلك القول لثلاثة أسباب :

(١) أن القرآن لم يج ء بالخبر وحده فى أمور الاعتقاد بل جاء بالدليل مقترنا بالخبر ردفا فآياته مشتملات على توجيه النظر الى الكون وما فيه من ابداع واحكام واتقان وما من آية دلت على التوحيد الا وقد حفت بها توجيهات الى الحقائق الكونية ، فما فى القرآن ليس خبرا مجردا بل هو دليل عقلى مستقيم للمتأمل المستبصر .

(٢) أنه يفرض أن ما نص عليه القرآن وما ساقه من دليل ، قد يكون فيه دليل عقلى يناقضه واذا وجد الاحتمال سقط الاستدلال ، وهذا تفكير غريب لأن القرآن اذا ساق دليلا وكان منتجا فاننا لا نفرض مناقضا حتى يقوم هذا المناقض ، والا فان كل دليل مهما يكن مستمدا من بداعة العقول والمقررات يصح أن يرفض الاحتمال أن يوجد ما يناقضه لاحتمال المناقض ، فما يجوز على أدلة القرآن يجوز على غيرها ، واذا قيل ان الادلة التى يسوقها الفلاسفة وأشباههم تكون مشتقة من بداهة العقول فكل دليل فى ذاته يحمل فى نفسه منع ما يناقضه اذا قيل ذلك فاننا لا ندرى لماذا لا يفرض فى الادلة التى يسوقها القرآن ذلك الفرض أيضا اذ هى توجه الانظار الى حقائق الكائنات ، وذلك فى ذاته ينبغى احتمال المناقض أو على الاقل المناقض الذى له دليل وان ذلك كاف فى الجزم واليقين .

(٣) أنه يؤمن كل الايمان بالادلة العقلية فى الالهيات ويرى أنها تنتج حزما ويقينا مع أن ذلك موضع نظر بين العلماء والحكماء ، فان من المقررات

العقلية أن البراهين الرياضية وما يتصل بها تنتج جزما وقطعا لا ريب فى ذلك لأنها تبنى على البديهيات التى تقرر المساوات الأصلية ، وأن مساوى المساوى يتساوى مع الأول وأنها فى اتساقها الفكرى تنتهى الى ذلك دائما ، وأنها مهما تنعقد على المدارك فانها تنتهى الى مبدأ التساوى الفكرى .

أما الادلة المتصلة بالطبيعيات فانها عند أولئك الفلاسفة تنتج ظانا لأن أساسها الاستقراء والاستقراء قد يكون ناقصا .

والأدلة المتصلة بالالهيات اختلف الباحثون فى شأنها ، والمحققون على أنها فى ذاتها لا تنتج قطعا تاما ولكن بترادفها وتكاثرها ، قد يكون منها الجزم واليقين ، فاذا كان الرازى يترك القرآن وأدلته فى اثبات العقائد معتبرا ذلك دليلا سمعيا لا يعول عليه فيها ، فقد ترك موضع الجزم واليقين الى متاهات العقول وضلال الافهام "[1]

---

(١) المصدر السابق ص ٢٥٢ و ٢٥٣ ومن أجل تقصى الحقيقة نورد ما أثبتته المصادر من أن الفخر الرازى رجع عن ارائه الفلسفية الى الاخذ بالادلة القرآنية فقد جاء فى وصيته قوله : (ولقد اختبرت الطرق الكلامية فما رأيت فيها فائدة تساوى الفائدة التى وجدتها فى القرآن العظيم لأنه يسعى فى تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى ، ويمنع عن التعمق فى ايراد المعارضة والمتناقضات وماذاك الا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل فى تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية .
ولهذا أقول : كلما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبراءته عن الشركاء فى القدم والازلية والتدبير والفعالية فذاك هو الذى اقول به والقى الله تعالى عليه " الفخر الرازى " التفسير الكبير جـ ١ ص م تعريف بالمؤلف ، والمحصول للرازى : جـ ١ مقدمة المؤلف - وانظر ابن تيمية : فى كتابه الرد على المنطقيين ص ٣٢٠ واعتراف الرازى بأن اقرب الطرق طريقة القرآن الكريم .

ذلك لأن طريق الحق هو السمع والعقل ، وهما متلازمان فمن سلك الطريق العقلى دله على الطريق السمعى ، وهو صدق الرسول الموحى اليه ، ومن سلك الطريق السمعى ظهرت له الادلة العقلية جلية ، وقد جاء بيان ذلك فى القرآن الكريم حيث قال على لسان اهل النار (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير)[1] ذلك لأن السمع يساعد على فهم ، وتعقل المحيط الذى نعيش فيه ، ومن هنا كان حثه سبحانه وتعالى على السير فى الارض للسماع والتفكر فى ملكوته قال تعالى (أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور)[2]

ثم ان الادلة القرآنية تنقسم الى قسمين :

فالاول . منها ما كان على طريقة البرهان العقلى[3] حيث يستدل به على المطلوب الذى جعل دليلا عليه ، وهذا القسم يستدل به على من يوافقنا فى النحلة او يخالفنا فيها وهو معلوم عند من له عقل ، فلا يقتصر به على الموافق فقط .

والثانى : مايبنى على الموافقة فى النحلة ، وذلك مثل الادلة المنسحبة على الاحكام التكليفية كدلالة الأوامر والنواهى على الطالب من المكلف نحو

---

(١) سورة تبارك الايه ١٠

(٢) سورة الحج الايه ٤٦

(٣) يدخل فى البرهان العقلى جميع البراهين العقلية ، وما جرى مجراها مما ورد فى كتاب الله تعالى على عادة العرب فى التعبير ، دون الالتفات الى طرق المتكلمين المبنية على المقدمات والنتائج .

قوله تعالى (كتب عليكم القصاص فى القتلى)[1] (٢) وقد بين شيخ الاسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ القسم الاول الخاص بالاستدلال على الالوهية فقال " والقرآن يستعمل الاستدلال " بالآيات ويستعمل ايضا فى اثبات الالوهية " قياس الاولى " وهو أن ما ثبت لموجود مخلوق من كمال لا نقص فيه ، فالرب أحق به ، وما نزه عنه مخلوق من النقائص فالرب أحق بتنزيهه عنه ، كما ذكر سبحانه وتعالى هذا ، فى محاجته للمشركين الذين جعلوا له شركاء ، فقال : " ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء فى ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم)[3] (٤)

كما نقد ابن تيمية قياس التمثيل والشمول " فقال لا يستدل بقياس التمثيل والتعديل ، وذلك لأن الله تعالى ليس مماثلا لشىء من الموجودات ، فلا يمكن أن يستعمل فى حقه قياس شمول منطقى تستوى أفراده فى الحكم كما لا يستعمل فى حقه قياس تمثيل يستوى فيه الفرع والأصل ، فانه سبحانه لا مثل له "[5] ثم ان القرآن الكريم اعتنى بالدعوة الى توحيد الالوهية[6] عناية كبيرة ، ليست مقصورة على مجرد الخبر ، وانما بناها على البراهين العقلية حتى فى استثارته الفطرة الانسانية بأن لها ربا والهما يفتقر اليه فى كل امر ، وان تخفى هذه الفطرة فى ساعات

---

(١) سورة البقرة آلايه ١٧٨

(٢) الشاطبي : الموافقات جـ ٣ ص ٣٢ - ٣٣

(٣) سورة الروم الايه ٢٨

(٤) الرد على النطقين ص ٣٥٠

(٥) ابن تيمية درء تعارض العقل والنقل جـ ٧ ص ٣٦٢

(٦) توحيد الالوهية : هى دعوة جميع الرسل .

اللهو ، وتعود الى الظهور عند الشدة والبأس قال تعالى (هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) .[1]

---

(١) سورة يونس الايه ٢٣

الفصل الأول

الأصول التي اعتمدها القرآن في دعوته للألوهية

الفصل الأول

الأصول التى اعتمدهـــا القرآن فى دعوتـــه للألوهية

وأما الأصول التى اعتمدها القرآن العظيم فى دعوته الى عبـــادة الخالق عز وجل والخضوع له وحده دون سواه فتعتمد على :

١) ايقاظ الفطـــر .

٢) نبذ الطواغيت .

٣) تعداد النعم .

٤) الخلق من العدم .

٥) الله قاهر فوق عباده .

فهذه الأصول تلاحظ بجلاء فى النص القرآنى ، وهـــــى بديهيـــة عقليـــة غير معقدة يسلم بها الخصم وتقنع عامـــــة الخلق .

والقرآن العظيم مملوء بالآيات المبينة لكل أصل من هـــــذه الأصول ، وهذا عرض لبعض هذه الآيات الدالة على ذلك .

١) ايقاظ الفطـــر :-

يبدأ سبحانه وتعالى بايقاظ ما أودع فى فطر الناس من الاستعداد للايمان به فيذكرهم بما ركب فى عقولهم من معرفة الخالق دون الرجوع الى دليل ، يقول عز وجل : (واذ أخذ ربك من بنى آدم مـــن ظهورهم ذريتهم [١] وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلـــى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أوتقولوا انمـــا أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون) [٢]

يفيد ظاهر الآية أن الله سبحانه وتعالى استخرج ذرية بنى آدم من أصلابهم وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم وأنه لا اله الا هـــو وحده لا شريك له .

وهذا هو ميثاق الفطرة الذى بينه النبى صلى الله عليه وسلـــم حيث يقول : ((يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرأيـت لو كان لك ما على الأرض من شىء أكنت مفتديا به ؟ قال : فيقـول نعم ، فيقول : قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليـك فى ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت الا أن تشرك بي)) [٣]

---

(١) ذريتهم : بالمفرد المضاف الذى يفيد العموم كقراءة ذرياتهـــم اذ القراءتان بمعنى واحد .

(٢) الأعراف الايتان ١٧٢ - ١٧٣ .

(٣) الامام أحمد : المسند جـ ٣ ص ١٢٧ .

وأما الأحاديث الدالة على أن الله سبحانه وتعالى استخرج ذرية آدم من صلبه فلا منافاة بينها وبين آية استخراج الذر هذه قال الجرجاني : ((ليس بين قول النبي صلى الله عليه وسلم : (ان الله مسح ظهر آدم فأخرج منه ذريته) [1] وبين الآية اختلاف بحمد الله لأنه عز وجل اذا أخذهم من ظهر آدم فقد أخذهم من ظهور ذريته ، لأن ذرية آدم ذرية لذريته بعضهم من بعض)) [2] .

وقد يكون تعالى أخرج من نفس آدم أولاده الذين من صلبه ثم من أولادهم وهكذا الى أن خرج جميع بني آدم فأخذ منهم الميثاق ثم ردهم الى أصلاب آبائهم . [3]

---

(١) رويت أحاديث من عدة طرق تدل كلها على أن الله عز وجل استخرج ذرية آدم من صلبه أو ظهره وميزه بين أهل الجنة وأهل النار وأما الاشهاد عليهم بأنه ربهم فليس الا في حديث ابن عباس وحديث عبد الله بن عمر وهما موقوفان ومتناهما صحيح لأن المراد بالاشهاد كما يقول القائلون من السلف والخلف انما هو فطرهم على التوحيد . أنظر ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٢٦٤ .

(٢) محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم مج ٩ ص ٣٩٦ .

(٣) عن أبي مسعود عن جرير قال : (مات ابن الضحاك بن مزاحم ابن ستة أيام ، قال فقال يا جابر اذا أنت وضعت ابني في لحده فابرز وجهه وحل عنه عقده فان ابني مجلس ومسؤول ففعلت به الذي أمر فلما فرغت قلت : يرحمكم الله عم يسأل .. من يسأله اياه ؟ قال يسأل عن الميثاق الذي أقربه في صلب آدم فقلت يا أبا القاسم وما هذا الذي أقربه في صلب آدم ؟ قال : حدثني ابن عباس أن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وتكفل لهم بالأرزاق ثم أعادهم في صلبه ، فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطي الميثاق يومئذ ، فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأول ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يقربه لم ينفعه الميثاق الأول ومن مات صغيرا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة . أنظر التفاسير الاتية : ابن جرير ، ابن كثير ، المنار عند تفسيرهم لآية الذر .

والأقوال فى كيفية اخراج الذرية مختلف فيها [1] ولا مستند لها ، اذ هى مسألة غامضة يصعب على العقل بحثها ، والا سلم الاعتقاد بأن الله تعالى أخرج الذر كما شاء ، فلا شىء أبدا يعجز قدرته عز وجل ، قال ابن الأنبارى : " مذهب أهل الحديث وكبراء أهل العلم فى هذه الآية أن الله أخرج ذرية آدم من صلبه وأصلاب أولاده وهم فى صور الذر ، فأخذ عليهم الميثاق أنه خالقهم وأنهم مصنوعون فاعترفوا بذلك وقبلوا ، وذلك بعد أن ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبل عقلا حين خوطب ، وكما فعل ذلك بالبعير لما سجد ، والنخلة حتى سمعت وانقادت حين دعيت " [2]

وأما الاجابة فالظاهر أنهم أجابوه بلسان المقال ، وكيفية ذلك نكلها الى علمه سبحانه وتعالى ، ولا مانع من أن يعضد لسان الحال لسان المقال أى تحصل الاجابة بهما معا [3] .

---

(١) يرى بعض أهل العلم أن الميثاق اخذ على الأرواح دون الأجساد لأن الأرواح هى التى تعقل أنظر بسط ابن القيم لهذه المسألة فى كتاب (الروح) فى مسألة البحث فى خلق الأرواح قبل الأجساد .

(٢) محمد رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم جـ ٩ ص ٣٩٦ .

(٣) ففى قوله (وأشهدهم على أنفسهم) ثلاثة أقوال : أحدها أشهدهم على أنفسهم باقرارهم قاله مقاتل ، الثانى : دلهم بخلقه على توحيده قاله الزجاج ، الثالث : أنه أشهد بعضهم

===

والآية فى نظر المفسرين : " تذكير من الله بما أخذ على جميع المكلفين من الميثاق ، واحتجاج عليهم لئلا يقول الكفار ، انا كنا عن هذا الميثاق غافلين لم نذكره ، ونسيانهم لا يسقط الاحتجاج بعد أن أخبر الله تعالى بذلك على لسان النبى صلى الله عليه وسلم الصادق ، واذا ثبت هذا بقول الصادق قام فى النفوس مقام الذكر فالاحتجاج به قائم " (١) .

وفى سورة يونس ما يدل على أن الناس يعرفون الله ويقرون به غير أنهم يشركون الأوثان معه تعالى فى العبادة ، لذلك يأمر رب العزة والجلال رسوله أن يسألهم بقوله : (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) (٢) .

== على بعض باقرارهم بذلك قاله ابن جرير " أبو الفرج ابن الجوزى زاد المسير فى علم التفسير جـ ٣ ص ٢٨٤ " ثم ان الشهادة قد تكون بالقول كقوله تعالى : (قالوا شهدنا على أنفسنا) الآية وقد تكون حالا كقوله تعالى : (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر) التوبة آية ١٧ ، أى حالهم شاهد عليهم بذلك لأنهم قائلون بذلك ، وكذلك قوله : (وانه على ذلك لشهيد) العاديات آية ٧ ، كما أن السؤال تارة يكون بالمقال وتارة بالحال : (وآتاكم من كل ما سألتموه) ابراهيم آية ٣٤ .

---

(١) أبو الفرج ابن الجوزى : زاد المسير فى علم التفسير جـ٣ ص ٢٨٥ .

(٢) يونس الآية ٣١ .

قال الفخر الرازى : " يعنى أفلا تتقون أن تجعلوا هذه الأوثان شركاء لله فى العبودية ، مع اعترافكم بأن كل الخيرات فى الدنيا والآخرة انما تحصل من رحمة الله واحسانه واعترافكم بأن هذه الأوثان لا تنفع ولا تضر البتة . (١)

ثم ان هذا الايمان بالخالق واللجوء اليه فطريا يظهر بوضوح خاصة اذا أصيب الناس بخوف شديد كالغوص من الغرق فى البحر ، فانهم فى هذه الحالة لا يتضرعون الا الى الله تعالى وحده ، لكى ينجيهم من الغرق ويخرجهم الى البر سالمين ، قال تعالى : (هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذا لنكونن من الشاكرين ، فلما أنجاهم اذا هم يبغون فى الأرض بغير الحق ، يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون) (٢) .

قال الفخر الرازى : " ان الانسان فى هذه الحالة لا يطمع الا فى فضل الله ورحمته ، ويصير منقطع الطمع عن جميع الخلق ويصير بقلبه وروحه وجميع أجزائه متضرعا الى الله تعالى ، ثم اذا نجاه

---

(١) الفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ١٧ ص ٨٧ .

(٢) سورة يونس الآيتان ٢٢ - ٢٣ .

الله تعالى من هذه البلبلة العظيمة ، ونقله من هذه المضرة القوية الى الخلاص والنجاة ، ففى الحال ينسى تلك النعمة ويرجع الى ما ألفه واعتاده من العقائد الباطلة والأخلاق الذميمة [١] .

وفى هذا دليل على أن الخلق جبلوا على الرجوع الى الله تعالى فى الشدائد ، وأن المشركين منهم ينسون أصنامهم فى حالات الرعب فلا يلتفتون اليها ولا يدعونها كي تجيبهم لعلمهم أنها عاجزة تماما عن خلاصهم مما هم فيه ، ولذلك قال فى الآية الأخرى (واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا) [٢] فقوله سبحانه وتعالى : (ضل من تدعون الا اياه) تعنى أنه ذهب عن خاطركم كل من تدعون الا الله عز وجل ، وهكذا نجدهم عند الشدائد قد تركوا كل ما يعبدون من غير الله وتمسكوا بفضله ورحمته .

وأما عند الرخاء فانهم سرعان ما ينسون دعاءه وحده ، ولذلك كان الانسان كفورا لنسيانه وجحده فضل خالقه عليه بسبب ما يعتريه من فساد لفطرته التى هى الاسلام ، [٣] الذى فطر الناس عليه ، وهذا يشهد له قوله سبحانه وتعالى حكاية عن الكافرين : (ولئن سألتهم

---

(١) الفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ١٧ ص ٦٧ .

(٢) سورة الاسراء آية ٦٧ .

(٣) يراجع فصل الفطرة فى الباب الأول من هذه الرسالة

من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون) [1] .

٢) نبذ الطواغيت : -

الطاغوت [2] عبارة عن كل متعد [3] وكل معبود من دون الله، عُبد وهو راض بذلك، ويستعمل فى الواحد والجمع ، وقد سمى الساحر والكاهن والمارد من الجن والصارف عن طريق الخير طاغوتا [4] .

---

(١) سورة الزمر الآية ٣٨ .

(٢) طاغوت : قيل وزنه فعلوت نحو جبروت وملكوت وقيل أصله طغووت ولكن قلب لام الفعل نحو صاعقة وصاقعة ثم قلب الواو ألفا لتحركه وانفتاح ما قبله (الأصفهانى - المفردات ص ٣٠٥ .

(٣) المتعد : هو المتجاوز الحد فى العصيان من مثل قوله تعالى : (انه طغى) طه ٢٤ و ٤٣ ، وقوله : (قالوا يا ولنا انا كنا طاغين) القلم ٣١ ، وقوله (ان الانسان ليطغى) العلق ٦ .

(٤) جاءت كلمة الطاغوت فى القرآن على ثلاثة أوجه هى : (١) الشيطان كقوله (يكفر بالطاغوت) البقرة ٢٥٦ يعنى الشيطان ،
(٢) الأوثان كقوله (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) النحل ٣٦ يعنى اجتنبوا الأوثان .
(٣) الطاغوت : يعنى كعب بن الاشرف الطائى (ت ٣ هـ) وهو أكثر من هجوا النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقتل بأمر النبى ، الكامل ٢ ص ٩٩ وما بعدها ، قال تعالى : (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجهم من النور الى الظلمات) البقرة ٢٥٧ يراجع يحيى بن سلام التصاريف ص ١٠٧ تحقيق هند شلبى ط : الشركة التونسية للتوزيع ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠م .

وكان مما ترتكز عليه دعوة القرآن الكريم الى عبادة الخالق عز وجل نبذ جميع عبادة الطواغيت التى تكبل البشرية وتقيدهم بعقيدة منحرفة ، حيث تهيمن بواسطة هذه العقيدة الفاسدة قلة تدعى أنها صاحبة الفضل على البشرية ، فتستعبدهم لمصالحها ، وتمتاز عليهم فى كل أمر ، لذلك تحداهم القرآن الكريم منبها على حقارة ما يعبدون ، ومبينا سخافة عقول عابدى الطواغيت بقوله :

(يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز) (١) .

فاذا كان الذباب الذى هو فى غاية الضعف يستحيل علينا خلقه ، فان هناك مسألة أخرى أهون من الخلق ، وهى أنه لو استولى هذا الذباب على شىء يملكه أقوى الناس فينا ، فلن يستطيع اعادته منه مهما حاول ذلك (٢) .

وهكذا جميع المخلوقات لا يملكون مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض لا بالمشاركة ولا بالتبعية ، قال تعالى :

---

(١) سورة الحج الآيتان (٧٣ - ٧٤) .

(٢) ثبت علميا أن الذباب يخرج مادة لزجة تمتزج بسرعة فائقة بما استولى عليه الانسان أو الحيوان أو الفاكهة ، ولا يمكن بحال الفصل بينهما والذباب انواع منه : الذبابة المنزلية ، وذبابة الأسطبل ، والذباب الأسود المتعطش للدماء ، وذباب الفاكهة وذباب " تسى تسى " فى افريقيا الذى ينقل مرض النوم ويقضى على الملايين : (فردينا ندلين دنيا الحشرات ترجمة د / أحمد عماد الدين أبو النصر من ص ١٠٤ الى ص ١٠٨ ط / دار المعارف بمصر) .

(قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير)[1] .

ففي هذه الآية قطع لأصول الشرك وهدم له من أساسه لأن الشرك يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع ، والنفع لا يكون الا في من فيه خصلة من هذه الخصال الثلاثة :

إمّا مالك لما يريد عابده منه .

أو شريك للمالك .

أو معين وظهير في تصريف شؤون المالك .

ثم زاد عن هذه الخصال خصلة رابعة بين فيها أنه لا نصيب في الشفاعة للمشركين لانها لن تكون الا باذن الله سبحانه وتعالى : (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له)[2] ، وكفى بهذه الآية نورا وبرهانا على توحيد الألوهية لمن عقلها .

ثم ان هؤلاء الذين يغفلون عن ذكر خالقهم ، والمنعم عليهم بفضله واحسانه لم يقدروا الله حق قدره لتجرئهم على عبادة من لا يستحق العبادة ، وترك عبادة من له المثل الأعلى في السموات

---

(١) سورة سبأ الآية ٢٢ .

(٢) نفس السورة الآية ٢٣ ، وتتمتها : (حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير) .

والأرض قال تعالى : (وهو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم) (١) .

وهذا بين واضح لا يحتاج الى براهين وأدلة معقدة بعمل كل براهينه جلية : (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) (٢) ، (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ، ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) (٣) .

فمنذ أرسل سبحانه وتعالى الرسل بداية من حدوث الشرك فى بنى آدم ، حيث أرسل أول رسله نوحا عليه السلام الى أن ختمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهو ينهاهم عن عبادة الطواغيت ، ويحذرهم من التكذيب بالحق ويخوفهم من معالجته لهم بالعقوبة فى الدنيا ، والعقوبة الآخرة أشد وأنكى ، كما يبين لهم أن من يجتنب عبادة الطواغيت له البشرى بالفوز والهداية الى سواء السبيل

---

(١) سورة الروم الآية ٢٧ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٦ وأولها : (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ..) .

(٣) سورة النحل الآية ٣٦ .

قال تعالى : (والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) (١) .

٣) تعداد النعم :-

ثم انه سبحانه وتعالى ينبه البشرية ويرشدهم الى نعمه الجمة التى تفضل بها عليهم حيث جعل السموات والأرض معملا عظيما يوفر الانتاج الكامل للانسان : (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما فى الأرض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) (٢) .

فرغم ما أسبغ عليهم من نعم ، وما سخر لهم من كائنات فى الأرض والسماء هناك من يجادل فى وجود الله وتوحيده بغير علم ولا هدى منير .

ولذا يسأل الله سبحانه وتعالى عباده بقصد انتزاع اقرارهم بألوهيته عليهم وحده ، اذ لا رب غيره ، ولا خالق سواه فيسأل الناس عن أشياء ظاهرة لهم يعلمون أنهم غير قادرين وحدهم على ايجادها

---

(١) سورة الزمر الايتان ١٧ ، ١٨ .

(٢) سورة لقمان الآية ٢٠ .

أو حتى جعل المنفعة فيها ، فيقول لهم سبحانه وتعالى : (أفرأيتم ما تمنون ، أ أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ، نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فى ما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ، أفرأيتم ما تحرثون أ أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرمون ، أفرأيتم الماء الذى تشربون أ أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون أفرأيتم النار التى تورون ، أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ، نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين ، فسبح باسم ربك العظيم) [1] .

ويدعو سبحانه وتعالى الناس الى استحضار المنفعة الظاهرة فى طلوع الشمس وغروبها ، وأنها من رحمته عز وجل بهم ، فلولا طلوعها فى وقت ومغيبها فى وقت آخر لما تمكن الخلق من نيل الهدوء والراحة ، فهى (بمثابة السراج الذى يدفع النور لأهل البيت بمقدار حاجتهم ، ثم يُرفع عنهم ليستقروا ويستريحوا) [2] ذلك أن الأعضاء والجوارح تكل من كثرة الحركة بالنهار ، فاذا جاء الليل وسكنت الحركات حصل النوم الذى فيه راحة البدن والروح معا ، قال

---

(١) الواقعة الآية ٥٨ - ٧٤ .

(٢) الفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ٢ ص ١٠٧ .

تعالى : (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ، والنهار مبصرا ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون)[1] ، وقال : (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون ، قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)[2] .

وبحكمته سبحانه وتعالى جعل شعاع الشمس نافعا غير ضار ، فكل جهة من جهات الأرض تأخذ بمقدار حاجتها من هذا الشعاع بسبب الحركة المتوازنة للكواكب : (صنع الله الذى أتقن كل شىء)[3] ، قال الرازى : (أما ارتفاع الشمس وانحطاطها فقد جعله الله تعالى سببا لاقامة الفصول الأربعة ففى الشتاء تفور الحرارة فى الشجر والنبات فيتولد منه مواد الثمار ويلطف الهواء ويكثر السحاب والمطر ويقوى ابدان الحيوانات بسبب احتقان الحرارة الغريزية فى البواطن وفى الربيع تتحرك الطبائع ، وتظهر المواد المتولدة فى الشتاء فيطلع النبات ، وينور الشجر ، ويهيج الحيوان للفساد ، وفى الصيف يحتدم الهواء فتنضج الثمار وتتحلل فضول الأبدان ويجف وجه الأرض ويتهيأ للبناء والعمارات ، وفى الخريف يظهر اليبس والبرد

---

(١) سورة يونس الآية ٦٧ .

(٢) سورة القصص الآيات ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ .

(٣) سورة النمل الآية ٨٨ .

فتنتقل الأبدان قليلا قليلا الى الشتاء ، فانه ان وقع الانتقال دفعة واحدة هلكت الأبدان وفسدت .[1]

فسبحان القائل : (ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا)[2] .

وتظهر نعم الله سبحانه وتعالى واضحة على الانسان خاصة بما هيأ له من وسائل العيش والبقاء ، وبما سخر له من منافع عظيمة لا يحصى عددها[3] ، يقول تعالى مبينا بعض منه على العبد : (ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين)[4] ، أى

---

(١) التفسير الكبير جـ ٢ ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(٢) سورة الفرقان الآية ٤٥ .

(٣) عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه أن الله تعالى يقول : (يا ابن آدم قد أنعمت عليك نعما عظاما لا تحصى عددها وتطيق شكرها وان مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما وجعلت لهما غطاء فانظر بعينيك الى ما أحللت لك وان رأيت ما حرمت عليك فاطبق عليهما غطاءهما ، وجعلت لك لسانا ، وجعلت له غلافا فانطق بما أمرتك وأحللت لك فان عرض عليك ما حرمت عليك فاغلق عليك لسانك ، وجعلت لك فرجا وجعلت له سترا فأصب بفرجك ما أحللت لك فان عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك ، ابن آدم انك لا تحمل سخطى ولا تطيق انتقامي) أنظر ابن كثير التفسير جـ ٤ ص ٥١٢ وقال : رواه الحافظ ابن عساكر فى ترجمة أبى الربيع الدمشقي عن مكحول ومعنى الحديث صحيح شرعيا .

(٤) البلد الآيات ٨ ، ٩ ، ١٠ .

جعل له عينين يبصر بهما ، ولسانا ينطق به فيعبر عما فى ضميره ، وشفتين يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام ، وجمالا لوجهه وفمه .(١)

وأما هدايته النجدين فالظاهر أنهما طريقا الخير والشر بدليل قوله سبحانه وتعالى فى سورة الانسان : (انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا)(٢) .

ونعمه عز وجل ظاهرة سخرها لخلقه ينتفعون بها فى كل حين قال تعالى : (والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤوف رحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون)(٣) .

فقد تعداد هذه النعم بما فيها من مصالح كصنع الملابس من أصواف الأنعام(٤) وأوبارها وأشعارها ، وكاتخاذ المفارش من جلودها وكالشرب من ألبانها ، وكالأكل من لحومها ، وكالتمتع بالنظر الى جمالها حين ترجع من المرعى وحين تفدوا اليه ، قال تعالى :

---

(١) ابن كثير : التفسير جـ ٤ ص ٥١٢ .

(٢) سورة الانسان الايتان ٢ - ٣ .

(٣) سورة النحل الآيات ٥ - ٦ - ٧ - ٨ .

(٤) الأنعام : يعنى الأزواج الثمانية التى جاء تفصيلها فى سورة الأنعام الآيتان ١٤٣ ، ١٤٤ وهى : الابل ، والبقر ، والغنم ، والمعز أى من كل صنف زوجين .

(ان ربكم لرؤوف رحيم) أى بما سخر لكم من الأنعام حيث تنتفعون بها هذا نظير قوله تعالى : (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) [1] .

وكذلك سخر لنا البحر لنأكل منه لحما طريا ونستخرج منه حلية نلبسها ، قال تعالى : (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) [2] .

---

(١) أول الآيتان قوله تعالى : (والذى خلق الأزواج كلها ...) الزخرف (١٢ - ١٣) .

(٢) سورة النحل الآية ١٤ .

٤ ـ الخلق من العـــدم :

يجد المتتبع للقرآن الكريم ، أنه اعتمد على الخلق من العدم في توحيـــد الالوهية

وأنه يكرر هـــــذا الدليل في أسلوب جذاب كقوله تعـــــالى : (نحن خلقناكم فلولا تصدقون ". افرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت ، وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فى مالا تعلمون ، ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون ، أفرأيتم ما تحرثون ، أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لونشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون . انا لمغرمون بل نحن محرمون ، أفرأيتم الماء الذى تشربون ، أأنتم انزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ، لونشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون . افرأيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعـا المقوين فسبح باسم ربك العظيم)(١)

فقد اعتمد فى هذا الأسلوب طريقة توجيه الاسئلة الى المخاطب والاجابـة عنها بدقة ، توصل الى النتيجة المطلوبة ، فدليل الخلق من لا شيء دليـــل عظيم يلزم من أقر به فى الابتداء أن يقر بالبعث فى النهاية باعتباره حياة ثانيـــة يتساوى فى كلتا الحياتين علم البارى بأجزاء الخلق ، وعدم العجز فى ذلك ، ولا عبرة لمن يدعى أن الخلق لا يكون الا من منى ، وبعد الموت لا والد ولا منى

---

(١) سورة الواقعة الايات (من ٥٧ الى ٧٤)

اذ يقال لهم : هذا المنى أأنتم تخلقونه أم الله وهو تساؤل يضعه القرآن امـــام العقل الانسانى ، فى صورة استفهام تقريرى لأن الخلق أقوى الايات دلالة عـــلى الخالق وعلى وجوب عبادته . ومنه قوله تعالى (أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) (١) وقوله (أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون) (٢) وقوله (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) (٣)

وكما يقدر سبحانه على الاحياء كذلك يقدر على الاماتة وهو مختار فى كـــلتا الحالتين ان شاء أحيا وان شاء أمات أو بدل قوما بآخرين لا يعملون عملهم .

وأما دليل الرزق الذى يدل على الاستمرار فى الحياة ، فيأتى مرتبا ترتيبا منطقيا ، يبدأ بالمأكول لأنه هو الغذاء ، ويكتفى فيه بذكر الحب باعتباره أصل كل المأكولات ، ثم المشروب ويسمى فيه الماء لأنه هو الاصل ، ثم النار الـــتى بها اصلاح أكثر الاغذية وأعمها .

وقد يوجد رغم دليلى الخلق والرزق على اثبات الالوهية : المعاند الذى يدعى أن النبات نفسه يدفع عن نفسه الافات ، كما يدعى أنه ينبت من نفسه ولكن هيهات له أن يثبت ادعاءه هذا ، والآفات ـ كما هو مشاهد ـ تصيب الزرع فتفسده قبل اشتداده أو حتى قبل أن ينبت .

والآيات فى جملتها ، أنه سبحانه وتعالى لما ذكر حال المكذبين بالحشر ووحدانية الالوهية ، ذكر الدليل عليهما بالخلق والرزق ، وهما دليلا الاختراع

---

(١) سورة مريم الايه ٦٧
(٢) سورة الطور الايه ٣٥
(٣) سورة الانسان الايه ١

والعناية عند ابن رشد (١) .

ويمزج الرازى بين الدليلين ويسميهما دليل الافاق والأنفس (٢) .

أما شيخ الاسلام ابن تيمية ، فيرى أن العناية الالهية ترجع الى دليل الخلق وأن الاستدلال يكون أظهر ، وأقرب الى الفطر فبالشيء المخلوق من مسألة العناية وهو بذلك يربط بين الاتجاهين اتجاه الفطره واتجاه الاستدلال بالافاق ، فيقول رحمه الله : " وهذا شأن الحق الذى يطلب معرفته بالدليل ، فلابد أن يكون مشعورا به فى النفس ، حتى يطلب الدليل عليه ، أو على بعض احواله وأما ما لاتشعر به النفس أصلا فليس مطلوبا لها البتة " (٣)

ولذا كانت آية الخلق من عدم يستدل بها الانسان نفسه على خالقه باعتبارها الدليل الأقوى والاوضح على عبادة الله وحده دون سواه ، وهى أيضا دليل فطرى يعلمه كل انسان من نفسه ويذكره كلما يذكر بنى جنسه .

---

(١) ابن الرشد : الكشف عن مناهج الادلة فى عقائد الملة ص ٦٥

(٢) يسمى الرازى دليل الخلق دليل حدوث الصفات ، ودليل العناية دليل الاحكام والاتقان ويحصرهما فى دلائل الآفاق والأنفس اشارة الى قوله تعالى (سنريهم آياتنا فى الافاق ، وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) " فصلت آيه ٥٣ "
الرازى معالم اصول الدين ص ٤٠

(٣) ابن تيمية درء تعارض العقل والنقل جـ ٤ ص ٨٦

٥ - الانفراد بالخلق :

يستنطق القرآن الكريم المشركين في اثبات الوهيته تعالى مبينا ، أن ما أتخذ من دونه للولاية والعبادة لا يملك شيئا لا من نفسه ولا من غيره ، كذلك لم يشهد خلق السماوات والارض ولم يكن عونا لله تعالى في الخلق والتدبير (ما أشهدتهم خلق السماوات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذا المضلين عضد)[1] فهو تعالى المستقل بخلق وتدبير جميع الاشياء دون أن يشهد على ذلك المضلين أو يطلب مساعدتهم .

وقد تحداهم تعالى ان يدعوا من شاءوا لدفع الضر عنهم فقال : (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا)[2]

وقال متدرجا في بيان عجز هذه الالهة المزعومة تماما ، عن كل شيء من دونه وأنه لا حول لها ولا قوة في الكون كله (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ، لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير)[3] اذ الملك والتصرف كله لله الاحد الصمد (ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين)[4]

وقال مبينا ضعف الانسان رغم ما يدعيه من قوة وبطش ومنعه (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة

---

(١) سورة الكهف الآية ٥١
(٢) سورة الاسراء الآية ٥٦
(٣) سورة سبأ الآية ٢٢
(٤) سورة الاعراف الآية ٥٤

يخلق ما يشاء وهو العليم القدير)[1]

فجعله سبحانه الخلق من ضعف ، يدل على كثرة ضعف الانسان أول نشأته وطفولته ، ثم حال الشيخوخة والهرم ، والتردد في هذه الهيئات شاهد بقدره الصانع[2] وعلمه .[3]

والناس جميعا يدركهم الموت مهما تحصنوا بالحصون المنيعة ، وهذا واقع لا يحتاج الى دليل . ومع ذلك يذكرهم الله سبحانه وتعالى بالموت الذى لا مفر منه فيقول : (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة)[4]

فالموت قاهر كل نفس فلا يغنيها حذر،وارادة الله ماضية على جميع الكائنات (قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم)[5] سواء هبتم أسبابه أم لا ، قال زهير ابن سلمى :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلم[6]

---

(١) سورة الروم الآيه ٥٤

(٢) و (٣) أبو حيان التوحيدى : البحر المحيط جـ ٧ ص ١٨٠ ويقصد بالصانع الخالق) والأولى العبارة القرآنية حيث قال سبحانه : الله الذى (خلقكم) ولم يقل (صنعكم) تفاديا من الاشتراك اللفظى حيث يقال لصاحب الحرفة (صانع) ذلك لأن مادة صناعته لم يخلقها هو بل موجودة خلقها الله وسخرها لنا فى الصناعة .

(٤) سورة النساء الآية ٧٨

(٥) سورة الجمعة الآية ٨ وتتمتها (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون)

(٦) الزوزنى : المعلقات السبع .

الفصل الثاني

أسلوب القرآن في الاقناع بالألوهية

الفصل الثـــانى

أسلوب القرآن فى الاقناع بالألوهيـــة

لقد تضمن القرآن حقائق هي طريق ووسيلة للوصول الى الحقيقـــة الأساسية الكبرى وهى الايمان بالله خالق الكون ومدبره وبالتالى الايمان بالآخرة ، وبالنبوة والوحي .

وكان أسلوبه في الاقناع بهذه الأمور يتمثل فى بيان أن أصـــل الدين واحد ، وفي الجدال بالتي هي أحسن بما في ذلك النقـــد العقدى ، والأخلاقى الهادف ، وفى الحض على التفكر ، وفـــى مشاهد الكون بآفاقه الواسعة وأنواع مخلوقاته المختلفة وحوادثه المتبدلة وفى حياة الانسان من حيث تكوينه وأخلاقه وميوله وغرائزه ، وحيـــاة أجياله المتعاقبة وجماعاته المختلفه .

وسنبحث في هذا الفصل مجموع هذه الحقائق مبينين بها مـــدى قوة اسلوب القرآن العظيم فى الاقناع بحقيقة الألوهية .

١ - وحدة الدين :

يعتمد أسلوب القرآن فى الاقناع[1] على فكرة رئيسية هى : وحدة الدين الاصلية ، التى يستجيب لها ذوو النفوس السليمة ، قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب)[2]

ان رسل الله جميعا وجهتهم واحدة يعززون بعضهم بعضا ويتضامنون فى تبليغ حقيقة دينية واحدة ، قال عنها خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم : (نحن معشر الأنبياء أولاد علات[3] ديننا واحد)[4]

لقد كان الناس أمة واحدة مجتمعة تحت لواء الله تبارك وتعالى[5] -

---

(١) لا أقصد بالاقناع ما هو ضد البرهان ، ولكن أقصد به ما يجعل الفكرة تسيطر على القلوب وتمتلكها .

(٢) سورة الشورى الآية ١٣

(٣) يقال عنهم بنو علات اذا كان أبوهم واحدا ، وفى الحديث كناية على أن العقيدة الدينية واحدة وهى التوحيد .

(٤) احمد بن حنبل : المسند : جـ ٢ ص ٤٦٣ - ٥٤١ وجاء ذلك بلفظ أبناء البخارى الأنبياء .

(٥) يراجع تفسير الايات التالية (كان الناس امة واحدة) الآية (البقرة ٢١٣) حيث رجح الفخر الرازى ان الناس كانوا أمة واحدة على الحق والايمان ثم اختلفوا بعد ذلك وأتى بستة أوجه الدلالة على هذا الرأى (انظر التفسير الكبير جـ ٦ ص ١١) ويراجع تفسير ابن جرير الطبرى وابن كثير فى تفسيرهما لقراءة عبد الله بن مسعود (كان الناس أمة واحدة فاختلفوا) وكذلك تفسير قوله تعالى (ان هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) (الانبياء ٩٢) وكذلك قوله (وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) (المؤمنون ٥٢) حيث يقول ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير الآيتين أن المراد هنا : الدين (ابن الجوزى زاد المسير فى علم التفسير جـ ٥ ص ٣٨٦) .

(وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون)[1] [2] فالخلاف والفرقة حصلا فى الأجيال اللاحقة ، قال تعالى : (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ، ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد)[3]

ويرجع القرآن الكريم أسباب هذا الخلاف الى عوامل رئيسية تنحصر فى :

أولا : الأساليب الرديئة ، التى عرضت بها مسائل الدين عند اليهود خاصة فيحرفون كلام الله عن مواضعه ، قال تعالى مخاطبا المؤمنين (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون)[4] وقال (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه)[5]

ثانيا : كتمان الحق بقصد السيطرة على البشرية وافسادها قال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)[6]

---

(١) اختلف فى عودة الهاء من كلمة (فيه) على أقوال أحدها انها تعود الى محمد - صلى الله عليه وسلم - والثانى الى الدين ، والثالث الى الكتاب والظاهر أن المقصود به الاختلاف فى الدين .

(٢) سورة يونس الايه ١٩

(٣) سورة البقرة الآيه ٢٥٣

(٤) سورة البقرة الايه ٧٥

(٥) سورة المائدة الايه ١٣

(٦) سورة البقرة الآيه ١٤٦

أى هم يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ، ليشتروا به ما يتوهمونه أنه يحقق مصلحتهم ، وهو فى الحقيقة ليس الا ثمنا قليلا فى هذه الدنيا وما عند الله خير وابقى ، قال تعالى (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم)(١)

ثالثا : نسيان حظ من التعاليم الربانية ، وهذا يظهر فى النصارى ، حيث يقول عنهم عز من قائل : (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون)(٢)

واولا هذه الاسباب والعوامل ، التى فى امكان الناس التغلب عليها لسموا فوق الانشقاق قال تعالى (واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين)(٣) ولتخلصوا من الغرور المقيت قال تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناؤا الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والارض وما بينهما واليه المصير)(٤)

---

(١) سورة البقرة الآية ١٧٤
(٢) سورة المائدة الايه ١٤
(٣) سورة البقرة الايه ٩١
(٤) سورة المائدة الايه ١٨

ثم ان الايمان بالرسالات السابقة ، وبكتبها المنزلة من عند الله تعالى شرط من شروط الايمان في العقيدة الاسلامية باعتبارها نفس العقيدة المنزلة من رب العالمين قبل تحريف أصحابها لها وهو ما يجعل الأسباب الداعية لرفض هذه العقيدة منتفيه قال تعالى (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير والله على كل شيء قدير)(١) وقال (ان الذين يكفرون بالله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا . والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما)(٢)

فالمؤمن بالله تعالى عضو في الأمة المؤمنة من لدن آدم . . الى محمد صلى الله عليه وسلم - يؤمن بالرسل الذين أرسلوا من عند الله جميعا من غير تمييز بينهم فالدين واحد لا يحتمل التعدد (ان الدين عند الله الاسلام)(٣)

والقرآن جاء لحذف الشوائب التي طرأت على هذا الدين وبالعودة الى عبادة الله الواحد قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم)(٤) وقال سبحانه (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير)(٥)

---

(١) سورة المائدة الايه ١٩
(٢) سورة النساء الايتان (١٥٠ - ١٥٢)
(٣) ، آل عمران الايه ١٩
(٤) ، البقره الايتان ١٣٦ - ١٣٧
(٥) ، ، الايه ٢٨٥

٢ ـ الجدال بالتى هى أحسن :

اشتمل القرآن الكريم فى منهجه لهداية الكافرين والزام المعاندين على الجدل بالتى هى أحسن فاستخدم لذلك الاستدلال العقلى والواقع المادى .

وهو منهج فذ يدعو الى التسليم بان العقيدة الاسلامية مقامة على الحجة والبرهان وان اسلوب القرآن فى دعوته لاتباع هذا الحق يفحم جميع فرق الكفار ويلزمهم به .

وقبل ذكر بعض صور المجادلات القرآنية لاثبات عبادة الله الاحد ونبذ الشريك له ، يحسن بنا عرض القواعد ، التى اعتمدها القرآن الكريم فى جداله مع الخصوم باعتبارها الأسس القويمة للوصول الى الحق ، والاداب الرفيعه فى البحث والمناظرة ، والاسلوب الذى يعلو على كل أسلوب .

القاعده الأولى :

التخلى عن التعصب ، والبحث عن الحقيقة ، والاخذ بها ولو كانت مطابقة لوجهة نظر الخصم ، فوجود الله تبارك وتعالى حقيقة لا تقبل النقاش والجدل ، لأنها مغروسة فى اعماق النفس الانسانية باعتراف العقلاء ، غير أن هناك من الناس من أغلق قلبه دون أنوار الله تعالى ، وأصم اذنيه عن ندائه ومع هذا يُعلّم الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بأن يقول للمشركين فى مجادلته لهم دون تعصب أو معاندة (قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وإنّا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين)[1] فالهداية لا تكون الا فى

---

(١) سورة سبأ الآيه ٢٤

احدهما والضلال كذلك وعلى المشركين الاعتراف بهذه الحقيقة والتخلى عن أنانيتهم ومشاغباتهم .

القاعده الثانيه :

التقيد بالقول المهذب يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (وجادلهم بالتى هى أحسن)[1] ويقول للمؤمنين (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى احسن)[2] ويقول لهم فى سورة الانعام (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم)[3]

القاعدة الثالثة :

التزام الطرق الصحيحة فى الاقناع

ويكون ذلك بتقديم الادلة المثبتة للامور المدعاة أو باثبات صحة النقل للامور المنقولة[4] من مثل قوله تعالى فى سورة الانبياء (ام اتخذوا من دونه الهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلى بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون)[5]

هذه هي القواعد الاساسية وهناك قواعد اخرى فى أدب البحث والمناظرة يرجع لها فى مواضعها .[6]

---

(١) الايه : ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين (النحل الآيه ١٢٥)

(٢) سورة العنكبوت الآيه ٤٦

(٣) سورة الانعام الآيه ١٠٨

(٤) هذان الاصلان هما المعروفان عند علماء البحث والمناظرة بالقاعدة التى تقول (ان كنت ناقلا فالصحة أو مدعيا فالدليل)

(٥) سورة الانبياء الآيه ٢٤

(٦) يراجع محمد محى الدين عبد الحميد رسالة الاداب / ومحمد الامين الشنقيطى ادب البحث والمناظرة / الدكتور زاهر عواض الالمعى : مناهج الجدل فى القرآن الكريم (رسالة دكتوراه من الازهر) ص ٤٣١ ومابعدها .

ولقد كانت دعوة الرسل جميعا ، تتسم بامرين متلازمين :

الأمر الأول : التذكير بالمعرفة الفطرية من مثل قوله تعالى (لعلهم يتذكرون)[1] (فذكر انما أنت مذكر)[2] و (ان هذه تذكرة)[3] و (فهل من مدكر)[4]

الأمر الثاني : الدعوة للتوحيد ، حيث يجادل القرآن الدهريين والماديين والمشركين ففي رده على الدهريين يقول القرآن (وقالوا ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون . واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ماكان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بأبائنا ان كنتم صادقين ، قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون)[5]

والمراد بالدهر في الايه الزمن المعروف ولا يصح حمله هنا على انه من أسماء الله تعالى لفساد المعنى لان الدهريين غير موحدين ومقالتهم هذه تعني أن مرادهم بالحياة نشأتهم في الحياة الدنيا ، والمراد بالموت الفناء بعد هذه الحياة وأن هذه الحياة سببها النشوء الطبيعي والتوالد المادي وان الدهر سيفنيهم تلقائيا عند انتهاء حياتهم .

واما ورود الآية على هذا النسق (نموت ونحيا) فذلك لمطلق الجمع لا

---

(١) البقرة آيه ٢٢١ وابراهيم ٢٥ وكذلك في عدة مواضع بالقرآن

(٢) سورة الغاشية الآيه ٢١

(٣) سورة الانسان الآية ٢٩

(٤) سورة القمر الايه ٩٥ وفي سور اخرى

(٥) سورة الجاثية الآيتان من ٢٤ الى ٢٦

الترتيب لان الواو لا تقتضيه على الراجح من أقوال اهل اللغة .

ولقد رد عليهم القرآن بنفى العلم عنهم فقال تعالى (ومالهم بذلك من علم) وهذا النفى يفيد العموم لأنه نكرة فى سياق النفى فيعم وبذلك ابطل ادعاءهم المبنى على الظن (وان الظن لا يغنى من الحق شيئا)[1] وقد مضت آيات سورة الجاثية الى آخرها ترد على دعوى الدهريين هذه وتهددهم بتصوير مشاهد القيامة المفزعة وأنهم مخلدون فى النار . قال الشهرستانى (فاستدل عليهم (يعنى الدهريين) بضرورات فكرية وآيات فطرية فى كم آية وكم سورة)[2] .

وفى جداله لاحد الجبابرة الملحدين النمرود بن كنعان يحكى لنا القرآن الكريم محاجاته لابراهيم عليه السلام فى ربه فقال تعالى : (ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن اتاه الله الملك ، اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال انا أحيي وأميت قال ابراهيم : فان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين)[3]

معارضة النمرود هذه فاسدة ، ومع ذلك انتقل ابراهيم عليه السلام الى دليل آخر أظهر افحم مصادمة النمرود هذه ، ولقطع حجته الباهته ، فحقيقة الاحياء والاماتة غير التى ذهب اليها هذا الخصم العنيد، قال ناصح الدين

---

(١) سورة النجم الآيه ٢٨

(٢) الشهرستانى فى الملل والنحل جـ ٢ ص ٣٣٥

(٣) سورة البقرة الآيه ٢٥٨

ابن الحنبلي[1] فلا يخلو حال النمرود اما ان يكون ما فهم حقيقة الاحياء والاماتة أو فهم الا انه قصد المصادمة والمباهته ، وكلاهما يوجب العدول الى دليل يفضح معارضته ويقطع حجاجه ، ومتى كان الخصم بهذه الصفة جاز لخصمه الانتقال الى دليل آخر اقرب الى الفهم وافلح للحجة .[2]

ومن جدال القرآن في توحيد الألوهية قوله تعالى : (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون)[3]

فرغم الشبهة[4] التي تثار على هذا الدليل أو الذي يكون في معناه[5] فان من

---

(١) ناصح الدين ابن الحنبلي : هو عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب بن عبد الواحد الانصاري الخزرجي المعروف بابن الحنبلي اشتهر بلقب ناصح الدين ولد في دمشق سنة ٥٥٤ هـ وتوفي سنة ٦٣٤ هـ

(٢) ابن الحنبلي : استخراج الجدل من القرآن الكريم (انظر مجلة البحث العلمي الصادرة عن مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى ص ٣٣٠ تحقيق د / محمد الحبيب الهيلة .

(٣) سورة المؤمنون الآيه ٩١

(٤) هناك شبهتان يذكرهما علماء الكلام ويجيبون عليهما :
الاولى : أنه يجوز أن يكون اثنان تتفق ارادتهما فلا يقع خلاف ولا فساد .
الثانية : أنه لما وجد الشيء وضده ، كالحياة والموت ، والنور والظلمة ، والخير والشر ، الى غير ذلك جاز أن تنسب هذه الامور الى مدبرين اثنين (ورد الشبهة الاولى أنه في حالة اتفاقهما ان فعلا معا فسيجتمع مؤثران على أثر واحد وهذا باطل باتفاق وفي الحالة الثانية ان وجد الشر انما هو أمر نسبي ، وأما في الحقيقة فما من شيء يتصور أنه شر الا وهو خير بالنسبة للنظام العام وعلى ذلك فالخالق لكل شيء هو الاله .

(٥) من مثل قوله تعالى (لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون) الانبياء الآيه ٢٢ وقوله (قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذن لابتغوا الى ذي العرش سبيلا (سورة الانبياء الآية ٤٢) .

المسلم به أنه يستحيل وجود اثنين متحدين ارادة متكافئين علما بالاضافة الى أن كل واحد منهما لا يستطيع تنفيذ مراده نظرا لتصادم المرادين . واذا كان الامر كذلك فلا ينبغى ان يتصف اى واحد منهما بالالوهية .

اما لو حصل مراد احدهما دون الاخر ، فالذى حصل مراده هو الاله الحق والاخر لا يصلح للالوهية ولا شك ، وأما فى حالة تنازع ارادتهما فحينذاك ينشأ فساد الكون وخراب العالم ، وهذا عكس الواقع ، حيث أن الكون بما فيه يجرى طبق أحكم نظام وأدقه .

وقد جادل الأنبياء أقوامهم فهذا نوح عليه السلام أبو الانسانية الثانية وأول الرسل دعوة الى توحيد الالوهية ، بعثه الله تعالى حين حدث الشرك أول مرة فى بنى آدم قد قابله قومه بالنقاش والحجاج فلم يزده ذلك الا دفاعا عن الحق وبيانه ويعرض لنا القرآن الكريم هذه المجادلات فيقول سبحانه (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين أن لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم ، فقال الملأ الذين كفروا من قومه ، ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ، قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها ، وأنتم لها كارهون ، وياقوم لا أسألكم عليه مالا ان اجرى الا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون . ويا قوم من ينصرنى من الله ان طردتهم أفلا تذكرون ، ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا أقول انى ملك ولا أقول للذين تزدرى اعينكم

لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمن الظالمين)[1] وعند هذا الحد بلغ بقومه السأم وضجوا حتى (قالوا يانوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين . قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين)[2]

ورغم ان هذه المجادلات أبطلت كل شبهات قوم نوح عليه السلام بالحجة والبرهان الا أن بصائرهم عميت عن الاذعان للحق ونفوسهم استحكمها العناد ولم يعد ينفع معهم الا أن يستجيب الله عز وجل لدعاء نبيه الذى يقول عنه القرآن الكريم (فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر)[3]

وهكذا شاء الله تعالى أن يهلك هؤلاء المعاندين بمعجزة الطوفان بعد ان نفد المعترك الفكرى ، وبعد الجرس الشديد الذى اظهره نوح عليه الصلاة والسلام من اجل هداية قومه قال تعالى (ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر ، وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ، وحملناه على ذات الواح ودسر ، تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر ، ولقد تركناها آية فهل من مدكر ، فكيف كان عذابى ونذر)[4]

ويعرض القرآن الكريم لجدال كل نبى مع قومه ممن تحدث عنه فيذكر جدال هود مع قومه (عاد)[5] وجدال صالح مع قومه ثمود[6] وجدال ابراهيم مع قومه

---

(١) سورة هود الايات (من ٢٥ الى ٣١)
(٢) نفس السورة الآيتان ٣٢ - ٣٣
(٣) سورة القمر الآيه ١٠
(٤) سورة القمر الآيات (من ١١ الى ١٦)
(٥) و (٦) ابن الحنبلى استخراج الجدل من القرآن الكريم : مجلة البحث العلمى ص ٣٣٠

حيث حاج قومه بالقول والعمل[1] وكان موضوع هذه المجادلات كلها افراد الله تعالى بالعبادة وغايتها تذكير مشركي العرب واليهود والنصارى وغيرهم من الامم اللاحقة باخبار من مضى من الامم الاولى بقصد تحذيرهم عواقب كفرهم واستمرارهم على الشرك بالله تعالى .

وقد تدرج القرآن الكريم في مخاطبته للناس ، فجادل مشركي العرب باللين والحكمة والارشاد الى الصواب ، وكان مما جادلهم به في اثبات وحدانية الله في الخلق والتدبير والعبادة قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون . فذالكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون . كذلك حقت كلمات ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون ، قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي - الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون . وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون)[2]

و في بيان سخف الوثنية ، وفساد عقول عبدة الاصنام لرضائهم باتخاذ من لا

---

(١) حيث حطم الاصنام و (قال فعله كبيرهم هذا فأسألوهم ان كانوا ينطقون . فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون) " الانبياء ٦٣ - ٦٤ "

(٢) سورة يونس الآيات من (٣١ الى ٣٦)

يعقل ولا يسمع ولا يبصر الهة يعبدونها من دون الله عزوجل (ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها ، أم لهم أذان يسمعون بها قل ادعو شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون) [1] - قال الفخر الرازى : (ان المقصود من هذه الاية : بيان ان الانسان أفضل وأكمل حالا من الصنم لأن الانسان له رجل ماشية ويد باطشة ، وأعين باصرة ، وأذن سامعة ، والصنم رجله غير ماشية ويده غير باطشة ، وعينه غير باصرة ، وأذنه غير سامعة ، واذا كان كذلك كان الانسان أفضل وأكمل حالا من الصنم واشتغال الأفضل الأكمل بعبادة الاخس الادون جهل . [2]

وجادل كذلك اليهود والنصارى باعتبارهم غير مؤمنين بالله تعالى الايمان الحق [3]

---

(١) سورة الاعراف الاية ١٩٥

(٢) الفخر الرازى التفسير الكبير جـ ١٥ ص ٩٣

(٣) امر الله عزوجل المؤمنين بقتال اليهود والنصارى بقوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) سورة التوبة آية ٢٩ ففى هذه الآية الكريمة تحديد للاوصاف التى بسببها تتوجب مقاتلة اليهود والنصارى وهى :

أولا : عدم الايمان بالله وأكثر اليهود والنصارى مشبهة لأنهم يتبعون كتبا محرفة فاليهود يصفون الله باوصاف بشرية كالتعب والفيرة وبالا نجلعب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، والنصارى يقولون بالاب والابن وروح القدس والحلول والاتحاد .

ثانيا : لا يؤمنون باليوم الآخر لأنهم ينكرون البعث الجسمانى .

ثالثا : لا يحرمون ما حرم الله ورسوله سواء ما حرمه القرآن والسنة النبوية الشريفة أو ما حرم فى التوراة والأنجيل الصحيحين لا المحرفين .

رابعا : لا يدينون دين الحق أى لا يعتقدون فى الله الذى هو دين الحق .

وقد ميزت هذه الآية أهل الكتاب عن المشركين لأن الواجب فى المشركين القتال أو الاسلام والواجب فى أهل الكتاب القتال أو الاسلام أو الجزية (يراجع الفخر الرازى التفسير الكبير جـ ١٦ ص ٣٠)

فقال تعالى (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) (١)

فقد بينت هذه الآية الكريمة بأنه لا فرق بين من يعبد الصنم وبين من يعبد المسيح وغيره لأن الشرك في كلتا الصورتين هو اتخاذ معبود مع الله تعالى ، قال الرازي في بيان كفر النصارى : (لو تأملنا لعلمنا أن كفر عابد الوثن أخف من كفر النصارى لان عابد الوثن لا يقول ان هذا الوثن خالق العالم واله العالم بل يجريه مجرى الشيء الذي يتوسل به الى طاعة الله ، أما النصارى فانهم يثبتون الحلول والاتحاد وذلك كفر قبيح جدا . (٢)

---

(١) سورة التوبة الآية (٣٠ و ٣١)

(٢) الفخر الرازي التفسير الكبير جـ ١٦ ص ٣٢

٢ ـ الحض على التفكر :

ومن أسلوب القرآن المقنع ، أنه يدفع الفكر البشرى الى الاجتهاد وأعمال الرأى فى الظواهر الكونية كى يتعقلها ، ويقيمها ومن ثمة ينتفع بها ، وهـذا الانتفاع على ضربين :

الأول : أنه يستدل بها على الله تعالى ، وعلى صفات كماله وعظمته ، وعلى حقيقة ما جاء به رسله عليهم الصلاة والسلام من منهج فى الحياة ، ومن بعث وجزاء فى الآخرة .

والثانى : أنه يستخرج من هذه الظواهر المنافع المتنوعة ، فان الله سخرها للبشرية وجعلها رهينة علومهم وأعمالهم ، ومن هنا كانت دعوة القرآن صريحة فى الحض على التفكر فى آياته .

قال ابن القيم : " الرب تعالى يدعو عباده فى القرآن الى معرفته من طريقين ، أحدهما النظر فى مفعولاته ، والثانى التفكر فى آياته وتدبرها ، فتلك آياته المشهودة وهذه آياته المسموعة المعقولة "(١) واستشهد بقوله تعالى : (ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون)(٢) .

---

(١) ابن قيم الجوزيه : الفوائد ص ٢٠

(٢) سورة البقرة الآية ١٦٤

وقوله : (ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولـــى الالباب)[1]

وقال : " وهو كثير فى القرآن[2] يقصد بذلك الحض على النظر فى آياتـــه المشهودة .

واما تدبر الايات القرآنية الكريمة ، فقد مثل لها بقوله تعالى : (أفلا يتدبرون القرآن)[3] وقوله (أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين)[4]

وقوله : (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب)[5]

وقال " وهو كثير أيضا "[6]

وهذا يظهر بوضوح فى قوله تعالى : (سنريهم آياتنا فى الافاق وفـــى أنفسهم حتى تبين لهم أنه الحق)[7] أى ان القرآن حق ، فقد أخبر سبحانه

---

(١) سورة آل عمران الايه ١٩٠

(٢) المصدر السابق ص ٢٠ وسيأتى بحث ذلك فى آيات الآفاق والانفس .

(٣) سورة النساء الايه ٨٢ وتتمتها " ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيـه اختلافا كثيرا " وكذلك فى سورة محمد الايه ٢٤ وتتمتها " أم على قلـــوب اقفالها ....."

(٤) سورة المؤمنون الايه ٦٨

(٥) سورة ص الايه ٢٩

(٦) نفس المصدر ص ٢٠

(٧) سورة فصلت الايه ٥٣ وتتمتها " أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد" قال ابن القيم فى تفسير ذلك : الدليل بنفسه على نفسه - وقال : فالاشياء عرفت به فى الحقيقة وان كان عرف بها فى النظر والاستدلال بافعالـــه واحكامه عليه - الفوائد ص ٢١

وتعالى أنه سيريهم من آياته المشهودة ما يبين لهم أن آياته المتلوة حق ، وهذا في حد ذاته تدبر .

ثم ان من يتدبر بيان القرآن الكريم للكون وللنفس البشرية يجده كما قال دراز [1] " يتخطى الادراك العلمي ويسمو عليه لأنه يوافق الفكرة العلمية ويحتويها بل ويتجاوزها الى ما لا نهاية " [2] أي أن نظرة القرآن لا تتوقف عند ظواهر الطبيعة مهما كانت عظمتها بل تتعداها الى السلطان الاعظم المتصرف في ملكه بمشيئته وحكمته ، قال تعالى موجها عقول الناس الى التفكر فيما هو خارج عن حدود امكانياتهم واختصاصاتهم ، وأن ذلك يدل على ألوهيته ووحدانيته عز وجل دون سواه (ان الله يمسك السماوات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا) [3]

فهو وحده القادر على منع كل من الارض والسماء من الخروج من مكانهما

---

(١) هو الدكتور محمد عبدالله دراز (١٨٩٤ - ١٩٥٨) مفكر مصري من ابناء الازهر الشريف ، له مجموعة قيمة من الكتب والبحوث منها : الدين مدخل الى القرآن الكريم ، النبأ العظيم ، الأخلاق في القرآن .

(٢) مدخل الى القرآن : ص ٨٠ ط دار القلم الكويت ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م

(٣) سورة فصلت الآيه ٤١

اما اذا زالتا عن مكانهما باذنه فلا أحد بعده يمسكهما ويمنعهما عن ذلك ، فكل شيء متوقف على ارادة الله خالق هذا الكون ومدبره ، ولولا رحمته سبحانه بعدم التعجيل بالعقوبة للعاصين لأذهب الجنس البشرى كله ولجاء الى الارض بمخلوقات أخرى (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد)[1]

وقال تعالى فى معرض تمثيل الحياة الدنيا بزخرفة الارض وزينتها (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون)[2]

فهذا مثل بليغ شبه فيه زينة الحياة ونعيمها وافتتان الناس بهما وسرعة زوالهما بحال الارض التى يسوق الله اليها المطر فتنبت مختلف النبات الذى يسر الناظرين ببهجته فلا تلبث أن تنزل به جائحة فتحصده قبيل الانتفاع به ، ومثل هذا المثل فى جلائه وبيانه لحقيقة حال الحياة الدنيا ، وغرور الناس فيها وسرعة زوالها ، يفصل الله عز وجل آيات فى حقائق توحيد الالوهية ، وأصول التشريع وكل ما فيه صلاح الناس من عقيدة وعمل ، وما على الناس الا أن يستعملوا عقولهم ليزنوا أعمالهم ، ويتبينوا موضع ربحهم فيسرعون له ، وموضع خسارتهم فيحيدون عنه .

---

(١) سورة فاطر الايه ١٦

(٢) سورة يونس الايه ٢٤

وهكذا يبين الله الايات لعل الناس يتفكرون فيقول تعالى : (هل يستوى الاعمى والبصير أفلا تتفكرون) [١] ويقول (وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسى وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لأيات لقوم يتفكرون) [٢] ويقول سبحانه (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) [٣] ويقول (الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان فى ذلك لأيات لقوم يتفكرون) [٤] وقوله (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) [٥]

لقد أخبر الله سبحانه وتعالى بهذه الآية عن تعظيم شأن القرآن اذ ينبغى أن تخشع له القلوب لما فيه من الوعد الحق والوعيد الأكيد ، فلو فهم الجبل على قساوته وصلابته هذا القرآن وتدبر ما فيه لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل ، فكيف اذن يليق بالبشر أن لا تلين قلوبهم ، وتخشع و تتصدع من خشية الله ، وقد فهمت عن الله أمره ، وتدبرت كتابه اللهم الا أن يكونوا لا يريدون التفكر ابدا (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى) [٦] لكان هذا القرآن الكريم ولكن مشيئة الله سبحانه اذ لو شاء لهدى الناس جميعا .

---

(١) سورة الانعام الايه ٥٠
(٢) سورة الرعد الايه ٣
(٣) سورة النحل الايه ٤٤
(٤) سورة الزمر الايه ٤٢
(٥) سورة الحشر الايه ٢١
(٦) سورة الرعد الايه ٣١

روعة الكون :

لقد أبدع الله تعالى أنواع المخلوقات وطبائعها ، وأنار في الأشياء أثار كماله ، وأظهر آيات جلاله ، حتى بدت آثار خلقه واضحة في كل شيء ، لائحة لكل شيء .

ولطائف بدائع مخلوقاته دالة على كمالاته سبحانه وتعالى من العلم الكامل والحكمة البالغة ، والقدرة التامة ، والارادة النافذة والرحمة الواسعة .

ومعرفة الله تعالى انما تتصور بمعرفة مخلوقاته ومن مخلوقاته هذا الجمال الرائع في الكون . فهذا الكون بضخامته الهائلة وبدقته المعجزة أعظم ايقاع يوقع على أوتار القلب البشرى فالشمس والقمر بحسبان ، وملايين الملايين من النجوم في الكون لا يلتقى منها اثنان ، والعصافير الجميلة تزقزق في كل مكان ، وأزهار دقيقة الألوان . وكائنات كبيرة وأخرى دقيقة لا تكاد ترى بالعين ، وهى مع ذلك حيه مكتملة تسبح للرحمان ، (ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون ، فالق الأصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم ، وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر ، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ، وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ، قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون)[1] .

---

(١) سورة الأنعام الآيات (من ٩٥ الى ٩٨)

وتمضى آيات الذكر الحكيم هكذا تدعو الناس الى عدم الاقتصار على النظر الظاهر لخصائص المخلوقات ، وتجاوزها الى ادراك ما هو أهدى الى سبيل الرشاد ، حيث يسمو العقل فوق الجوانب المادية لهذه المخلوقات وكيفية الانتفاع بها الى ادراك أرقى هو دلالتها على وجود الله تعالى ، ويستجلى القلب مشاهد الكون الرائعة ، حيث تستبغ الحياة بصور أخاذة لحدائق تطفو بأنواع شتى من الثمار والأزهار المختلفة الألوان والروائح ، يقول تعالى مبينا السمة البارزة لهذه الناحية الجمالية وموجها الأنظار الى التملى الواعى بهذا الاتقان الباهر : (وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون)(١) وقوله : (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون . سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ، وآية لهم الليل نسلخ من النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون)(٢)

---

(١) سورة الأنعام الآيه ٩٩

(٢) سورة يس الآيات (٣٣ - ٤٠)

فهذا التوازن ، الذى يجعل الكمال الوظيفى فى كل الكائنات ، يثير فى الانسان البهجة والنشاط ، ويساعد على فهم جمال الكون الشبيه بتدريس صامت لقدرة الله الفائقة .

ان الانسان ليخلق الى آفاق هذا الوجود الأخاذ وهو يتلو فى كتاب الله آيات فى غاية الروعة عن مشاهد كونية تتلألأ فى بهاء لتدل بوضوح على كمال خالقها ووجوب عبادته وحده دون سواه (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور)[1] .

فى الآفاق :

لقد أتى القرآن العظيم بطريقة فذة تهز الحس البشرى وتدفع به الى أعماق العقل لتلجأه الى التفكر فى قدرة الله النافذة كقوله تعالى : (ان فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب)[2] وقوله سبحانه (إن فى السماوات والأرض لآيات للمؤمنين وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون)[3]

---

(١) سورة فاطر الآيتان (٢٧ - ٢٨)
(٢) سورة آل عمران الآية ١٩٠
(٣) سورة الجاثية الآيات (٣ - ٥)

وقوله تعالى مخبرا أنه لابد أن يُري المشركين من آياته المشهودة ما يبين لهم أن آياته المتلوة حق (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد)(١)

وقد فسرت هذه الآية بمعنيين :

المعنى الأول : أن المراد بآيات الآفاق(٢) الآيات الفلكية والكوكبية وآيات الليل والنهار ، وآيات الأضواء والظلال والظلمات والمراد بآيات أنفسهم الدلائل المأخوذة من كيفية تكون الأجنة فى ظلمات الأرحام وحدوث الأعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كما قال تعالى : (وفى أنفسكم أفلاتبصرون)(٣)

---

(١) سورة فصلت الآية ٥٣ زيادة على كون الآيات المشهودة ستبين للمشركين صحة القرآن العظيم فان شهادته سبحانه على صحة ماأخبر به الرسول ﷺ كافية وذلك بما أقام من الدلائل والبراهين على صدق رسوله صلى الله عليه وسلم فآياته شاهدة بصدقه وهو شاهد بصدق رسوله بآياته ، فهو الشاهد والمشهود له وهو الدليل والمدلول عليه فهو الدليل بنفسه على نفسه .. ولهذا قالت الرسل (أفى الله شك) فهو أعرف من كل معروف وأبين من كل دليل فالأشياء عرفت به فى الحقيقة وان كان عرف بها فى النظر والاستدلال بأفعاله وأحكامه عليه - ابن قيم الجوزية : الفوائد ص ٢١

(٢) الواحد أُفُقٌ وأُفْقٌ " الاصفهانى : المفردات كتاب الألف، والآفاق جمع أفق بضمتين وهى الناحية من الأرض والسماء"المصباح المنير : الألف مع الفاء وما يثلثهما"، وفى القرآن (وهو بالأفق الأعلى) " النجم ٧ " أى أفق السماء الذى هو أعلى من الأرض ، (ولقد رآه بالافق المبين) " التكوير ٢٣ " أى الأفق البين الذى هو أعلى مايلوح للبصر .

(٣) الرازى : التفسير الكبير جـ ٢٧ ص ١٣٩

المعنى الثانى : أن المراد بآيات الآفاق الفتوحات وظهور الاسلام على الأقاليم وسائر الأديان ، وبآيات أنفسهم وقعة بدر وفتح مكة (١) .

وقد رجح الفخر الرازى المعنى الأول وفسر الآية بقوله : يعنى نريهم من هذه الدلائل مرة بعد أخرى الى أن تزول الشبهات عن قلوبهم ويحصل فيها الجزم والقطع بوجود الاله القادر الحكيم العليم المنزه عن المثل والضد وقال : فان قيل هذا الوجه ضعيف لأن قوله تعالى (سنريهم) يقتضى أنه تعالى ما أطلعهم على تلك الآيات الى الآن وسيطلعهم عليها بعد ذلك والآيات الموجودة فى العالم الأعلى والأسفل قد كان الله أطلعهم عليها قبل ذلك فثبت أنه تعذر حمل هذا اللفظ على هذا الوجه .

قلنا ان القوم وان كانوا قد رأوا هذه الأشياء الا ان العجائب التى أودعها الله تعالى فى هذه الأشياء مما لا نهاية لها فهو تعالى يطلعهم على تلك العجائب زمانا فزمانا ومثاله كل أحد رأى بعينه بنية الانسان وشاهدها الا أن العجائب التى أبدعها الله في تركيب هذا البدن كثيرة وأكثر الناس لا يعرفونها ، والذى وقف على شىء منها فكلما ازداد وقوفا على تلك العجائب والغرائب فصح بهذا الطريق قوله (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) (٢)

---

(١) ابن كثير : التفسير العظيم جـ ٤ ص ٢٤٧ وص ٤٧٩ - وابن قتيبه : تفسير غريب القرآن ص ٣٩٠

(٢) الفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ٢٧ ص ١٣٩ وما بعدها .

ومع استحسان رأى الرازى وقبوله لما للاعجاز العلمى فى القرآن من أهمية فى اقناع الخارجين عن الدين فانه يظهر لى أنه يمكن التوفيق بين الاتجاهين فى تفسير هذه الآية وذلك بالتوسع فى مفهوم المعنى الأول أى بعدم قصره على اطلاعهم على آيات الآفاق والأنفس من ناحية الخصائص الكونية أو الاحيائية فحسب ، وانما على اطلاعهم على حوادث التاريخ بما فيه أحوال المسلمين وغيرهم من الأمم الأخرى[1] وعلى العلم بالله تعالى والايمان به حتى يندرج بذلك تحته المعنى الثانى ، الذى يخصص آيات الآفاق بالفتوحات وظهور الاسلام ، ويخصص آيات أنفسهم بوقعة بدر وفتح مكة .

وهذا هو شأن النظم القرآنى المعجز ، عندما يتعرض لقضية فان نصه يسع كل حقيقة باهرة ، فعباراته تتفرع كما تتفرع البذرة التى تعطى جذرا أو ساقا ثم اغصانا ثم أوراقا ثم براعم ثم ازهارا ثم ثمارا ، وهى فى كل مرة لا تخرج عن كونها شجرة .

ومن بين الدلائل التى يمكن أن يستدل بها على وجوده سبحانه وعلى توحيده قوله تعالى : (ان فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل

---

(١) مثل جثة فرعون التى نجاها الله لتكون آية للغافلين واكتشفت فى هذا العصر فكانت آية على صدق القرآن الكريم ودليلا على وجوده تعالى (انظر : موريس بوكلى : دراسة الكتب المقدسة من ص ٢٦٩ الى ٢٧١)

والنهار ، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) (١)

لقد ذكرت هذه الآية ثمانية أنواع من الدلائل هى :

١ ـ أحوال الكواكب

٢ ـ أحوال الأرض

٣ ـ اختلاف الليل والنهار

٤ ـ الفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس

٥ ـ ما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها

٦ ـ وبث فيها من كل دابة

٧ ـ تصريف الرياح

٨ ـ السحاب المسخر بين السماء والأرض

وسنحاول بحث الدلائل الأربعة الأول فى مبحث الآفاق هذا وأما نزول الماء من السماء وتصريف الرياح والسحب المسخرة بين السماء والأرض فسنبحث ان شاء الله فى منهج العلم فى اثبات وجود الله وأما دليل بث الدواب فى الأرض فسنخص به الانسان كمثال على أحدها فى مبحث " الأنفس " الآتى (٢)

---

(١) سورة البقرة الآية ١٦٤

(٢) هذا التوزيع فى بحث هذه الأدلة مراعى فيه وحدة الموضوع من حيث انضوائه تحت عنوان المبحث .

السـمـاء :

قال تعالى : (بديع[1] السموات والأرض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون)[2]

السماء فى اللسان العربى كل ما علا الانسان ، وفى العلم سماء الشمس والقمر والكواكب والنجوم ، وحين يطرق لفظ السماء الآذان يتصور الذهن القبة الزرقاء التى نراها فوق رؤوسنا اثناء النهار " ولا وجود لها كجسم مادى لأنها مجرد ظاهرة ضوئية تحدث فى جو الأرض بسبب تناثر أو تشتت أشعة الشمس الزرقاء فيه "[3]

فهذا اللون الأزرق أشد الألوان موافقة للبصر وتقوية له ، قال الرازى : " حتى ان الأطباء يأمرون من أصابه وجع العين بالنظر الى الزرقة فأنظر كيف جعل الله تعالى أديم السماء ملونا بهذا اللون الأزرق

---

(١) البديع والمبدع بمعنى واحد غير أن فى لفظ (بديع) مبالغة الا أنها فى الآية تدل على استحقاق الصفة لمن شأنه الابداع وهو الله تعالى والابداع الانشاء ونقيض الابداع الاختراع على مثال (الرازى : التفسير جـ ٤ ص ٥) .

(٢) سورة البقرة الآية ١١٧

(٣) من المعروف علميا أن جزئيات الغاز الذى يتكون منه جو الأرض وكذلك الجسيمات السائلة أو الصلبة الصغيرة العالقة فيه كلها تعمل على رد أشعة الشمس فى اتجاه بالتساوى بالنسبة الى كافة موجات الضوء التى ترسلها الشمس أى الوان الطيف السبعة المعروفة ، وانما نجدها تكتمل بالنسبة الى أصغر الموجات طولا وهى الأشعة الزرقاء د / محمد جمال الدين الفندى : رسالة العلم والايمان ص ٤٣ وما بعدها .

لتنتفع به الأبصار الناظرة اليها[١] .

ومع تعدد معاني السماء ، نجدها في القرآن تشمل هذه المعاني كلها ، فهي سماء الكواكب والنجوم (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين)[٢] وسماء الشمس والقمر ، قال تعالى (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا)[٣] وهي سماء السحاب الذي ينزل منه المطر (والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها)[٤]

ولقد سمى الله تعالى السماوات باسماء تدل على عظيم شأنها ، فهي سماء وهي سقف محفوظ[٥] وهي سبع طباق)[٦] وهي سبع شداد[٧]

وأما مبدأ خلق السماء فنجده في آيتين :

---

(١) الفخر الرازي : التفسير الكبير جـ ٢ ص ١٠٦
(٢) سورة الملك الآيه ٥
(٣) سورة نوح الآيه ١٦
(٤) سورة النحل الآيه ٦٥
(٥) سورة الانبياء الآيه ٣٢
(٦) سورة الملك الآيه ٣
(٧) سورة النبأ الآيه ١٢

الأولى قوله تعالى : (أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي)[1]

لقد اختلف المفسرون في المراد بالرتق والفتق في هذه الآية على وجوه[2]، وأليقها بهذه الظاهرة كما يبدو ما ذهب اليه ابن كثير بقوله : " كانتا رتقا أي كان الجميع متصلا بعضه ببعض متلاصق متراكم بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر ففتق هذه من هذه "[3]

وهو كما يظهر تفسير للرتق ، الذي هو الالتصاق والملازمة الذي كان أول الأمر ، وتفسير للفتق ، الذي هو الانشقاق والمفارقة الذي حصل من بعد .[4]

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٣٠

(٢) أحداها : ان السماوات والأرض كانتا ملتصقتين ففتق الله بينهما .
الثاني : كانت السماوات مرتتقة فجعلت سبع سماوات وكذلك الارضون .
الثالث : أن السماوات كانت رتقا لا تمطر والأرض كانت رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات واختاره الطبري لأن بعده وجعلنا من الماء كل شيء حي
انظر الرازي : التفسير الكبير جـ ٢٢ ص ١٦٢ - ١٦٣ ، والماوردي أبو الحسن علي بن حبيب البصري (٣٦٤ - ٤٥٠) في التفسير المسمى : بالنكت والعيون جـ ٣ ص ٤٢

(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ ٣ ص ١٧٦ - ١٧٧

(٤) الرتق سد ، والفتق شق وهما ضدان قال عبد الرحمن بن حسان :
يهون عليهم اذا يغضبو ن سخط المداة وارغامها
ورتق الفتوق وفتق الرتو ق ونقض الأمور وابرامها
الماوردي : النكت والعيون جـ ٣ ص ٤٢

وأما كيفية حصول هذا الحادث الفلكى فتختلف[1] فيه النظريات العلمية بالرغم من اتفاقها على أن الكواكب السيارة بما فيها الأرض قد نشأت من الشمس وأن جميعها من أصل واحد أو أصول واحدة .[2]

والذى يهمنا ليس ترجيح تفسير من تفسير أو قبول نظرية ورفض أخرى وانما هو الاعتبار بالدقة المتناهية فى هندسة هذا الكون كدليل على وجود الله تعالى ووحدانيته .

فقد اكتشف علماء الفلك أن أبعاد الكواكب عن الشمس متساوية وأن الشمس هى التى تنظم حركاتها جميعا حولها ، حيث تجذبها بقوة هائلة لتحافظ على سير كل منها فى مداره لا يحيد عنه الا أن يشاء الله .[3]

---

(١) تختلف هذه النظريات من نظرية التصادم التى جاءت فى موسوعة التاريخ الطبيعى للكونت دى بيفون الفرنسى التى انتهى من نشرها عام ١٧٨٩ م ، ونظرية الانكماش الشمسى التى يزعمها عما نويل كنت ، وتوسع فيها العالم الرياضى الفرنسى لابلاس ، وفى القرن المعاصر هناك من العلماء من يعدل فى نظرية الكونت دى بيفون ومنهم من يعدل من نظرية لابلاس والنظرية الراجحة اليوم هى نظرية الانفجارة الكبرى : THE Big Baug حيث تقول ان الأجرام السماوية كانت ملتصقة على شكل دخان وتكثف بفضل الجاذبية فارتفعت الحرارة أكثر فأكثر الى أن وقعت الانفجارة الكبرى : (الدكتور احمد زكى مع الله فى السماء ص ١٧١ - ١٧٤ والدكتور التركى : لله العلم ص ١١٨ - ١١٩)

(٢) و(٣) المرجعان السابقان : مع الله فى السماء ص ٥٠ و ص ١٧٠ الى ١٧٤ لله العلم من ص ١١٨ الى ١٢٠

والثانية قوله : (ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض إئتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين)[١]

أى عمد سبحانه الى خلقها وقصد الى تسويتها وهى بهيئة الدخان ، ويقول ابن كثير أن المراد بالدخان بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض[٢]

وعند العلماء هو حالة المادة الأولى التى تكون على شكل قسيمات وخاصة منها قسيمات الضوء الذى كان يملأ كل الفضاء[٣] ومهما يكن المقصود بالدخان فان تكون الأجرام السماوية حدث بعد الانفجار الذى يقول به العلماء المعاصرون ، حيث تبتعد القطع بعضها عن بعض فتضيع حرارتها وتبرد فمنها من يظل غازا ومنها ما يصبح مائعا ومنها ما يبرد كثيرا فيتحول صلبا .[٤]

والغرض من الآية هو تصوير أثر قدرته سبحانه فى هذه المقدورات وهو دليل كاف على وجوب عبادته سبحانه دون سواه .

---

(١) سورة فصلت الآية ١١

(٢) ابن كثير : التفسير جـ ٤ ص ٩٣

(٣) التركى : لله العلم ص ١١٩ ومن الذين ذكروا هذه الحالة القس اومتر البلجيكى سنة ١٩٣١ م وقاموف الامريكى سنة ١٩٤٥م .

(٤) المرجع السابق ص ١٢٠

والآيات المتعلقة بالسماء وظواهرها كثيرة في القرآن العظيم منها قوله تعالى : (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون) (١) .

وقوله : (ان الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا) (٢)

فالدهشة تأخذنا ونحن نتأمل منظر الكون البهيج بما حاز من اتقان بديع وبنيان عجيب ، فهو مرفوع بلا عمد ، ومرصع بالكواكب فى سقفه ومتماسك لا يختل ولا يضطرب الا أن يشاء الله ثم ان الكون لا يكف عن الامتداد والكبر قال تعالى : (والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون) (٣) وهذه ظاهرة عظيمة اكتشفها العلم الحديث من خلال دراسات طيف المجرات (٤) ، حيث تبين للعلماء أن" الانتقال المنهجى نحو اللون الأحمر من الطيف يجد له تعليلا فى تنحي المجرات كل عن الأخرى (٥) وهو ما جعل علماء الفلك ينتبهون الى أن المجرات تبتعد عنا باستمرار .

---

(١) سورة الرعد الآية ٢

(٢) سورة فاطر الآية ٤١

(٣) سورة الذاريات الآية ٤٧

(٤) المجرة عبارة عن سحابة هائلة يتجمع فيها الآلاف من النجوم وتعتبر عائلة مستقلة من النجوم وكل نجم من نجومها يتحرك مع أخوته فى مجرته بسرعة ثابتة منتظمة .

(٥) بوكاى : القرآن الكريم والتوراة والأنجيل والعلم ص ١٩٢

ثم ان النجوم التي تتراءى لنا تزين السماء بمصابيح تبدى في ظلمات البر والبحر (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون)[1]

الشمس والقمر :

ومن هذه النجوم الشمس التي جعلها الله آية النهار ، والقمر الذى جعله الله آية الليل ، قال تعالى : (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون)[2]

فاذا كانت الشمس قد خصت بضوء قاهر وكانت أقوى شيء في السماء ، وأصعبه رؤية ، وعند النظر اليها وهي في كبد السماء تعشى العين وتعمى فلا ترى منها شيئا ، والقمر قد خص بنور ضعيف ، ليس من ذاته وانما بما يعكسه عليه ضوء الشمس ، فهذا يدل على أن ذلك تم بتخصيص مخصص وايجاد موجد وتقدير مقدر .

قال الرازى : " فثبت ان اختصاص الشمس بذلك الضوء بجعل جاعل وأن اختصاص القمر بذلك النوع من النور بجعل جاعل فثبت بالدليل القاطع صحة قوله سبحانه وتعالى : (وهو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهو

---

(١) سورة الأنعام الآيه ٩٧

(٢) سورة يونس الآيتان ٥ - ٦

المطلـــوب)[١]

ولقد جعل الله تعالى الشمس سراجا وهاجا ، قال سبحانـــــه (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا)[٢] وقال أيضا (وجعلنا سراجا وهاجا)[٣]

فالشمس سراج وهاج ، أى كرة هائلة من غازات متقدة متوهجة[٤] كما يقول العلم المعاصر ، فهذه الشمس رغم خطورتها جعلها الله مصدر حياتنا ومحور نظامنا ، فهى تضىء بصفة مستمرة نصف الكرة الأرضية التى تقع أمامها على حين يظل النصف الآخر مظلما ، ولقد رأى رواد الفضـــاء الأمريكيون هذا وصوروه من مركباتهم الفضائية وخاصة على بعد بعيد عـــن الأرض .[٥]

وبدوران الأرض حول نفسها تظل اضاءة الشمس ثابتة ذلك أن المنطقة المضاءة منها وهى على شكل نصف كروى تؤدى دورتها حول الأرض فى مـــدة أربع وعشرين ساعة . وكذلك يتم النصف الآخر المظلم دورته فى نفس الوقـــت وهى نصف الرحلة .[٦]

---

(١) الفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ١٧ ص ٢٤

(٢) سورة الفرقان الآية ٦١

(٣) سورة النبأ الآية ١٣

(٤) د / أحمد زكى : مع الله فى السماء ص ١٧٧

(٥) كالتصوير الذى تم من على سطح القمر .

(٦) بوكاى : القرآن الكريم والتوراة والأنجيل والعلم ص ١٨٩

ولقد وصف القرآن هذه الدورة فقال تعالى : (خلق السماوات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ، وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار)[1]

وأما القمر فيعتبره القرآن تقويما لأهل الأرض يقول تعالى (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج)[2] فالأهلة جمع هلال وهو أول حال القمر حين يراه الناس ، والمواقيت جمع الميقات بمعنى الوقت .

والهلال ميقات الشهر ، وهو عبارة عن حركة القمر من نقطة معينة من فلكه الخاص به الى أن يعود الى تلك النقطة[3] ، وتتراوح مدة ذلك بين (٢٩) و (٣٠) يوما .

ويرى بعض العلماء أن الهلال أدق ساعة لأهل الأرض ، حيث تبين لهم أنه يعطى نسبة لا كسر فيها بين السنة واليوم خلافا للسنة الشمسية التى بها كسر وهو ٣٦٥ر٢٥ وصورة ذلك أن الدورة الكاملة للقمر حول الأرض تتم فى مدة تسمى السنة القمرية وفى نفس هذه المدة يأتى القمر حول محوره لفة واحدة كاملة أى أن السنة القمرية تساوى بالضبط دائما يوما قمريا .[4]

وللقمر منازل ذكرها سبحانه فى قوله تعالى : (والقمر قدرناه منازل

---

(١) سورة الزمر الآية ٥

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٩

(٣) الفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ٥ ص ١٢٢

(٤) التركى : لله العلم ص ١٥١

حتى عاد كالعرجون القديم)[1] فهذه المنازل مقسمة على البروج الاثني عشر الآتي ذكرها :

البروج :

وأما ثناؤه سبحانه وتعالى على نفسه بجعله البروج في السماء بقوله (تبارك الذي جعل في السماء بروجا)[2] فيدل على عظمة خلقه لهذا النظام ودقة سيره ، اذ البروج ، كما هو معلوم معروفة عند علماء الفلك قديما ، وهي النجوم الكبيرة والكواكب السيارة ، التي تسمى بالاثني عشر ، فبعض هذه البروج في النصف الشمالي من الكرة وبعضها في النصف الجنوبي . والأرض التي تدور حول الشمس يرى وراءها كوكبة تمثل منطقة البرج ، وهكذا كلما تدور الأرض تتغير المناطق والكوكبات .[3]

ولقد سميت كل واحدة من هذه الكوكبات باسم الصور التي كانت فيها ليكون لكل كوكب اسم يعرف به متى أشير اليه ولذا عرفت هذه البروج التي هي بمثابة منازل تسكنها الكوكبات السيارة ببروج :

١ ـ الحمل	٢ ـ الثور	٣ ـ التوأمان والجوزاء
٤ ـ السرطان	٥ ـ الأسد	٦ ـ العذراء
٧ ـ الميزان	٨ ـ العقرب	٩ ـ القوس

---

(١) سورة يس الآيه ٣٩

(٢) سورة الفرقان الآيه ٦١

(٣) عبد الحليم ملاعبة : الاهتداء بالنجوم عند المسلمين ص ٨٠ بتصرف

١٠- الجدى ١١ - الدلو ١٢ - الحوت (١)

فالشمس تسير فى كل برج منها شهرا واحدا والقمر يسير فى كل بـــرج منها يومين وثلثا ثم يستتر ليلتين فى كل شهر فلا ينزل خلالها بهذه البرج والشريط الكونى الدائرى يساوى عند علماء الفلك ٣٦٠ درجة مقسمة الى ١٢ قسما أو برجا اتساعه ٣٠ درجة لكل منها وذلك لمعرفة أوقات الليـــل والبرج الطالع فى كل وقت . (٢)

ومن آياته سبحانه وتعالى ،سلخ النهار من الليل ، قال تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون) (٣) وقولـه (ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السماوات والأرض لآيات لقـــوم يتقون) (٤) . ذكر فى اختلاف الليل تفسيران :

الأول : تعاقب الليل والنهار فى المجىء . (٥)

والثانى : اختلاف الليل والنهار فى الطول والقصر والنور والظلمة والزيـادة والنقصان . (٦)

---

(١) زكريا بن محمد بن محمود القزوينى : عجائب المخلوقات ص ٢٣ وما بعدهـا ،(بتصرف) .

(٢) المصدران السابقان نفس الصفحات بتصرف .

(٣) سورة يس الآيه ٣٧

(٤) سورة يونس الآية ٦

(٥) يقال فلان يختلف الى فلان اذا كان يذهب اليه ويجىء من عنـده فذهابه يخلف مجيئه ومجيئه يخلف ذهابه وقد فسر بهذا قولـــه تعالى (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه) الفرقان (٦٢)

(٦) قال الكسائى يقال لكل شيئين اختلفا هما خلفا .

وزاد الرازى تفسيرا ثالثا وهو أن الليل والنهار كما يختلفان بالطول والقصر فى الأزمنة ، فهما يختلفان بالأمكنة .. فكل ساعة عينتها فتلك الساعة فى موضع من الأرض صبح وفى موضع آخر ظهر وفى موضع ثالث عصر ، وفى رابع مغرب وفى خامس عشاء وهلم جرا .(١)

والظاهر أن الآية محتوية لكل هذه الأمور وتدل على وجود الخالق ووجوب عبادته من وجوه كما يقول الرازى منها :

أن اختلاف الليل والنهار مرتبط بحركات الشمس وهى من الآيات العظام على توحيده سبحانه وتعالى .

أن ما يحصل بسبب طول الأيام تارة وطول الليالى تارة أخرى من اختلاف الفصول : وهى الربيع والصيف والخريف والشتاء من الآيات العظام .

أن انتظام أحوال العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة فى الأيام وطلب النوم والراحة فى الليالى من الآيات العظام .

ان انشاق ظلمة الليل وظهور الصبح المستطيل فيه من الآيات العظام وهو كأنه جدول ماء صاف يسيل فى بحر كدر ، بحيث لا يتكدر الصافى بالكدر ولا الكدر بالصافى وهو المراد بقوله (فالق الأصباح وجعل الليل سكنا) .(٢)

---

(١) الفخر الرازى : التفسير جـ ٤ ص ١٩٣ وما بعدها .
(٢) سورة الأنعام الآية ٩٦

أن تقدير الليل والنهار بالمقدار المعتدل الموافق للمصالح من الآيات العظام .[1] و الى غير ذلك من الوجوه .

أمنشا الأرض :

ويقول سبحانه عن الأرض (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون)[2]

فرغم أن الأرض مجموعة قطع متلاصقة الا أنها مختلفة في الطبيعة والماهية وهي مع تجاورها فبعضها تكون سبخية ، وبعضها رخوة وبعضها صلبة ، وبعضها منبتة ، وبعضها حجرية أو رملية وبعضها يكون طينا لزجا . ومع أن تأثير الشمس في تلك القطع على السوية فان اختلافها في صفاتها هذا يدل على أنه بتقدير العليم القدير .

ثم ان القطعة الواحدة من الأرض تسقى بما واحد ، ويكون تأثير الشمس فيها متساويا الا أن ما يخرج منها من ثمر يجيء مختلف في الطعم واللون والطبيعة والخاصية وهذا يدل دلالة قطعية على أن كل هذا بتدبير الفاعل المختار لا بسبب الاتصالات الفلكية .[3]

---

(١) الفخر الرازى : التفسير جـ ٤ ص ١٦٥ وما بعدها .

(٢) سورة الرعد الآية ٤

(٣) الفخر الرازى جـ ١٩ ص ٦٥

ثم ان الجبال يستدل بها على القادر الحكيم من وجوه : (١)

الأول : أن طبيعة الأرض واحدة ، وحصول الجبال في بعض جوانبها دون البعض يدعونا الى القول بأنه لابد وأن يكون بخلق القادر الحكيم .

الثاني : ما يوجد في الجبال من معادن ، وجواهر نفيسة فمع أن الأرض واحدة الا أننا نجد فيها الأملاح والنفط والكبريت وغيرها من المعادن ، وهذا يدل على أن الكل بتقدير القادر .

الثالث : أنه بسبب الجبال تتولد الأنهار على وجه الأرض ، حيث تحتبس عند الجبل بسبب صلابة حجارته حتى تكمل ويحصل تحت الجبل مياه عظيمة ثم انها لكثرتها وقوتها تثقب الأرض وتخرج وتسيل على وجهها ومنفعة الجبل واضحة من هذا الوجه ولهذا السبب يقرن في القرآن بين الجبال والمياه من مثل قوله تعالى (وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا) (٢)

ويبين الفخر الرازي الصلة الوطيدة بين الانسان والأرض فيقول : " الحاصل أن الأرض أمك بل أشفق من الأم ، لأن الأم تسقيك لونا واحدا من اللبن ، والأرض تطعمك كذا وكذا لونا من الأطعمة ، ثم قال : (منها خلقناكم وفيها نعيدكم) معناه نردكم الى هذه الأم ، وهذا ليس بوعيد لأن المرء لا يوعد بأمه وذلك لأن مكانك من الأم التي ولدتك أضيق

---

(١) الفخر الرازي : التفسير جـ ٩ ص ٦٥ وما بعدها .
(٢) سورة المرسلات الآية ٢٧

من مكانك من الأرض ، ثم انك كنت فى بطن أم تسعة أشهر فما مسك جوع ولا عطش فكيف اذا دخلت بطن الأم الكبرى ، ولكن الشرط أن تدخل بطن هذه الأم الكبرى ، كما كنت فى بطن الأم الصغرى ، لأنك حين كنت فى بطن الأم الصغرى ما كانت لك زلة فضلا عن أن تكون لك كبيرة ، بل كنت مطيعا لله حيث دعاك مرة الى الخروج الى الدنيا فخرجت اليها بالرأس طاعة منك لربك ، واليوم يدعوك سبعين مرة الى الصلاة فلا تجيبه برجلك ، واعلم أنه سبحانه وتعالى لما ذكر الأرض والسماء بين ما بينهما من شبه عقد النكاح بانزال الماء من السماء على الأرض والاخراج به من بطنها أشباه النسل الحاصل من الحيوان ، ومن أنواع الثمار رزقا لبنى آدم ليتفكروا فى أنفسهم وفى أحوال ما فوقهم وما تحتهم ويعرفوا أن شيئا من هذه الأشياء لا يقدر على تكوينها وتخليقها الا من كان مخالفا لها فى الذات والصفات وذلك هو الصانع الحكيم سبحانه وتعالى (١).

تسخير البحر :

ومن الأدلة القائمة على وجوده سبحانه قوله : (والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس) (٢)

هذا الدليل فيه مسائل توضح كيفية الاستدلال به على الخالق

---

(١) الفخر الرازى : التفسير الكبير جـ ٢ ص ١١٠

(٢) سورة البقرة الآية ١٦٤

الواجب عبادته :

أولها : أن الله هو الذى خلق الآلات التى بها يمكن تركيب السفن ولولا خلقه لهذه الآلات لما أمكن بناء السفن .

ثانيها : اولا الرياح التى يرسلها الله فتعين على تحريك السفن لما تم الانتفاع بها .

ثالثها : اولا تقوية من يركب هذه السفن لما تم الغرض فصيرها الله تعالى من هذه الوجوه مصلحة .

رابعها : أنه سبحانه خص كل طرف من أطراف العالم بشىء معين وأحوج الكل الى الكل فصار ذلك يدعوهم الى اقتحامهم هذه الأخطار فى هذه الأسفار .

خامسها : تسخير الله البحر لحمل الفلك مع قوة سلطان البحر اذا هاج وعظم الهول فيه اذا أرسل الله الرياح فاضطربت أمواجه وتقابلت مياهه .(١)

---

(١) الفخر الرازى : التفسير الكبير : يراجع ذلك عند تفسيره لسورة البقرة الآية ١٦٤ وفى عدة مواضع أخرى عند بيانه لتسخير الله البحر لنا .

في الأنفس :

كلمة نفْس مأخوذة من نفَس ، وهو دخول الهواء الى صدر الحي وخروجه من عند التنفس .

قال الجوهري : « كل ذي رئة متنفس »[1] ولعلها سميت بذلك لكثرة خروجها ودخولها في البدن ، فكلما نام العبد خرجت منه ، فاذا استيقظ رجعت اليه ، فاذا مات خرجت خروجا كليا فاذا دفن عادت اليه فاذا سئل خرجت فاذا بعث رجعت اليه .

أو لعلها سميت نفسا من الشيء النفيس لنفاستها وشرفها[2] وتجمع كلمة نفس على أنفس ونفوس ، وتأتي بمعان مختلفة فتطلق على الانسان بجسمه وروحه ، كقول الشاعر[3] :

نبئت أن بني سحيم أدخلوا أبياتهم تامور[4] نفس المنذر[5]

وكقوله تعالى (فسلموا على أنفسكم)[6] وقوله (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها)[7] وقوله (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله

---

(١) الجوهري : الصحاح باب السين فصل النون
(٢) المصدر السابق ، وابن القيم : الروح ٤٦
(٣) هو أوس بن حجر يحرض عمرو بن هند على بني حنيفة .
(٤) التامور الدم
(٥) الجوهري : الصحاح باب السين فصل النون
(٦) سورة النور الآية ٦١
(٧) سورة النحل الآية ١١١

هو خيرا)[١] ، كما يقصد بها الروح كما في قوله تعالى : (يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية)[٢] وقوله تعالى (ونهى النفس عن الهوى)[٣] وقوله تعالى : (ان النفس لأمارة بالسوء)[٤]

كذلك تأتي النفس بمعنى الدم[٥] ، وبمعنى الحسد والعين[٦] وهو غير مقصود بهذا البحث ، انما المقصود ، تدبر حال الأنفس البشرية العجيبة ، التي خلقها الله في أحسن تقويم . والتفكر فيما هيأه الله تعالى لها من وسائل العيش والبقاء .

فقد وصف القرآن الكريم الانسان أدق وصف في ضعفه وقوته ، في تواضعه وتكبره ، في حبه وكرهه قال تعالى : (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير)[٧] وقال سبحانه مبينا ضعف الانسان في خلقه (يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من

---

(١) سورة المزمل الآية ٢٠
(٢) سورة الفجر الآيتان ٢٧ و ٢٨
(٣) سورة النازعات الآية ٤٠
(٤) سورة يوسف الآية ٥٣
(٥) يقال سالت نفسه أي دمه وفي الحديث (ما ليس له نفس سائلة فانه لا ينجس الماء اذا مات فيه الجوهري الصحاح : باب السين فصل النون .
(٦) يقال اصابت فلانا نفس ونفسته بنفس اذا أصبته بعين (المصدر السابق)
(٧) سورة الروم الآية ٥٤

نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج .(١)

وقد ذكر القرآن الكريم النطفة والعلقة والمضغة في مواضع(٢) متعددة من القرآن ، وزاد عليها أطوارا أخرى في سورة المؤمنون فقال تعالى : (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين)(٣) فالنفس الانسانية تتخلق جسدا وروحا وتصبح كاملة التكوين بعد أن تمر بأطوار(٤) سبعة : تكون أولها سلالة من طين . ثم تكون نطفة ثم تكون علقة . ثم تكون مضغة ثم تكون عظاما . ثم تكون لحما ثم تكون خلقا آخر .

فهذا الايجاد أقوى دليل على قدرة الله الباهرة وسلطانه القاهرة

---

(١) سورة الحج الآية ٥

(٢) كقوله تعالى (هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة) غافر ٦٧ وكقوله سبحانه (ألم يك نطفة من مني يمنى) القيامة ٣٧

(٣) سورة المؤمنون الآيات (١٢ - ١٤)

(٤) قيل في تفسير الأطوار أن المقصود بها : الشباب والشيخوخة والضعف وقيل الصحة والسقم والغنى والفقر واكن القرينة في الآية تدل على الأطوار التي ذكرتها .

وهو الذى يرد به على الكفرة ، اذ لو تفكروا فى أنفسهم لعلموا وحدانيـــة الخالق وصدقوا بالحشر قال تعالى : (وفى أنفسكم افلا تبصرون)[1] فبحث وظائف بعض أجهزة الجسم فحسب يتوصل الى الدليل على عظمة الخالـــق جلت قدرته وعلى وجوب عبادته ولنأخذ كمثال على ذلك الدورة الغذائية فى الانسان .

الانـــذار بالجـوع :

فلقد أودع الله تعالى فينا نظاما يعمل فى دقة متناهية وبكيفيـــة متجانسة ومتكاملة بين جميع أجهزة الجسم ، وطبقا لاحتياجاتنا وطبيعـــة بيئتنا فهناك مثلا مراكز فى المخ متخصصة فى اعلام الانسان بالجوع والعطش فهذه الاماكن الخاصة حساسة ووظيفتها تنبيه الانسان الى السعى للحصول على الطعام أو الشراب .

وكيفية ذلك أنه حينما تنخفض نسبة السكر فى دم الانسان ، وتختـل بعض الهرمونات الجارية فى الشرايين والأوردة . حينئذ تلتقط الخلايـــا العليا للجوع هذا التعبير ، فتحس بهذا النقص فى تركيز السكريات والدهون والهرمونات ثم ينتقل هذا الاحساس الى العقل الواعى لينذره بحاجـــة الجسم الى ضرورة الحصول على مواد غذائية تستكمل بها العجز الذى حدث.

---

(١) سورة الذاريات الآية ٢١

هضم الطعام :

وفى المعدة ينهضم الغذاء لتقوى به الأعضاء فيصفى وينزل منه الصافى الى الكبد ويصب الثفل الى محل مخلوق تحت المعدة ، متوجها الى الخروج .

"ومع الغذاء المتوجه من المعدة الى الكبد يوجد فضل ماء مشروب يرقق ويتذوق فى العروق الدقاق ، وفى الكبد يستغنى عن ذلك الماء فيتميز عنه ذلك الماء ، ويذهب فى جانب حدبة الكبد الى الكلية ومعه دم يسير تغتذى به الكلية وغيرها ، ويخرج الدم الخالص من الكبد فى عرق كبير ثم يتشعب ذلك النهر الى جداول ، والجداول الى سواق والسواقى الى رواضع ويصل فيها الى جميع البدن .

فهذه حكمة واحدة فى خلق الانسان ، وهذه كيفية فى معرفة كون الله فاعلا مختارا قادرا كاملا عالما شاملا علمه ومن يكون كذلك يكون واحدا والا لكان عاجزا عند ارادة شريكه ضد ما أراده "(١)

النظام العصبى :

الأنسجة العصبية مجموعة أسلاك تنتشر فى سائر الجسم بها يجرى نظام استقبال وارسال للأخبار ، وبها نتذوق ، ونسمع ونرى ، ونباشر أعمالنا .

---

(١) الفخر الرازى : التفسير جـ ٢٣ ص ٣٠٣ المعلومات التى ذكرها الرازى قد يعرفها الانسان ما قام العلم على وجود حكمة هو المقصود

ونظام الأنسجة العصبية هذا معقد أشد التعقيد تمر به ملايين الأخبار ليلا نهارا لتوجه القلب وتتحكم فى حركات الأعضاء المختلفة واذا كان يبهرنا تعقيد نظام أسلاك الهاتف فالأولى أن نندهش ونأخذ من النظام العصبى دليلا على وجود منظم قائم على هذا الابداع ، فسبحان القائل (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) (١).

صور من العناية الالهية (العين)

العين من آثار قدرته سبحانه وتعالى ورحمته وكرمه على الأنفس بها ندرك الأشياء من مسافات بعيدة فنرى كمال مصنوعاته فى السماوات والأرض ونلتذ برؤية الصور الحسنة .

والعين تبهرنا بجمالها وشكلها البديع وباشراقتها المستنيرة ، فهى كروية الشكل محمية من التعرض للأذى بسبب موقعها الغائر ، حيث وضعها الخالق عز وجل فى كهف عظمى عميق يسمى " المحجر " (٢)

أما " مقلة العين فترقد على وسادة دهنية تقيها شر الصدمات الموجهة للرأس " (٣) وأما سطحها المكشوف فيحميه الجفن الذى يغلق بمجرد أن يحدق بالعين خطر ما .

---

(١) سورة التين الآية ٤

(٢) و (٣) د / محمد رفعت : أمراض العيون ص ٧ (طبع دار المعرفة بيروت)

وهكذا نجد العين عليها عدة حراس فمن دبر لها هذا الأمر لتكون محروسة بهذه الكيفية فسبحان الذى (خلق كل شىء فقدره تقديرا) (١)

أما كيف تستطيع العين الدوران داخل محجرها فذلك " بسبب وجود ست عضلات تستمد أعصابها من المخ فتتحرك بانسجام مع بعضها البعض لتجنب ازدواج المرئيات " (٢) وهذا لسمه اهمية قصوى والا لاختلطت المرأيات علينا فتعالى الله القائل (الم نجعل له عينين واسانا وشفتين وهديناه النجدين)

فائدة الدموع :

فى العين غدة للدمع ، تقوم بافراز الدموع باستمرار وهى سائل ملحى يغسل سطح العين المكشوف الخارج . وهذه الدموع تحتوى على مادة قاتلة للبكتريا ، وبذلك تكون ذات اثر كبير فى وقاية العين من الجراثيم .

وكثيرا ما يدخل العين جسم غريب كحبة تراب مثلا فتقوم الدموع بوظيفتها فتنسكب بكميات كثيرة قد تكفى فى بعض الحالات لازالة هذا الجسم الغريب .

وهذه نعمة كبيرة تدل على عناية الخالق بعبيده فكيف يغفل عنها (قتل الانسان ما أكفره من أى شىء خلقه ثم السبيل يسره) . (٣)

---

(١) سورة الفرقان الآيه ٢

(٢) المصدر السابق

(٣) سورة البلد الآيتان ٨ - ١٠

(٤) سورة عبس الآيات ١٧ - ٢٠

الباب الرابع

مشكلة الإلحاد بين القرآن والعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنما يخشى الله من عباده العلماء

صدق الله العظيم

سورة فاطر - ٢٨-

الفصل الأول

مشكلة الالحاد

الفصـــــل الأول

مشـــــكلة الالحـــــاد

مفاهيم الالحاد

الالحاد نوعان

القانون الطبيعى

الفصل بين العلم والدين

التعايش الدينى والعلمى لم يتوقف

مظاهر من الالحاد

الفصـــــل الأول

مشكلة الالحـــــاد

ألحد[1] فلان في دين الله أي حاد عنه وعدل[2] ، ويلحد في أسمائه اى يحرف الفاظها أو معانيها ، كأن يصف الله تعالى بما لا يصح وصفه به ، أو أن يتأول اوصافه على ما لا يليق به[3] .

وقد جاء ذكر ذلك في القرآن العظيم ، قال تعالى : (ولله الأســـماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون[4]) وفي قوله سبحانه مهددا الكافرين والمعاندين بما ينتظرهم من عقابه (ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير ام من يأتى آمنا يـــوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير)[5]

وأما أصل الالحاد ، فهو " الميل عن الحق الى الباطل[6] وهو " ضربـــان

---

(١) و (٢) ويقال " لحد " أيضا وقرىء (لسان الذى يُلْحَدُون اليه) النحل آيه ١٠٣ اى ثلاثى على وزن (فعل) (يفعل) الجوهـــرى الصحاح فصل اللام ، باب الدال .

(٣) الاصفهانى : المفردات " كتاب اللام "

(٤) سورة الاعراف الآيه ١٨٠

(٥) سورة فصلت الآيه ٤٠ .

(٦) محمود ابراهيم اسماعيل : الألفاظ والاعلام القرآنية مادة لحد .

الحاد الى الشرك بالله ، والحاد الى الشرك بالأسباب فالأول ينافى الايمان ويبطله[1] ، والثانى يوهن عراه ولا يبطله ومن هذا النحو قوله : (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم)[2] [3]

والالحاد ، الذى ينفى الايمان ، هو المقصود بالبحث فى هذا الفصل باعتباره انكارا ، وجحودا ، أو هو عناد ومكابرة ، يقصد بها نفى الحقيقة الغيبية ، المتمثلة فى وجود خالق أعلى مسيطر على الكون من كل وجه فالملحد يطعن فى الدين ، ولو كان هذا الدين حقا[4] أوحى به الله الى رسله ، وأمرهم بتبليغه للناس .

---

(١) هذا النوع من الالحاد قد يؤدى الى الشرك والتعطيل والكفر ، واقسامه خمسة :
أولا : تسمية الله تعالى بما لا يليق بجلاله وعظمته كتسمية النصارى له أبا والفلاسفة موجبا بذاته او علة فاعلة بالطبع .
ثانيا : أن يسمى بأسماء الله بعض المخلوقات كتسميتهم اللات من الاله ، والعزى من العزيز ، ومناة من المنان .
ثالثا : وصفه بما يتقدس ويتنزه عنه ، كقوله اليهود : (ان الله فقير) أو يد الله مغلولة ، وقولهم : (ان الله استراح يوم السبت) تعالى الله عن اقوالهم علوا كبيرا .
رابعا : تعطيل الأسماء عن معانيها ، وجحد حقائقها كقول من يقول انها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معانيا .
خامسا : تشبيه صفاته بصفات خلقه "ابن القيم : مختصر الصواعق على الجهمية والمعطلة جـ ٢ ص ١١٠ / ط ١ المطبعة السلفيه .
(٢) سورة الحج الايه ٢٥
(٣) الاصفهانى المفردات : كتاب اللام
(٤) الدين : الطاعة ، ويقال الطاعة والجزاء معا ومنه قوله تعالى (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) "النساء ١٢٥" وقوله (فلولا ان كنتم غير مدينين) "الواقعه ٨٦" أى غير محزيين ، وقوله (ولا يدينون دين الحق) "التوبة ٢٩" وعلى هذا الاعتبار فالدين الوضعى ، الذى هو طاعة عمياء باطلة لم يأمر بها الله ، يطعن فيه ولا ينقاد له ، وأما الدين الحق الذى ارتضاه الله لعباده وهو الاسلام فالطعن فيه جحود ومكابرة وانكار للحقيقة من غير حجة .

وهذه ظاهرة وجدت قديما وأشار اليها القرآن الكريم فى قوله تعالى (وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون)(١)

قال الرازى : " يريدون أن الموجب للحياة والموت تأثيرات الطبائع وحركات الأفلاك ، ولا حاجة الى اثبات الخالق المختار فهذه الطائفة جمعوا بين انكار الاله وبين انكار البعث والقيامة "(٢)

وهذا انكار من غير حجة ولا بينة . ولذلك رد عليهم سبحانه بقوله : (وما لهم بذلك من علم) أى أنه ليس لهم مستند من عقل أو نقل وانما هو ظن من غير يقين ، وتوهم يدل على طفولة فكرية [illegible] .

مفاهيم الإلحاد :

ان الذين يزعمون - فى العصور الأخيرة - أنهم اكتشفوا حقيقة نشأة الكون مجسدة فى المادة " الخالقة لنفسها بنفسها " ينكرون فى الحقيقة معرفتهم بأبعاد ذاتهم القاصرة ، فالفكر الانسانى لا يعدو أن يكون انتاجا مكتسبا لمعرفة مشروطة زمانيا ومكانيا وجسديا مشروطة زمانيا بمعرفة العصور التى سبقتها مضافا اليها معرفة عصرها ، ومشروطة مكانيا بجزئية من مجموعة شمسية محددة بين ملايين المجموعات الشمسية التى تسبح فى الكون ، ومشروطة جسديا بعطاء عضوى محدد الأهلية والادراك ، وبهذا لا يمكن لمعرفة خاضعة لهذه

---

(١) سورة الجاثية الآيه ٢٤

(٢) الرازى : التفسير الكبير جـ ٢٧ ص ٢٧٥

المستويات الثلاثة أن تزعم التجاوز لاطارها الا اذا كان ذلك من باب المجازفات العفوية "[1].

ولذا فان أول ما يلاحظ على الالحاد قديمه وحديثه ، التداخل والتباين بين مواقف الملحدين ، فمنهم من تظهر عليهم الحيرة والالتباس في المفاهيم ، ومنهم من تظهر عليهم المكابرة والعناد ، وهذا مصداق قول الحق تبارك وتعالى (الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون)[2].

وهكذا نجد مفهوم الالحاد يعوم في مفهوم وحدة الوجود[3] ، ومفهوم الاله بلا وحي[4] ، وفي تداخل المواقف بين انكار الاله وجحوده مع نفيه ورفضه ، وبين القول بسلبيته ولا مسؤولية وتجريده عن صفاته وتحميله وزر الانسان أو البحث عنه في الخلقيات أو تجسيده في الانسانيات ويقسم علماء الأديان الالحاد الى نوعين[5] :[6]

---

(١) د / رشدي فكار : تأملات اسلامية مبحث الالحاد والتباس المفاهيم ص ٦٥ بتصرف وأرى أنها مجازفات مقصودة وليست عفوية .

(٢) سورة النحل الآيه ٢٢

(٣) رغم أن لكل من الفلاسفة والمتصوفة رؤية خاصة بوحدة الوجود الا ان هذه الوحدة مرفوضة من الاسلام في كل الحالات اذ لو كان الوجود وجودا واحدا والموجودات كلها كائنا واحدا ، لما كان للشريعة الاسلامية المنزلة من رب العالمين ، ولا لأحكامها فائدة ولا لمقوماتها مفهوم .

(٤) هذا من المفاهيم المعطلة عند النصارى
انظر : مفارقات بين القرآن والكتب المقدسة في الفصل الأول من الباب الثاني لهذه الرسالة .

(٥) د / رشدي فكار : تأملات اسلامية ص ٦٣ - ٦٤ بتصرف

(٦) كلود ترسمنتون : مشاكل الالحاد : الفصل الأول : الأصول ص ١٣ ومابعدها

الالحاد نوعـان :

النوع الأول : الحاد سلبى ، يتمثل في المثالية المطلقة LiDEALiSMe Absolu أو اللامادية ، وهو مذهب فلسفي ، ينكر الوجود . ويسلب الحقيقة عن كـل ما لم يكن تصورا ذهنيا ، أو فكرة .(١)

والنوع الثانى : الحاد ايجابى ، هو المادية المطلقة LE MATERIALISME Absolu وهو مذهب يعتبر المادة الواقع الوحيد ، وينكر وجود الروح والعالم والله .(٢)

ولكل من الألحادين جذور فى أصول الفلسفة اليونانية القديمة حيـث يظهر ذلك بوضوح في فلسفة انجلس ، وهيجل ونيتشة ، كذلك لهما فـى تاريخ الفكر الأوروبى فكرة مشتركة هى اتفاقهما على رفض مسألة الخلق ، كما يدل على ذلك قول فيشت "FICHTE" ان الخطأ الأصلى والمطلق لكل زيف الميتافيزيقيا ، ولكل عقيدة دينية هو مبدأ الخلق الذى تقول به اليهوديـة والوثنية خاصة ".(٣)

ويظهر أن فيشت قد أخطأ فى نسبة فكرة الخلق الى الوثنية اليونانيـة التى لم يقل بها أحد من فلاسفتها ، وكانت مجهولة عندهم تماما . أمـا بالنسبة لليهود فصحيح أنهم يقولون بالخلق باعتبار أن ديانتهم حقيقية فى الاصل

وحول مسألة القول بعدم الخلق هذه يتفق ماركس وانجلس ولينين تمام

---

(١) المنهل : قاموس فرنسى عربى ماده IDEALISME

(٢) نفس المرجع ماده MATERIALISME

(٣) كاود ترسمنتون مشاكل الالحاد ص ١٢٥ بالفرنسية وانظر
J.C. FICHTE die AHweisung Zum SeLigen
FEMINER VERLOG p. 89

الاتفاق مع فيشت بأنه لا فرق بين الوجود المطلق أو الالهي ووجود الكون .

واذن فكل من المثالية المطلقة والمادية المطلقة يقولان بأنه لا خلـــق أبدا وهذا يعني أن الموجود واحد لا غير ، فهو بالنسبة للمثالية " العقـل الكلي " الموجود الوحيد والكون ليس الا تمثلي أو تصوري أي أنه مظهر أو ظل فقط .

أما بالنسبة للمادية فان الموجود المطلق هو الكون المادي فحسب ومن هنا جاء رفض التأليه باعتباره شرطا لادراك الطبيعة " فالانسان موجود في عالم واحد هو العالم الطبيعي " وعلى الفكر أن يحلل هذه الطبيعة .(١)

القانون الطبيعي :

ولقد أسس العلم التجريبي ، الخاص بالطبيعة على أيدي " ليوناردي فانسي " LEONARde VINCI " وجاليو " GALILée " في سنة ١٦٠٤ م (٢) ، وذلك بعد كشف قوانين الساعة " Pendule "

---

(١) كلود ترسمنتان : مشاكل الالحاد ص ٢٥ و ٢٦ بتصرف
Claude TRESMONTAN : Les Problemes de L'Athéisme P 25 et 26

(٢) قبل هذا التاريخ كانت معارك قد حدثت بين الكنيسة والعلماء نذكر منهم " كوبرنيكوس سنة ١٤٧٣ وجاليلو ١٥٦٤ ، وجوردانو برونو ١٥٤٨ - ١٦٠٠ " فهؤلاء عارضوا فكرة الكنيسة القائلة أن الارض مركز الفلـــك والأنسان مركز الكون : محمد قطب : التطور والثبات ص ١٩

فلقد أثبت[1] " جاليلو " أنه يمكن تفسير الحوادث الطبيعية ، باعادة ربطها ببعضها من غير أن ندخل أية قوة خارجية عنها .

ولقد أدى هذا الاكتشاف الى نشأة " القانون الطبيعى " LA LOI NATURELLE ومع أن العلم وقتها لم يدعو الا الى العمل بالتجربة والحسابيات ، الا أن الفرصة كانت سانحة للاجهاز على سلطان الدين من طرف المتعلقين بالمذهب الأبيقورى " EPICURIEN " ومن الجسم الغفير ، الذى لم ينسجم مع ما وراء الطبيعة الكاثوليكى ، وكذلك العدد الآخر الهائل من الجاسوريين ، الذين فطروا على الجدال والتعليل ، سواء منهم الذى يجادل بالباطل ، أو المترصين الذى استعمل العلم لدعم واسناد الطبيعيين والملاحده .

وهكذا سقط الاعتقاد الدينى فى الغرب ببراهينه وأدلته ، رغم ما أبداه جهرة وبقوة كبيرة كل من البروتستانت والكاثوليك من دفاع مميت ، وذلك حين حزم " ديكارت " التساؤل القائل : ماذا سيحدث للضمير الانسانى ازاء قوتى العلم والدين ، اللذين يطالبان بمبادئهما المتباينة .

---

(١) التعبير بـ " أثبت " فيه شىء من التجاوز ، ولكنه الجزم بصحة البراهين العلمية الى حد الغرور ، لذا استعمل " اميل بوترو " "EMILE BOUTROUX" هذا التعبير .

(٢) هو مذهب يدعو الى الانغماس فى اللذات وحب الحياة .

الفصل بين العلم والدين :

لقد أرضى ديكارت غرور الفكر العصرى في ذلك الوقت بوضعه مبدأ " استقلالية العلم عن الدين "[1] فالعلم له ميدانه ، وهو الطبيعة ، ومادته خصائص القوة الطبيعية ، وأدواته الحساب والتجربة .

وأما الدين فيتعلق بأقدار ومخصصات النفس الانسانية خارج الدنيا ثم هو يهتم بمجموعة من الاعتقادات البسيطة ، التى ليست لها علاقة بالحجج الدقيقة للدراسات اللاهوتيه والفلسفية الشهيرة التى سادت فى العصر الوسيط

واذن فلا يمكن للدين أو العلم أن يعرقل أحدهما سير الآخر ولا أن يزعجه ، كذلك لا يجوز أن يستولى أحدهما على الآخر لأن انتشارهما وتطورهما الطبيعى لا يجعلهما يلتقيان .[2]

التعايش الدينى والعلمى لم يتوقف :

إنه لمن الخطأ أن يعتقد أن الدين مصطنع ، ومختلق من جانب العقل البشرى بالصدفة حسب نزعة تخيلية مع أنه واضح أن الايمان بالخالق ،

---

(١) أى استقلال متبادل بينهما يقول المؤلف :
Descartes pose en principe L'indépendance mutuelle de La Religion et de La science « EMILE Boutroux: Science et Religion p: 15

(٢) مترجم بتصرف عن كتاب : العلم والدين " بالفرنسية " لا يميل بوتروا صـ ١٥ و ١٦

مرتكز في البداهة العقلية على قانونين : هما :" السببية والغائية "

أما قانون السببية ، فيقرر أن الشيء " الممكن "[1] " لا يحدث بنفسه من غير شيء" لأنه لا يحمل في طبيعته السبب الكافي لوجوده " ولا يستقل باحداث شيء " لأنه لا يستطيع أن يمنح غيره شيئا لا يملكه هو .[2]

وأما الغائية فتقتضي أن كل نظام مركب متناسق مستقر لا يمكن أن يحدث عن غير قصد ، وأن كل قصد لابد أن يهدف الى غاية . وهكذا تتشوف النفس من غاية الى أخرى حتى تنتهي الى غاية كلية ثابتة هي غاية الغايات .[3]

واذن فالدين تفاعل عفوي حاصل من أفكار الانسان ، ومن قلبه ، ومن روحه ، وهو جواب عملي على تجربة ذاتيه قام بها الانسان بواسطة العالم الخارجي .

وكذلك هي الحال بالنسبة للعلم اذ هو تجربة عامة ويومية تشترك فيها الانسانية بالتطوير والتوثيق .

وهكذا يكون للعلم والدين أصل واحد ، هو تكوينهما الطبيعي في العقل الانساني عن طريق الاتصال بالكون ، ولذا فان التفتيش عن كيفية وجود أحدهما وتعايشه مع الآخر ليس له معنى .[4]

والحقيقة أنه لم تكن بداية العلم والدين عن طريق الاتصال بالكون فحسب بل هما منحة الهية أيضا لآدم أبي البشرية حين أطلق سراحه من الجنة ليبدأ رحلة هذا الكوكب الأرضي ، يتوارثها أبناؤه الى يوم الدين .

---

(١) التعبير في هذا العرض بـ"الممكن" القصد منه تحديد المجال الحقيقي الذي يطبق فيه هذا المبدأ فالممكنات تقبل الوجود والعدم ووجودها انما يرد اليها من سبب خارج عنها حتما .

(٢) د / محمد عبد الله دراز : الدين ص ١٠٤

(٣) نفس المرجع ص ١٠٥

(٤) اميل بوترو : العلم والدين ص ٢٨-٣٨ بتصرف

مظاهر الالحاد :

ومع هذا ظل خداع الالحاد يجتذب اليه الأنظار الأمر الذى أدى ببعض مفكرى الغرب ، فى العصور الأخيرة الى مناهضة الدين والحكم عليه احكاما جزافية ، وقع فيها التعميم بين الدين الحق المنزل من رب العالمين ، وبين الأديان المحرفة ، التى طوعها اصحابها على مقتضى رغباتهم . فقد زعم البعض[١] " أن الدين أقسى وأسوأ خديعة فى التاريخ "[٢] وعبر الآخر[٣] عما كان يلاحظه فى مجتمعه بقوله : " الدين نتاج ذهنى مفسد ساعد على انتشاره مكر القساوسة وحيلهم "[٤] ونادى المجازفون[٥]

---

(١) من مثل فورباخ (١٨٠٤ - ١٨٧٢) FEURBACH الفيلسوف الألمانى المادى ، وكارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣) K MARX مؤسس المادية التاريخية وأبو الشيوعية المتكهن بزوال الدين ، والقائل ان الدين من صنع الانسان وانجلز (١٨٢٠ - ١٨٩٥) - ENGELS رفيق ماركس ، ولينين (١٨٧٠ - ١٩١٤) - LENINE زعيم (بولشفيك) الشيوعية وحاكم روسيا الرهيب أنظر كلود ترسمونتون : فى كتابه مشاكل الالحاد (ص ١٤٣ - ١٨٥)

(٢) ينسب هذا القول لفولتير ، وأنظر وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى تعريب ظفر الاسلام خان ص ٣١

(٣) هو " كندرسيه " وينسب أيضا لأنجلز .

(٤) د / رشدى فكار : تأملات اسلامية ص ٦٧

(٥) من امثال الماديين الفرنسيين فى القرن الثامن عشر ، والعلماء التجريبيون الذين يتوهمون أن العلم عنده الجواب عن كل شىء .

بالفكر باتخاذ العلم كبديل للدين . وغاب عن هؤلاء أن الدين الصحيح عين العلم وزيادة ، قال تعالى : مخاطبا خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم- (ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذن لمن الظالمين)(١) فقد سمى سبحانه وتعالى الاسلام علما للتلاحم الموجود بين العلم والايمان بهذا الدين .

أما تفسير أوجيست كونت(٢) للدين بأنه مرحلة بدائية من مراحل نموالانسان تعكس ضعفه وقصوره ، فيفسر فيها الاحداث باسم الاله ، وأنه منته فى نموه الى المرحلة الوضعية التى لا يبقى فيها للدين أثر ، وسيصبح مفسراللأحداث بالقوانين العامة للكون(٣) فليس ذلك بشيء لأن هذا التفسير يعارض ما ثبت علميا بفطرية التدين فى الانسان . ولذا يعتبر ادعاء لا دليل عليه ، اذ الالحاد المطلق الذى يدل على انعدام التدين لا وجود له بين الملحدين ففى كل حالة الحادية نجد هذه الغريزة تعبر عن وجودها بشكل من الاشكال . فاوجست كونت يضع فلسفة يسميها دين الانسانية ، والمعبود فى هذا الدين معنى الانسانية المطلق ، وقد صاغ له ترتيبات عملية وطقوسا ، وضبط قوائم للاعلام الذين يمثلون معنى الانسانية لتكون ذكراهم مواسم للعبادة(٤) .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٥

(٢) أوجيست كونت (١٧٩٨ - ١٨٥٧) August compte فرنسى مؤسس الفلسفة الوضعية ، وفكرة الانسانية ، وواضع علم مبادىء الاجتماع

(٣) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة ص ٣١٧ وما بعدها .

(٤) المصدر السابق ومقدمة ليفى برول Levy BRUHL التى صدر بها كتابه عن " أوجيست كونت وفلسفته " - وكذلك كتابه الثانى دين الانسانية .

ولكنه لم ينجح لأن طبيعة العلم دوام التطور في حين أن طبيعة الدين تقتضي الثبات والاستقرار ، لذلك بقي اسم "كونت" مقرونا بالفلسفة الوضعية.(١)

وقد وضع من قبل "روسو"(٢) نظرية سماها الديانة الطبيعية تقف عند الايمان بالله وبالروح وباليوم الآخر وتذر لصاحب السيادة في الدولة تدبير طقوس هذه الديانة كما تذر له تدبير شؤون الدولة السياسية(٣) ، ولكنها دخلت "في صف المضاربات النظرية "(٤)

أما في روسيا حيث ابدل بالدين ، بالمذهب الشيوعي المقام على

---

(١) د/ محمد حسنين هيكل : الايمان والمعرفة والفلسفة ص ٢٩

(٢) هو جان جاك روسو (١٧٧٨)
من رجال عصر التنوير وصاحب كتاب العقد الاجتماعي ، الذي اعتبر انجيل الثورة الفرنسية .

(٣) يرى روسو أن الحالة الطبيعية للانسان فترة تمثل النقاء والصفاء وبتأثير الأديان والأطماع تجرد هذا الانسان من نقائه وعاش في فوضى وللرجوع بالانسان الى الحالة الطبيعية يقتضي وجود عقد اجتماعي ينظم حياة الناس بعيدا عن الدين ، ولكن اعتبرت هذه النظرية هدما للعقد الاجتماعي لالبيان ضرورته ، واعلانا صارخا ضد المجتمع وضد " الله " تعالى :
يراجع : " هـ . ج . ويلز " في " معالم تاريخ الانسانية " ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد (حـ ٤ ص ١١٨) القاهره ١٩٦٧ م

(٤) على حد تعبير الدكتور محمد حسنين هيكل : الايمان والمعرفة والفلسفة ص ٢٩

الالحاد[1] فقد اتخذ لجثمان " لينين " تمثالا يزوره الناس مطأطئين له الـــرؤوس ومضفين عليه القداسة ، فيما يشبه العبادة ، كذلك نجد في أوروبا الوضـع ، قد تفاقم ، وفسح المجال لاستعراض شعارات " ايديولوجية " تلك ضد الديـن من مثل شعارات عصر " فولتير "[2] والثورة الفرنسية ، وشعارات " الماركسيين " .

وكل هذه الشعارات ردود فعل عنيفة ، نتيجة أوضاع متردية عندهم ، ولكنها لا تبرهن عن انعدام التدين في الانسان ، بل هي تعبر بشكل أو آخر عن عبادة مفتعلة لنظرية بشرية ، قد تتجاوزها الأحداث في يوم ما .

ولذا سنعرض عن هذه الشعارات العاطفية العنيفة لعدم موضوعيتها ونكتفي ببحـــــث ما يقدمون من اعتراضات علميه ضد قضية " الألوهية " سواء كان ذلك بدعوى العقلانية أو العلمانية أو المادية .

---

(١) يقوم الالحاد في روسيا على المواجهة العنيفة ضد الدين ، وذلك بمحاربة المتدينين ، نفسيا وسياسيا ، وقهرهم عمليا على اتباع مذهبهـــم ، المادي " اللينيني " نسبة الى " لينين " .

(٢) يعتبر عصر " فولتير " الشاعر الفرنسي الذائع الصيت عصر "المادية الفرنسية " في القرن الثامن عشر الميلادي أي قبل اكتشاف نظريـــة التطور البيولوجي ، والتطور الكوني ، ويمثل هذه الماديـــة " دالمبار " D'ALEMBERT و" ديدرو " DIDEROT و " دولمباخ " D'HOLBACH الذي ولد في المانيـا سـنة ١٩٢٣ م وعاش في باريس و " كلارك " CLARKE

الفصل الثاني

الالحاد والعقلانية

الفصل الثاني
الالحاد والعقلانية

" منذ عدة أجيال ، أى منذ القرنين الثامن عشر ، والتاسع عشر والتأكيد مركز فى اوروبا ، على جعل الاعتقاد قطعيا ، فى أن " الالحاد " مذهب عقلانى "[1] وما عداه ليس كذلك ، فالعقلانية تعنى الالحاد حتما ، خلافا للموحدين[2] ، فان النتيجة المنطقية تجعلهم - كما يدعى الملحدون - قسرا غير عقلانيين ، لأن ايمانهم هذا ناتج عما يعتقدونه ، وليس نتيجة بحث عقلى .

ويدعى كذلك الملحدون بعدم امكانية اثبات الايمان بالاله الواحد - الا بالوقوف ضد العقل والعلم ، وبناء حاجز قوى يفصلهما بعناية واحكام عن الايمان بهذا الاله .

وأما فى حالة ارادة الاحتفاظ بهذا الايمان ، فينصحون بالرجوع الى نظرية - يعتقدون أنه لابد منها - لها حقيقتان ، حقيقة العلم من جهة ، وحقيقة العقل من جهة أخرى ، وحينئذ لا خيار الا بين امرين الالحاد أو الايمان .

هذا ما يقال ، ويعاد باستمرار ، ويعلم فى كل الجامعات الاوروبية ، وفى مدارسها الثانوية والاعدادية ، وحتى فى مدارسها الريفية ، لذلك لم يستطع المسيحيون ، ولا اليهود فى أواخر القرن التاسع عشر أن يجاهروا بأيمانهم بالله الخالق لهذا الكون - رغم ما فى هذا الايمان من مآخذ - وكانوا

---

(١) نسبة الى العقل باعتبار أن العقل ومبادئه مصدر لكل معارفنا من وجهة نظر أتباع هذا المذهب .

(٢) هم المؤمنون بالله واحد .

ينكسون رؤوسهم في خضوع وخجل خلافا لما عليه من يعتقد في العلم والعقل "(١)

ولقد توصل الملحدون الى القول بأن " الكون آلة أزلية ، غير مخلوقة ، لا يقبل التلف ، ولا يبلى ، وليس له بداية ولا نهاية ، انه وجد وليس هناك غيره ، والانسان داخل هذه الآلة ، ليس الا أحد دواليبها "(٢)

ويضيفون في غرور قائلين : " شيء من الفطنة في لحظة العطاء يمكننا التعرف على جميع قوى الطبيعة الحية ، والمواضع الخاصة بالموجودات - ولو أن هذه المواضع مختلفة وواسعة جدا - الا انه حتى تخضع هذه الموجودات لمعطيات التحاليل ، فانه لابد من انضمام اكبر الأجسام في العالم مع أصغر ذرة في نفس الصيغة والقاعدة .(٣)

---

(١) هذه حالة المتدينين من مسيحيين ويهود ازاء موجة عبادة العلم والعقل في القرنين الماضيين وصفها لنا كلود ترنسمتون في كتابه مشاكل الالحاد وقد نقلتها بتصرف قليل يلائم لغتنا أنظر Claude Tresmontant: Les problèmes de l'Athéisme p 43

(٢) كلود ترنسمتون : مشاكل الالحاد ص ٤٣٣ والنص كما جاء في لغته هو : Le monde est une machine eternelle, incrée impérissable inusable. Il n'a ni commencement ni fin. Il est l'être et il n'y en a pas d'autre. L'homme dans cette machine n'est qu'un rouage « Les problèmes de l'Athéisme p. 432 »

(٣) يعنون بذلك أن كل الموجودات تتكون من " الهيدروجين " الذي هو - في نظرهم - أساس الحياه .

وحينئذ فلا يكون شيء من هذه الموجودات غير أكيد أو ثابت صنعه ، فالمستقبل مثل الماضي يكونان حاضرين امام عين الانسان (١) .

وحسب هذه المعطيات ، فان الانسان مثلا ، وجد داخل " الكـــون الآلي " نتيجة صدفه تخبط خبط عشواء (٢) ، أو مادة عمياء ، ذلك لأن الآلة لا فطنة لها ، وبالتالي لا تعقل ما حولها ، ولو اختلطت عليها الأمور لبعثرت كل ما تمكنت منه في كل اتجاه ولحصلت الفوضى ، ولكن الفوضى لم تحصل رغـــم مضي عشرات الآلاف سنة على خلق العالم (٣) ، فالكون كله متناسق منظم (صنع الله الذي أتقن كل شيء) (٤) ، هذه ناحية .

أما الناحية الأخرى فتتمثل في اعتبار " الكون آلة " - كما يدعون - وهذا يثير مشكلة عدم الاطمئنان للعلوم الكونية ، التي اتعبت الأفكار كامل القـــرن التاسع عشر ، وانبنت عليها عقيدة هؤلاء العقلانيين .

---

(١) لا بلاس : محاولة فلسفية على الاحتمالات ص ١٨١٤
LAPLACE : ESSAI PHILOSOPHIque SUR Les PROBABILITÉS 1814

(٢) يقال ركب فلان العشواء اذا خبط أمره على غير بصيرة ، والعشواء الناقة التي لا تبصر أمامها فهي تخبط بيديها كل شيء " الجوهري الصحـاح فصل العين باب الواو والياء) ، وكذلك الصدفه ، فهي على غير هدى .

(٣) هكذا قدر العلماء عمر الكون " كلود ترسمنتون : مشاكل الالحـاد ص ٤٣٣) .

(٤) سورة النمل الآيه ٨٨

فهذه العلوم لم تعد تفيد البشرية في شيء لعدم وجود قواعد ثابتة للكون فقد تتغير أسس كثير من الأشياء من حين لآخر ، فيتغير مثلا " الهيدروجين " الذي هو أساس الحياة ، وتبطل القواعد والنظريات ، التي قال بها العلم ، ولكن لم يقع شيء من هذا .

ثم هناك سؤال يطرح نفسه ، وهو كيف تنتج الطبيعة العمياء عقولا مفكره؟ والجواب أنه اذا كانت عقولكم ، أيها الملاحدة نتيجة طبيعة عمياء لا تفكر ، فمن باب أولى أنكم لا تفكرون وصدق فيكم قول الحق تبارك وتعالى (اولئك كالأنعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون)[1]

ولو تعقل هؤلاء لأدركوا أن الكون ليس آلة ، وانما نتوء حركي يتطور الى الهلاك[2] .

صحيح أنه توجد نظرية تقول أن العالم كان مجرد سحابة هيدروجين مع قليل من الهليوم[3] ، وكان مجرة " كوكبية " في حالة تكوين ، الا انه بعد التكوين والاكتمال يأتي الفناء[4] قال تعالى : (حتى اذا أخذت الأرض زخرفها

---

(١) سورة الأعراف الآيه ١٧٩

(٢) يقول قانون " كلوزيوس - كارنو " المسمى بالتطور أن كل نظام في الكون لا يتطور الا من حالة منظمة الى حالة اقل تنظيم ومتدهورة ثم هالكة (كل شيء هالك الا وجهه) ٨٨ القصص - وانظر هذا القانون في كتاب : لله العلم - للدكتور بشير التركي ص ٢٥

(٣) الهليوم : HELIUM عنصر غازي خفيف عديم اللون " المنهل قاموس فرنسي عربي " .

(٤) كلود ترسمنتون : مشاكل الالحاد ص ٤٣٥

وازينت وظن اهلها أنهم قادرون عليها اتاها أمرنا ليلا او نهارا فجعلناهـــا حصيدا كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون)[1]

ومما يدل ، كذلك ، على وجود قوة خالقة بصيرة ، بالأمور متمثلة فى الله تعالى مدبر الأكوان ، اكتشاف مسألة الوراثة فى الكائنات الحية .

فهذه الوراثة موجودة منذ مليارات السنين وتتحكم فى بنية الأسد ، والزرافة ، والانسان ، ومع ذلك لم يكن من المتوقع اكتشافها ومعرفة خواصهـــا أو القدرة على طرح رسائلها واسقاط شفراتها .

أما مسألة الماضى والمستقبل فمفروضان علينا ولا قدرة لنا على التحكـــم فيهما ، اذ الله تعالى لم يجعلهما متناضرين للحاضر ، ولو فى أى لحظـــة من تاريخ الكون ذلك لأن المستقبل دائما أغنى بالاخبار عن الماضى لأنه ليس منطويا داخل الماضى لا فى العمل ، ولا فى الاقتدار أو القوة .[2]

ولقد سميت فترة اعتبار العقل مصدر المعرفة عوضا عن الدين بفترة ســيادة العقل ، مقابلة للفترة التى سميت بسيادة الدين .

حيث اغتر العقل فى تلك الفترة ونادى بالصدفة والحتمية وقال بالعلمانية والمادية ولكن كل ذلك تهافت أمام الحقائق العلمية الباهرة على وجود الخالـــق

---

(١) سورة يونس الآيه ٢٤

(٢) كلود ترسمنتون : مشاكل الالحاد ص ٤٣٤ (بتصرف)

مبدأ العلية ونفي الصدفة :

الصدفة قول فلسفي خيالي قديم[1] أو نظرية علمية اغتر بها بعض العلماء لردح من الزمن ، لها معان متباينة يهمنا منها في هذا المبحث معنيان متصلان بالالحاد اتصالا وثيقا :

المعنى الأول : انتفاء العلة السابقة على الحادث

المعنى الثاني : انتفاء الغاية وعدم وجود القصد المدبر .

أما مسألة انتفاء العلة ، فمن الصعب على العقل البشرى قبول فكرة من هذا النوع ، اذ يعتبر مبدأ العلية ، من الضروريات العقلية ، رغم ما وجه له من نقد[2] ، فالعلة " ناموس الهي خلقها ربنا ، وجعل نتائجها

---

(١) قال ديمقراطيس اليونانى منذ ٢٥٠٠ سنة " كل ما يوجد فى الكون نتيجة الصدفة والضرورة " أى أن كل شيء يأتى صدفة قبل حدوثه ثم يتبين أن ذلك ضرورة في الطبيعة بعد خلقه " التركي : لله العلم ص ٦٧

(٢) وجه هذا النقد من طرف الباقلانى فى كتابه " التمهيد " والغزالى فى " تهافت الفلاسفة " والهروى كما نقل عنه ابن تيمية فى منهاج السنة ، حيث يقول الهروى " ليس في الوجود شيء يكون سببا لشيء أصلا ولا شيء جعل لشيء بل محض الارادة الواحدة يصدر عنها كل حادث " ويريد بالارادة الواحدة ارادة الله سبحانه " أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى لن تلحد ص ٣٩ - ٤٠ " كما نقد هذا المبدأ أيضا بعض فلاسفة الغرب منهم هيوم HUME الذى يقول :" اذا ما ارتبط شيئان ارتباطا لا تخلف فيه كالحرارة واللهب مثلا أو الثقل والصلابة فان العادة وحدها عندئذ تقتضينا أن نتوقع أحد الشيئين اذا ما ظهر الآخر . د . هيوم بحث فى العقل البشرى ص ٤٦ تعريب زكي نجيب محمود .

في معلولاتها ضرورة حتمية لا تختل الا باعجاز يخرق الناموس ".[1]

غير ان عجز الانسان عن كشف علة بعض الأحداث تجعله يقول ان ذلك مجرد صدفة ، يقول أميل بوريل " EMILE BOREL " في كتابه "الصدفه" تمتاز الحوادث التي نعزوها الصدفة بخضوعها لأسباب كثيرة التعقيد والاشتباك .[2]

ويعرف " كورنو " COURNOT الصدفة بقوله : " فالحوادث التي يحدثها تداخل أو تلاقي حوادث أخرى تنتمي الى سلاسل مستقلة فيما بينها هي ما نسميه بالحوادث الاتفاقية[3] أو نتائج الصدفة .[4]

فحين نقول مثلا : ان حائطا سقط فقتل أحد المارة صدفة فاننا نعني أن سقوط الحائط لا ينطوى على قصد القتل وأن سقوط الحائط ظاهرة تنتمي الى سلسلة من الظواهر هي شروط لوقوعها ، ومرور أحد المارة ظاهرة أخرى تنتمي الى سلسلة من الظواهر هي شروط لوقوعها أيضا ، والصدفة هي التقاء هاتين السلسلتين واجتماعهما .

---

(١) ابو عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى : لن تلحد ص ٤١ ولقد رد ابن تيمية نقد هذا المبدأ في منهاج السنة .

(٢) مجموعة من الأساتذة : كتاب الفلسفة جـ ٢ ص ٤٣٦ ط دار الحرية بغداد ١٩٨٠ م

(٣) أى عشوائية .

(٤) مبحث في تسلسل الأفكار الانسانية في العلوم والتاريخ

ANTOINE AUGUSTIN COURNOT : TRAITÉ DE L'ENCHAINEMENT DES IDÉES FONDAMENTALES DANS LES SCIENCES ET DANS L'HISTOIRE

وكتاب الفلسفة : جـ ٢ ص ٢٢٧

فهذه الصدفة ، وان لم ينكرها العلم في بعض مراحله ، باعتبارها في نظره لا تدل على غاية أو قصد ، ولا تعين شيئا ،[1] فان مفهومها ، لم يقف عند هذا الحد ، بل تمادى الى ظهور الحياة نفسها ، حيث توهم بعض الناس أن ظهورها جاء بمجرد تجمع ذرات وجزيئات عن طريق المصادفة يقول " جاك مونو " : " ان الصدفة وحدها منبع كل جديد ، وكل خلق في المعمورة "[2] ، ويقول كذلك " ان الصدفة الخالصة أعني أن الصدفة وحدها التي هي الحرية المطلقة ولكنها عشوائية - هي أساس المبدأ الضخم بعينه ، الذي هو التطور "[3] .[4]

ولكن من الصعب قبول هذا الافتراض القائم بدون أساس ، والذي يغلق تماما الباب عن الدراسات العلمية ، فهو يتعارض كما هو ظاهر مع هدف العلم المعاصر ، الذي يسعى لاكتشاف العلاقات الثابتة بين الظواهر ، مادية كانت أم حيوية أم انسانية فان جميع الظواهر - كما يعتقد العلماء التجريبيون - خاضعة لقوانين مقيدة بشروط ، وشروط وجود الظاهرة هي كل ما يسبقها أو

---

(١) سيأتي أن العلم ينفي حتى هذه الصدفة وأنها تفسير خاطئ لحساب الاحتمالات ، وأما عندنا كمسلمين فالأمر مختلف ، باعتبار أن كل شيء لا يوجد ، ولا يتكيف الا بخلق الله جل جلاله ، ولا يتم أيضا الا بارادته فالله سبحانه وتعالى هو المدبر لكل أمر ، المتصرف فيه بلا شريك

(٢)و (٣) التركي : لله العلم ص ٦٧ حيث نقل ذلك عن كتاب جاك مونو : الصدفة والضرورة .

(٤) يعني التطور ارتقاء الحياة من جهاز عضوي ذي خلية واحدة الى أعلى درجات الارتقاء او هو بالتالي التغير الذي طرأ على الانسان نتيجة حلقات من التغيرات العضوية خلال ملايين السنين ، حسن حقي خلق لا تطور ص ١٤

يصحبها من الظواهر ، بحيث يستحيل حدوث الظاهرة اذا غابت هذه الشروط[1]

وهذه الشروط " محددة حتما " أى ثابتة على الاطلاق ومن أمثلة ذلك العلاقة بين الجراثيم وقابليةالاصابة بمرض معد ، فهذا المرض المعدى لا يتخلف - عندهم - مادامت قد توافرت شروط الاصابة به ، كذلكيستحيل أن يحدث اذا لم تتوفر هذه الشروط .

وبهذا المنطق تقوم نظرية أخرى هى : " مبدأ الحتمية "[2] لتنفى القول بالصدفة .

ونكتفى بما ترتب عن مسألة الحتمية هذه لنورد اعتراضات العلماء على القائلين بالصدفة :

أولا : ليس الايمان بوجود الصدفة الا تفسيرا خاطئا لحساب الاحتمالات .[3]

---

(١) استحالة حدوث الظواهر فى غياب الشروط انكار لقدرة الله على المعجزات وهذا ضلال من الذين ينادون بمبدأ الحتمية ، الذى يقصد بهالايمان بالقوانين الطبيعية والكفر بالله عز وجل .

(٢) يعرف كلود برنارد الحتمية بقوله : " تتحدد شروط وجود كل ظاهرة تحديدا مطلقا في جميع الكائنات سواء أكانت أجساما حية أم جامدة " . كتاب الفلسفة جـ ٢ ص ٤٣٣

(٣) حساب الاحتمالات : هو تحديد لفرض وقوع حادث اتفاقي أى هوحساب وقياس حتمية تجهل بعض عناصرها ، وهو يستعمل في قواعد الاحصاء ، وفى علم الطبيعة ، وتستعمله شركات التأمين في أوروبا فى تحديد ارباحها فى عقود التأمين على الحياة ، حيث توضع قوائم الوفيات وتخصص كل قائمة بسن معينة ، ويستخرج منها المعدل العام لمن يموتون في سن معينة وتحدد النسبة المئوية . المصدر السابق (بتصرف)

ثانيا : التطور الكوني يحدث حسب مبدأ التطور[1] ، وهو أن كل نظام في الكون لا يتطور الا من حالة منظمة الى حالة أقل تنظيم ومتدهورة ثم هالكة[2] وليس التطور الى الارقى كما هو مفهوم من قول " جاك مونو " أن الصدفة وحدها منبع كل جديد وكل خلق في المعمورة .

ثالثا : ان الحياة ناتجة عن تنظيم واتزان ، وتنسيق سائد بين اطراف هيكل مادى معقد متغير ، وهذا النظام يوجد في جميع المستويات في الذرة والهباءة والهباءات الضخمة وغيرها .[3]

وكذلك " ليست الحياة خاصية أولية للمادة ، وينبغى علينا تحطيم هذا الرأى ، الذى يقدمها هكذا "[4]

واذن فهذا التنظيم والتنسيق ليس من صنع الصدفه ولا من صنع المادة بل وراء ذلك تدبير وغاية من الله تعالى .

رابعا : لنأخذ مثلا بروتين السائل الأبيض لبيضة دجاج فهذا البروتين له جزىء أكبر من جزىء الماء بأكثر من ألفي مرة وينتمى الى مجموعة تتكون تقريبا من ثلاثمائة " حامض أميني " " Acides AMINES " فالتساق الجزىء

---

(١) هو مبدأ " كلوزيوس كارنو "

(٢) أى أنه اذا تطور الانسان ماديا مثلا فانه يتطور الى حيوان أى الى اقل رقى ، وأما أن يتطور من حيوان الى انسان فهذا عكس مبدأ التطور الذى يقول به علماء هذا العصر راجع في ذلك لله العلم من ص ٦٤ الى ٧٨

(٣) و (٤) من كلام بيار قراسى الفرنسى فى كتابه أنت الاله الصغير ، انظر التركى : لله العلم ص ٧٧

عن طريق الصدفة يمكن أن يترتب بعشرات الأنواع المختلفة [1] ، الا أن وجود هذه الجزيئات على ما هي عليه يدل على أن ارادة الهية عليا وقوة منظمة جعلتها تحدث حسب الترتيب الذى ميزت به .

ولنأخذ مثالا آخر أكثر وضوحا ، انفرض أن لك عشرة من المدعوين تريد أن تجلسهم على مائدة طعام عليها عشرة اطباق ، فبناء على قواعد التبادل [2] تتوجد لك امكانيات متعددة لترتيب هؤلاء المدعوين على المائدة تقدر بـ "٣٦٢٨٨٠٠٠" امكانيه ترتيبية مختلفة .

واذن كذلك الحال بالنسبة للتكوين الكيميائى الكوني فالبروتين مثلا يمكن أن يرتب على هيئاتمختلفة تقدر بواحد متبوع بمئات الأصفار .

ولقد تناول هذه المسألة الفيزيائى السويسرى " شارل ايجان قيو " "CHARLES Eugene guye" في كتابه " تطور الفيزياء اليكيميائى " "L'EVOLUTION PHYSIO CHIMIQUE" فقال : اذا أمكن تقدير نتيجة صدفة واحدة بما تعطيه لكل جزء واحد من تركيب فان الرقم

---

(١) كلود ترسمنتون : كيف تطرح اليوم مسألة وجود الله (بالفرنسية)
CLaude TRESMONTANT: COMMENT se pose ص ٢٠٠
Aujourd'Hui le PROBLEME de L'EXISTANCE de Dieu
P 200 Seuil PARIS 1966

(٢) هو حساب قواعد التبادل ، الذى يهتم بايجاد امكانيات متعددة لترتيب الاشياء على خلاف ما هي عليه في الواقع .

الحاصل سيكون فوق الخيال " (١) .

واذا لاحظ كثير من العلماء المعاصرين أن التطور الكونى والبيولوجى ليس فقط ظاهرة مسيرة وموجهة على نمط واحد ولكن أيضا ظاهرة يتزايد تطورها مع سير الزمان (٢) .

---

(١) شارل ايجان جيو : تطور الفيزياء الكيميائى ص ٢٣١ - ٢٣٢
(بالفرنسية) CHARLES EUGENE guy : L'EVOLUTION Physio CHIMique 3eme edition Paris 1921 P. 231 - 232

(٢) كلود ترسمنتون : كيف تطرح اليوم مسألة وجود الله ص ٢٠٥

الفصل الثالث

الالحاد بين المسيحية والاسلام

الفصـــل الثالـــــث

الالحاد بين المسيحية والاســـلام

يتسم سير الأمور في هذا الزمان بالسباق والصراع بين الأمم ، لا فـــــي ميادين القتال على ايدى الجنود فحسب ، ولكن الصراع دائر بين علماء هـذه الأمم فى المعامل وبين العمال فى المصانع فالحياة العصرية تسير كلها بخطـــى يقظة وحثيثه الى الادراك العلمي المرهف ، والعمل الفنى الحاذق .

وفي خضم هذه الأوضاع العالمية يمثل البحث فى وجود الله تعالى تقديرا صحيحا للأمور ، ذلك أن تسلسل التفكير ومنطقه ، هو الذى يدفع الانسان ليسأل الأسئلة الخالدة لدى كل عقل : من نحن ؟ وما هو هذا الكون الكبير ؟ ومـــن خلقنا ؟ والى أين المصير ؟ وما الغاية ؟

فهذه أسئلة عقلية ودينية فى آن واحد ، عنها نشأت أجوبة علمية صحيحة ضبطها القرآن الحكيم ، وهو يكشف سر الكون كله بما فيه الانسان ، حيث يعرف هذا الأخير بخالقه ، وبكيفية التعامل معه معاملة تليق بجلاله .

وهذا هو ماعده الوحي الالهي بالعلم الكلي بالكون ، والنفس ، والحيـاة واتصالها بالله الخالق المصور لعجائب الكون ولجزاء الآخرة قال تعالى منوهـــا بالعلم الكلى (ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيـا وهم عن الآخرة هم غافلون)[1] معتبرا نقص العلم وقصوره عن هذا المستوى الشامل غفلة وجهلا .

---

(١) سورة الروم : الآيتان (٦ - ٧) وأولهما وعد الله لا يخلف اللـــه وعـــده .

ولكن هذه الحقائق القرآنية يجهلها الغرب ولم يظهر البحث في المعارف والعلاقة بين الانسان والعالم كما هي الحال في ابسط عرض من عروض باشلار[1] المتعلقة بالتطورات العصرية لعلوم المادة الا أخيرا .

الالحاد في البيئة المسيحية :

ان اقرار الملاحدة " بأن الكون المشاهد هو الموجود الوحيد ولا موجود غيره ، والطبيعة وحدها هي الخالقة يمكن فهمه على وجهين :

- الوجه الأول : هو الأخذ بأراء الديانات القديمة التي تعتقد بالألوهية الطبيعية والكون ، وفي هذه الصورة يكون الالحاد قد أقر بأن كل شيء اله وأن الطبيعة بكاملها هي الاله وهذا مذهب قديم ينم عن طفولة فكرية ".

- الوجه الثاني : أن نأخذ بنظرية أخرى تصور لنا عالما متحررا من الألوهية أو من كل ما هو مختص بالخلق والتدبير فيحصل لنا حينئذ الحاد عجيب ، ذلك أن المادة وحدها كما سبق لا يمكنها بدون تدخل الألوهية تنظيم وترتيب كل ما تألف وتركب في الكون وحينئذ فالالحاد في الغرب يتذبذب بين هاتين النظرتين للكون ، اللتين لهما أصول موجودة في جذور الفلسفة الاغريقية القديمة ولهما وجود واضح في الحاد القرن التاسع عشر عند انجلس وهيجل ونيتشة ، كذلك لا يمكن أن تكون للألحاد حجج معقولة ، ولن تكون له حتى تبرهن على مصداقيته بل نقول انه وجد نتيجة عدة أوضاع سياسية واجتماعية عملت على تشجيعه وترويجه

---

(١) باشلار : أحد الفلاسفة المعاصرين ، الذي يقول بالغايات ومن المعلوم أن الملحدين يقوم الحادهم على انكار الغايات .

بالاضافة الى الفساد الثقافي واللاهوتي والفلسفي فهذه أمور وجهت الفكر الغربي الى وجهة كره للدين أو رعب منه ، لا يمكن تجنبهما ، فالفساد في الديانتين المحرفتين : اليهودية والمسيحية ليس بكاف لتفسير مجموع الالحاد العصري أو القديم ، فهناك بغض أصيل للموحدين يهودا أو مسيحيين سببه جوهر الديانتين المحرفتين وبذلك فان المقاومين لليهود هم أنفسهم المقاومون للمسيحية لأن اساس الشريعة اليهودية والمسيحية الكاثولوكيه واحد فالمسيحية الكاثوليكية ظهرت كقوة أساسها الرجعية ، وأنها أفيون الشعوب حقا وهو سلاح فتاك في ايدى مختلف الطبقات الممتازة وأرباب الاعمال ، وأصحاب الامر والنهي والسيطرة وهو ما جعلها موضع اتهام من طرف لسان الثورة الفرنسية التي قامت من أجل الطبقات الضعيفة والطبقات المضطهدة ، ومن العبيد الحاقدين على السادة وهنا يجب التفريق بين الرابطة غير الشرعية والتي تركزت بكثرة التكرار والتمويه على العقول منذ القرن التاسع عشر بالتحام الالحاد بالثورية ، فالالحاد ليس في جوهره ثوريا أو تقدميا بل بالعكس فهناك من أثبت أنه يوجد الحاد يساري أي ضد السلطة الحاكمة هو الحاد ماركس وباكونين ، وبرودون ولينين وتروتزكي .

وهناك الحاد يميني أي مع السلطة الحاكمة وهو الحاد نيتشه والحاد مورا .

الالحاد في البيئة الاسلامية :

وأما قضية الالحاد بمفهومه المعاصر في البلاد الاسلامية فقضية مفتعلة ، لم يعرفها المسلمون قبل أن يلصقها بعض شباب النصف الأول من هذا القرن بالاسلام ، خاصة على أيدي أولئك الذين تعلموا في الغرب أو الذين اطلعوا على الصراع ، الذي دار بين رجال الكهنوت ، وبين رجال الفكر والعلم . وانتهى بانتصار العلماء الأوروبيين على رجال الكنيسة وذلك بفصل الدين عن الدولة ، وبالزام الكنسيين حدودا لا يتعدونها

وكانت بداية الالحاد ، كمرض من أمراض الحضارة الأوروبية التي انتقلت الى البلاد الاسلامية ، بدعوى العلمانية والتقدمية عند قيام حكومة مصطفى كمال اتاتورك على اثر الاطاحة بالخلافة الاسلامية ، حيث عملت حكومته على تشجيع " الحركات الالحادية أدبيا وماديا ، ونشرت الكتب الكثيرة ، التي تهدف الى التشكيك في الأديان "[1].

وكان أول من تجرأ ونشر الالحاد بمفهومه العصري اسماعيل أحمد أدهم الذي انتقل الى مصر وألف رسالة صغيرة سماها " لماذا أنا ملحد " وكان مما جاء فيها قوله : " أسست جماعة نشر الالحاد بتركيا ، وكانت لنا مطبوعات صغيرة أذكر منها : ماهية الدين ، قصة تطور الدين

---

(١) محمد سيد كيلاني : ذيل الملل والنحل (بتصرف) ص ٩١

ونشأته ، قصة تطشنور فكره الله ، فكرة الخلود " ثم قال :" وبعد هذا فكرنا في الاتصال بجمعية نشر الالحاد الأمريكية ، وكان نتيجة ذلك تحويل اسم جماعتنا الى " المجمع الشرقي لنشر الالحاد " وكان صديقي الباحث اسماعيل مظهر في ذلك الوقت (١٩٢٨ م) يصدر مجلة " العصور " في مصر ، وكانت تمثل حركة معتدلة في نشر حرية الفكر .. والدعوة الى الالحاد " .(١)

وقد عرف أدهم هذا : الالحاد بقوله : " الالحاد هو الايمان بأن سبب الكون يتضمنه الكون في ذاته ، وأن ثمة لا شيء وراء هذا العالم "(٢) وهو تعريف لم يخرج عما يردده الغربيون .

وكان اسوأ ما أبتليت به الأمة الاسلامية بصفة عامة والبيئة العربية بصفة خاصة اتهام الاسلام بما ليس فيه فقد نشر كتاب في تركيا عنوانه " مصطفى كمال " الكاتب يقال له " قابيل آدم " فلخص هذا الكتاب اسماعيل مظهر في مجلته " العصور " وقدم له بمقدمة طويلة يثني فيها على الكاتب قال فيها : " مؤلف من الظاهر أنه أحاط كثيرا بتاريخ تطور الفكر الانساني ، وعلى الأخص بتاريخ تنازع البقاء بين اللاهوت والعلم في العصور الوسطى . ولقد طبق المبادىء التي استخلصتها العقلية الأوروبية من طريق جهادها الطويل ازاء اللاهوت على الحالة الواقعة في الشرق

---

(١) و (٢) المصدر السابق (بتصرف) ص ٩١ و ٩٢

أحسن تطبيق، وعرف كيف يظهر آراءه وأفكاره في قالب جلي واضح ، ونجح كل نجاح في اظهار الفرق بين العقلية الآسيوية كما سماها وبين العقلية الأوروبية وقضى بأن العقلية الأوروبية ارتقائية في حين أن العقلية الآسيوية رجعية جامدة "(١).

وقد ملأ هذا الكتاب بالطعن على الاسلام من مثل قوله : ان الاسلام ينكر حقيقة هذه الحياة بكل ما فيها وأن النظم التشريعية الاسلامية أعاقت تطور الشعور الاجتماعي ، وأنه لم يكن في تاريخ آسيا كلها الا حركات رجعية أماتها الغيرة التي تزود بها كل رسول جديد ضد الرسل الأقدمين(١).

وهذا الطعن باطل كما هو معلوم ، وانما قيل تقليدا لأولئك الحاقدين على الاسلام من المستشرقين الغربيين ومن الطاعنين على الأديان ، وهو تقليد أعمى أخذ به عدد من أبناء الأمة الاسلامية في كثير من البقاع وأو أن الكاتب ألف كتابه في هذه الأيام اجاءت آراؤه مغايرة عن الشعوب الآسيوية .ولاطلع على أقوال المنصفين من علماء الغرب في مدح الاسلام ، ولعلم " أن رقي أوروبا ابتدأ بسعيها لانقاذ العقل من الانطفاء ازاء تعبد النصرانية ووقوفها في حدود عاطفتها القلبية ، وهذا السعي حصل لأوروبا بتأثير الوجدان الحادث فيها بعد التحكك بالاسلام ، فمدنية أوروبا

---

(١) المصدر السابق ص ٩٣

(٢) المصدر السابق من ص ٩٢ الى ٩٦

مدنية متصدعة متباينة العقل والعاطفة وهذا الانصداع أعظم ثلمة لأوروبا ، حرمته الكمال الانسانى ، وربما يجىء وقت تهدم بنيانها الحاضر ، فيجب علينا أن نرتعد خوفا من هذه الثلمة بينما نحن غابطون الأوروبيين "(١)

وأما الاسلام فلا يخالف العلم ولا يحاول هدمه كاللاهوتيين ، ولا ينكر التجربة ، وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثا مسألة تتعارض مع الأسس الاسلامية ، فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والعلوم الطبيعية ، ومن مفاخر الاسلام أنه مبنى على العقل ، ولا يطالب معتنقيه بتجميد طاقاتهم الفكرية .

ثم ان العقيدة الاسلامية . كما يقول علماء الاسلام اذا لم تستند الى العلم أى الدليل تكون عرضة للتزلزل بتشكيك مشكك .

ولذا اعترف النزهاء بالتلاحم القائم بين العقيدة الاسلامية وبين العلم القائم على التجربة والمشاهدة والاستقراء ، والبرهنة ، كما ثبت من تاريخ الثقافة الاسلامية وخاصة عند ازدهارها فى العصر العباسى ، وفى عصر ملوك

---

(١) مصطفى صبرى (شيخ الاسلام الدولة العثمانية) : موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين جـ ٢ ص ٢٤ ، ويوعز هذا الكلام الى مترجم " المطالب والمذاهب " فى تاريخ الفلسفة (ابول زانه) الى اللغة التركية حيث جاء ذلك فى مقدمته لهذه الترجمة .

الطوائف بالمغرب العربي ، وفي الاندلس وعند وضع علماء المسلمين أسس العلم الحديث في ميادين الرياضيات والبصريات والجراحة والتشريح والفلك .

فقد اعتبر هؤلاء العلماء عملهم هذا خدمة للعقيدة الاسلامية ، وحافزا امزيد من الايمان بحكمة الخالق وأسرار الوجود ، حتى أن فخر الدين الرازي قال : " من لم يعرف الهيأة والتشريح فهو غبين في معرفة الله " .

الفصل الرابع

العلم وانحسار الالحاد

الفصـــل الرابـــع

العلـم وانحســار الألحـاد

المقصود بالعلم فى هذا المبحث ، هو العلم الوضعى القائم عـــلى التجربة وهو منهج للتفكير فى " الطبيعة " بوسائل معينة بغية استخلاص " القوانين " الكونية .

أو هو كما يراه أكثر العلماء التجريبيين " ساسلة من تصورات ذهنية" أى معانى مجردة " ومشروعات تصورية " أى افتراضات " مترابطة متواصلة هى نتاج حدثين الملاحظة والتجريب ، بحيث تلد الفكرة فكرة وتؤدى التجربة الى تجربة بصورة متطورة ومستمرة " (١).

وهو تعريف ضيق للعلم ، لم يعرفه الفلاسفة ولا علماء الكلام (٢) مـــن

---

(١) جيمس كوناك : مواقف حاسمة فى تاريخ العلم ص ٤٦ (بتصرف)

(٢) لعلماء المسلمين تعاريف مختلفة للعلم جميعها أوسع من هذا التعريف فعند ابن حزم أنه " اعتقاد الشىء على ما هو به فقط ، وكل من اعتقد شيئا على ما هو به ولم يخالفه شك فيه فهو عالم به . وسواء كان عـــن ضرورة حس أو عن بديهة عقل ، أو عن برهان استدلال أو عن تيسير الله عزوجل له " ابن تيمية درء تعارض العقل والنقل جـ ٧ صـــ ٤١٦ "

ويختار الجرجانى التعريف القائل بأنه صفة يتجلى بها من شأنه أن يذكر امن قامت هى به انكشافا تاما لا اشتباه فيه " ويعرف العلـــم أيضا بأنه " صفة توجب لمحلها تمييزا بين المعانى لا يحتمل النقيض " " المواقف جـ ١ من ص ٦٢ الى ص ٨٦ " وهناك تعاريف أخـــرى

===

من قبل اذ هو يقتضي وجوب التحكم الى ساطة النظر العقلي والدليل المحسوس في صحة عقيدة ما أو الحكم بشرانيتها ، وهذا رأى غير صالح الا للظواهر " الطبيعية " المشاهدة ، وهو مجال محصور كما سبق بيانه[1] " في دراسة تطور الأنظمة والبحث عن الثوابت والمستقرات " .

أما من حيث منهجه القائم على التجريب والاستنباط في المجال المذكور فلا يعارضه القرآن بل دعا اليه منذ أربعة عشر قرنا قال تعالى : (أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون)[2] وقال : (وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون)[3] وقال : (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت فذكر انما أنت مذكر)[4] فهذه الآيات وغيرها - كثيرة في القرآن - تدعو الى التدبر والى النظر والتأمل في سائر المخلوقات وتنهى عن الأعراض عنها .

=== للامام الأشعرى وامام الحرمين والامام الغزالى والباقلانى والرازى وهناك تعاريف للمعتزلة كالقاضى عبد الجبار وأبى على وأبى هاشم وهناك تعاريف للفلاسفة .

(١) يراجع مبحث " الفرق بين علم الغيب والتكهن العلمى في هذه الرسالة ص ١٨٠ وما بعدها .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٥

(٣) سورة يوسف الآية ١٠٥

(٤) سورة الغاشية الآيات ١٧ - ٢١

وكذلك تتفق خصائص المنهج العلمي مع القرآن من حيث الموضوعيـــة والصدق ، والتزام اليقين ، الا أن الاختلاف بين العلم الغربي والقرآن يظهر في مفهوميهما للعقلانية والطبيعة ، فالعقلانية الغربية ، الـــتي مهدها بلاد الاغريق القديمة " تفسر كل شيء في الوجود من قناة العقـل فتثبته أو تنفيه أو تحدد خصائصه "(١) .

فقد اعتبر العلماء الغربيون العقل أساس كل معرفة ، والوسيلـــة الوحيدة لادراك حقائق الكون والوجود ، وذلك بالاعتماد على ادراك التجربة المعملية الحسية المباشـرة ، وقيام البرهان الرياضي المادي على حقائق الأشياء كلها .

أما القرآن فانه يدعو الى عقلانية " محكومة بالشرع ، وليست حاكمة على فيه وان كنا نعمل عقولنا في كل أمر الا أننا نعلم أن العقل حاسة من الحواس مجالها محدود ، فلا يمكن للعقل بحكم طبيعته مثلا أن يخوض في مجال الذات الالهية(٢) ، ولذا نجد القرآن الكريم يقسم العلم الى نوعين : النوع الأول : يسميه العلم الظاهر (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيـــا وهم عن الآخرة هم غافلون)(٣) وهذا واقع يشعر به العلماء كلما ازدادت

---

(١) محمد قطب : مذاهب فكرية معاصرة " مجموعة محاضرات السنـــة المنهجية " .

(٢) لأن تحكيم العقل في الذات الالهية مع ما في العقل من نوازع واهتمامات خاصة تجعله يركز على أمور ويغفل أخرى مما يؤدي الى الضلال لا الهداية .

(٣) سورة الروم الآيه ٧

تجاربهم فى حقل من حقول العلوم واصطدموا أكثر من ذى قبل بالحقيقة وأحسوا بالعجز .

وأما النوع الثانى : فهو العلم الراسخ ، قال تعالى : (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات ، فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الألباب)[1]

فالعلم الراسخ هو رد ما تشابه[2] من آيات الكتاب الى الواضحة منه وحكم محكمه[3] على متشابهه لا اتباع المتشابه وتحريفه ، ويدل على ذلك قوله " هن أم الكتاب " أى أصله الذى يرجع اليه عند الاشتباه .

أما الذين فى قلوبهم زيغ وضلال فيخرجون عن الحق الى الباطل ويحرفون الآيات المتشابهات الى مقاصدهم الفاسدة .[4]

---

(١) سورة آل عمران الآية ٧

(٢) المتشابه ما يحصل فيه اشتباه فى الدلالة على الناس والآيات المتشابهات قد تحتمل دلالاتها موافقة المحكم ، وقد تحتمل شيئا آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد : - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ ١ ص ٣٤٤

(٣) الآيات المحكمات : الواضحة الدلالة ، لا التباس فيها على أحد " المرجع السابق " .

(٤) " المرجع السابق " .

نجاح العلم وغرور العلماء :

ومن هؤلاء ، أناس أبهرتهم الحقائق العلمية فى هذا العصر، فظنوا أن الدين " الحق " يجب أن ينتهى ليترك المجال للعلم وهذا الظن هو العلم الظاهر المذموم ، الذى فيه كثير من الغرور والعناد . فعندما أثبت العلم نجاحه فى الكشف عن كثير من أسرار الكون المادى ، وتعدت نتائجه ميدان التفكير النظرى الى الميدان العملى والتطبيقى ، وسخر المخترعون والمهندسون " قوى الطبيعة " لخدمة البشرية ، اعتبر الكون آله عظيمة قوامها المادة ، والطاقة تعمل وفقا لنظم ثابتة هى القوانين الطبيعية فتأثرت بذلك فلسفة القرن التاسع عشر تأثيرا عميقا بهذه الآراء وتغلبت النزعة المادية على المذاهب الفلسفية ، وصارت نظرية الوجود فى رأى الكثيرين منهم أساسها الوجود المادى .

وظن العلماء أن الكون الحقيقى فى الخارج ان هو الا المادة والطاقة تنظمها القوانين الطبيعية ، وقد أدى هذا المذهب المادى ببعض الفلاسفة الى تفسير الاحساس البشرى والعواطف البشرية بل التفكير البشرى نفسه بتفاعلات كيميائية فى خلايا المخ والمخيخ أو غيرها من اجزاء الجهاز العصبى (١).

---

(١) المصدر السابق ص ١٧٦ و ١٧٧

تواضـــع العلمـــاء :

سبب هذا التواضع تغير المفاهيم ، التي نشأ عليها العلم قبل القرن التاسع عشر بقيام نظريات جديدة ومبادئ انقلابية[1] منها نظرية نسبية الزمان والمكان التي قادت الى نسبية المعرفة البشرية ، فالذي كان يظهـــر للعلماء حقائق مطلقة مسلما بها ، أصبح في نهاية القرن الماضي حقائـــق نسبية تختلف من مكان الى آخر باختلاف نسبية السرعة بين المكانين ونسبية أوضاع المراقب اتلك الحقائق .[2]

ولتوضيح مسألة نسبية الزمان والمكان هذه أذكر ثلاثة حقائق علميـــة تشكل قاسما مشتركا بين حقائق النسبية وأساس القول بوجود حقائق خارج نطاق الكون المادي المعروف .

---

(١) من هذه المبادئ والنظريات ، التي حددت من غرور العلمـــاء ، فشل تجربة " ميكلصون - مورلي " في قياس سرعة الأرض بالنســـبة الى الاثير سنة ١٨٨٧ م وظهور نظرية " لورانتز - فيتزجرالد " في التقلص سنة ١٨٩٥ ، ونظرية المقدار " لماكس بلانك " ١٩٠٠ ونظرية النسبية الخاصة ١٩٠٥ والنسبية العامة ١٩١٦ لأنيشتاين ومبدأ عدم التثبت ١٩٢٧ " لورنر هيزنبرغ " " يوسف مروة : العلوم الطبيعية في القرآن ص ١٧٧

(٢) المرجع السابق ص ١٩٢

وهذه الحقائق هى :

١ - نسبية الزمان والمكان .

٢ - ثبوت سرعة النور فى الكون .

٣ - انحراف شعاع النور فى الحقل الجاذبى .

١ - نسبية الزمان والمكان :

جعلت نظرية النسبية احساسنا بهذا الكون احساسا نسبيا ناقصا ، فالزمان والمكان ، فقد كل منهما حقيقته وحلت محلهما حقيقة " المتصل الزمانى المكانى " (Space time continuum) المؤلف منهما معا[١] فقد تبين للباحثين[٢] أن الكون المادى بأبعاده الأربعة " الطول ، والعرض ، والارتفاع والزمن " لا يشمل الوجود كله بل توجد أبعاد أخرى يختلف وجودها فى كنهه عن وجود الزمان ، ووجود المكان ووجود المادة عموما .[٣]

ولقد اثبتت التجارب حقيقة انكماش الزمان وتقلص الطول وتعاظم

---

(١) رغم أن النسبية تقول ببقاء الشىء وعدم فنائه ، فهذا القول ينحصر بدائرة محددة من دوائر البحث فالخلق والفناء خارجان عن نطاق النظرية النسبية " يوسف مروة : العلوم الطبيعية فى القرآن ص ١٧٩ " .

(٢) هم الباحثون فى نظرية النسبية العامة .

(٣) المصدر السابق ص ١٨٠ ، ومن هذه الأبعاد البعد الخامس الذى اعلن عنه العالم الألمانى (كالوتزا " عام ١٩٢١ .

الكتلة مع زيادة السرعة[1] فيطول الزمان ويقصر فعلا بسبب الفرق بين الزمان والأبعاد .

فهناك فرق مثلا بين الزمن الأرضي وبين ما ورد في القرآن عن الزمن الالهي ، فاليوم على سطح الأرض ، هو دوران الأرض نفسها دورة كاملة والسنة بالمفهوم العلمي الحالي تعني المدة التي تستغرقها الكرة الأرضية في دورتها كحول الشمس دورة كاملة .

أما اليوم عند الله فان القرآن يقدره لنا بألف سنة مما نعد قال تعالى : (ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون)[2] وقال مبينا المدة التي تعرج فيها الملائكة اليه تعالى (تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة)[3] .

وأما لو أردنا أن نفرق بين الثانية عند الله والثانية الأرضية فعلينا أن نحدد معنى الثانية بالنسبة الينا نحن سكان الأرض . انها حسب ما يقول العلم الحديث - مقياس لمقدار معين من الحركة أو هي عبارة عن انتقال

---

(١) كالتجارب التي قام بها كوفمان وبوخرر (١٩٠٩) وايفز (١٩٣٦) - وعلماء المختبر الوطني في بروكهافن ومعهد التكنولوجيا في كاليفورنيا (١٩٥٢) وتجارب العالم الألماني موصباور (١٩٦٠) مروة: العلوم الطبيعية في القرآن ص ١٨١

(٢) سورة الحج الآية ٤٦

(٣) سورة المعارج الآية ٤

الكرة الأرضية فى فلكها حول الشمس مقدار ٢٩٫٨ كيلو مترا ، أما الثانية عند الله على مقتضى[1] آية الحج السابقة فتقدر بـ " ٥ ، ٣٦٦٢٤٢ " ثانية أرضية ولمعرفة سرعة انتقال الثانية عند الله نضرب ٣٦٦٢٤٢٫٥ × ٢٩٫٨ فنحصل على ١٠٩١٤٠٢٦٫٥ كيلو متر أى حوالى ١١ مليون كيلو متر فى الثانية الواحدة ، وفى سورة المعارج تكون الثانية عند الله عبارة عن ٥٤٥٧ ١٣٢٥ كيلو مترا ، وهكذا تفوق سرعة الزمن عند الله سرعة الضوء الذى هو أسرع ما فى الكون .

وفى ضوء هذه الحقائق يمكن فهم الفرق الشاسع بين الزمن ، الذى هو على الأرض ويعتبر خاصية بشرية وبين مفهوم الزمن العامى الذى ادخله آينشتين فى القرن العشرين ، ومثل له بتوأمين أحدهما يبقى على سطح الأرض والآخر يخرج منها فى صاروخ بسرعة قريبة جدا من سرعة الضوء فى الفضاء ثم يرجع الى الأرض بعد سنتين من السفر فى الفضاء فيجد أخاه قد مات ومر عليه قرنان[2] ، وصدق سبحانه وتعالى اذ يقول (ويوم

---

(١) نقدر الصعطيات التى عند علماء الفلك اليوم الأرض بـ ٨٦١٦٤ ثانية والسنة بـ ٣١٥٥٦٩٢٦ ثانية ، وحسب آية الحج فان ١٠٠٠ سنه ارضية تقدر بيوم عند الله واذن (٨٦١٦٤) ثانيه عند الله = ٣١٥٥٦٩٢٦٠٠٠ ثانية أرضية ، وبذلك تكون الثانية الواحدة عند الله = ٣٦٦٢٤٢٠٥ " يوسف مروة : العلوم الطبيعية فى القرآن ص ١٨٢ - ١٨٣ " .

(٢) التركى : لله العلم ص ١٠٦

يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين)[١] . يونس ٤٥

ومع هذا فهناك حقائق (فيزيائية) لا تستطيع النسبية تفسيرها يقول أحد[٢] زعماء فلاسفة النسبية " ان العلوم الفيزيائية محدودة في دائرة من دوائر المعرفة البشرية لا تخرج عنها ، والباب مفتوح أمام العقل البشري للوصول الى المعرفة عن غير طريق العلم التجريبي "[٣] وهذا اعتراف صريح بقصور العلم عن حل كل المعضلات بالرغم غرور المعتدين بمعجزة العلم

٢ - ثبوت سرعة النور في الكون :

تبين للباحثين أن مدى فاعلية الحواس البشرية[٤] محدود ومقيد فأذن الانسان لا تستطيع سماع الأصوات التي تتراوح ذبذباتها الصوتية بين ١٥ و ٢٠٠٠٠ ذبذبة في الثانية ولا يمكنها أن تسمع ما دون أو ما فوق وكذلك عينه لا تستطيع أن ترى الا الاجسام التي تتذبذب بين ٢٠ و ٤٠

---

(١) سورة يونس الآيه ٤٥

(٢) هو أرثر اديغتون صاحب كتاب كنه العالم الطبيعي .

(٣) يوسف مروة : العلوم الطبيعية في القرآن ص ١٧٩

(٤) أثبت البحث العلمي أن الجسم البشري شبكة كهربائية لا مثيل لها ففي الأذن ١٠٠ ألف خلية سمعية وفي العين ١٣٠ مليونا من الخلايا الكهرضوئية التي تستقبل النور
المصدر السابق ص ١٨٥

ذبذبة في الثانية ، والتي تتحرك بسرعات أقل من سرعات النور يقـــول " لنـكوان برانت " : " ان ما يدركه الانسان عن الحقيقة التي تحيط به محدود بسبب عجز جهاز الابصار عنده ولو أن عينه كانت أكثر حساســـية فتدرك مثلا موجات الأشعة السينية لبدت له الدنيا مختلفة تماما عمـــا يراها الآن "[1] .

وما دامت العين لا ترى الا بواسطة انعكاس شعاع النور عن الجسم المتحرك الى العين ، فان هذا يعني استحالة مراقبة جسم يتحرك بسرعة أكبر من سرعة النور ، لأن النور لا يستطيع أن يدركه وينعكس عنه الـــى عين المراقب فهذه الحقيقة العلمية تجعلنا أكثر فهما لقوله تعالى (وأنزل جنودا لم تروها)[2] وقوله : (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء)[3] .

واذن فالملائكة والجان لا نراهم رغم وجودهم حولنا لأن حواســـنا وأجهزتنا عاجزة عن ذلك ، فقد تكون هذه المخلوقات متحركة بسرعـــة تفوق سرعة النور فلا يقع عليها وبالتالي لا نشاهدها أو ندركها مما هو موجود حولنا وفوقنا

(١) المصدر السابق ص ١٨٦

(٢) سورة التوبة الآية ٢٦

(٣) سورة الشورى الآية ٥١

٣ - انحراف شعاع النور عند مروره بالحقل الجاذبي :

عندما ينتقل شعاع النور من الهواء الى الماء فانه ينكسر وكذلك اذا انتقل من وسط غير جاذبي الى وسط جاذبي ينحني وينحرف وسبب هذا أن النور يتألف من فوتونات (ضوئيات) مدببة ناتجه عن تفاعل الكترون سالب مع بوزيترون موجب كذلك فان للنور ضغطا ووزنا أو هو ذو طبيعة ثنائية (جسيمة موجبة) في آن واحد (١) .

" هذه الأمور حقائق علمية مسلم بها اثبتتها الأرصاد الفلكية والتجارب الدقيقة في المختبرات الذرية البصرية ، فنور النجم الذي يمر قرب الشمس ينحرف وينحني بمقدار ١٫٧٤ ثالثه من قوس الدائرة ، وهو ما أدى بخاطر بعض العلماء سؤال يقول هل من الممكن وجود نجوم تملك حقلا جاذبيا كبيرا الى درجة يمكنه معها أن يجعل شعاع النور ينحني بمقدار ٩٠ درجة ، بحيث اذا مر النور بهذا الحقل الجاذبي يختفي ، حيث يجذبه الحقل الجاذبي اليه ولا يدعه يفلت أو ينعكس "(٢)

هذا الفرض جعل العلماء يقولون بامكان وجود نجوم وكواكب لا نستطيع رؤيتها ورصدها ولو كانت قريبة منا ، ما دام النور الذي بواسطته نرى لا ينعكس عنها اذا سقط عليها ولا ينفلت منها اذا مر الى جانبها .

---

(١) يوسف مروة : العلوم الطبيعية في القرآن ص ١٩٤ بتصرف .
(٢) المصدر السابق ص ١٩٤ - ١٩٥

وهذه حقيقة أخرى تحدد معرفة الانسان وتلجمها فوجوده المادة وعدم تمكن العين البشرية من رؤيتها فى الآن نفسه قد اثبتتها التجربة الفيزيائية الحسية حيث تمكن الفيزيائى النمساوى ستيفان بريبل فى جامعة فينا من ايجاد أشعة خاصة [١] اذا سلطت على انسان أو حيوان أو جماد جعلته يختفى عن العين أى ينعدم بالنسبة الى حاسة البصر فقط . [٢]

وهكذا اعترف العلم بالغيب وأثبت عجز التجربة عن اقتحام مجالات كثيرة .

---

(١) هى أشعة غير منظورة تم اكتشافها باستخدام مصابيح زئبقية وتيارات كهربائية ذات ضغوط مرتفعة جدا ، حيث ترشح هذه الأشعة خلال مرشح من حجر الكوارتز البنفسجي وبعد ترشيحها يسقط عليها مرايا لتعكسها فى أى اتجاه يريده فان اسلطت هذه الأشعة بعد ذلك على رجل أو مقعد أو ما شئت من سلع أو حيوانات اختفى كل هؤلاء لا عن العين فحسب بل عن عدسة آلة التصوير أيضا
" مروة : العلوم الطبيعية فى القرآن ص ١٩٦ - ٢١٧ " .

(٢) المصدر السابق ص ١٩٦

الباب الخامس

العلم يثبت

وجود الله ووحدانيته

الفصـــل الأول

العلم يثبت وجود الله ووحدانيته

تطرح مسألة بحث وجود الله تعالى ، في هذا العصر على الطريقة الآتية : الكون نظام أو تناسق " تحركي " متمعدن ، متكاثر ، ففي أي حالة من هذه الحالات يمكن للكون أن يقدم معلومات عن نفسه بنفسه ، عن نموه أو كبره ، أو ما هو معمول في ذاته "(١)

لقد وقع التخلي عن السؤال المعهود ، الخاص بأول تكوين " الكون " أو خلقه ، واكتفي بمسألة كون " الكون جهازا منظما ، أو مركبا من مجموعة من البدايات ، لا يمكن أن تفسر احداها التي تليها ، فالسابق لا يمكن الاكتفاء به لتفسير اللاحق ، ذلك لأنه بطول الزمان تتكاثر الأخبار ويصعب معرفة الصحيح منها "(٢)

واذن لابد من قبول كون الكون ليس جهازا مغلقا على نفسه مكتف بذاته بل يلزم القول بأن " الكون يلتقي بصفة مستمرة أمرا أووحيا خارجا عنه لينمو ، ويتكاثر ، ويغني "(٣)

وهذا حق يصدقه قوله تعالى : (انما قولنا لشيء اذا اردناه أن نقول له كن فيكون)(٤)

---

(١) المقصود بكلمة " ذاته " الكون كله باعتباره غير بسيط يشمل السماوات والارض وما لا نعلم .

(٢) لا يعرف الغرب قاعدة تناقل الأخبار التي يتميز بها المسلمون عن غيرهم والتي يتم فيها تحقيق النسبة بين الخبر ومصدره عن طريق ميزان دقيق يتضح فيه الخبر الصحيح من غيره .

(٣) ثبت علميا أن المادة التي يتركب منها الكون ليست خالدة ، فهي تتبخر على اشكال متعددة كالاشعاع والقسيمات : " التركي " الله العلم ص ١٢٣
(١) و (٢) و(٣) مايوجد بين قوسين من كلام كلود ترسمنتون (بتصرف) مشاكل الالحاد ص ٤٣٤

(٤) سورة النحل الآية ٤٠

وبهذا أمكن التوصل الى معرفة مصدر هذا الأمر أو الوحى ، الذى يسير هذا الكون ، ولكنه ليس الكون نفسه - كما يدعى الملحدون - لأنه لا يمكنه أن يستمر على هذا الابداع والتناسق من غير تناقض ، ولا أن يكون مفكرا بنفسه ، لأنه غير عاقل .

ثم من غير المعقول أن نكتفى بقبول ما نشاهده ، ونعتبره الموجود الوحيد ونصرف أذهاننا عن موجودات أخرى غائبة عن حواسنا ، ولكن آثارها قائمة بيننا والعلم آخذ فى اكتشافها . فسبحان القائل (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) .

وأما ما ذهب اليه الملحدون من القول بأن الكون جهاز لآلة كبيرة ، وأنه لا يتلقى أمرا ، ولا الهاما ، باعتبار أن الكائن الوحيد المتسبب فى الحياة ، هو مادة " الهيدروجين " فهذا باطل ولا شك ، لأنه حتى يكون كما يدعون ، أو يكون الحادهم مبنيا على عقل وفكر ثاقب ، يجب أن يكون هذا الكون أبديا وكذلك لا يكون به نماء حقيقى ، ولا ينقص منه شىء ، ولا يفنى لانه الخالق والموجد للكائنات .

* ولكن العلوم التجريبية أفادتنا خلاف ذلك حيث ثبت علميا أن الكون فى نظام على الدوام[1] ينمو ، ويتكاثر ويفنى نتيجة امر علوى . فهو مثل الجهاز الفيزيائى أو البيولوجى أو الفكرى ، اذا لم يسير الواحد منها ينطفىء من تلقاء نفسه ، ولم يعد يندرج فى عداد الأجهزة العاملة وبذلك ينحل من جزئياته ،

---

(١) دوام مؤقت ، وبأجل .

ويفقد تركيبه فهذه الحالة تصيب كل الكائنات فتموت ، ومن ضمنها الانسان الذى يعاد الى التراب (كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)[1].

غير أن الملحدين يلوون القضية فى اعوجاج شديد وعناد دائم ، بنفيهم التكوين والخلق المستمرين[2]. ذلك لأنهم غير مستعدين ، بأن يفكروا فى كون العالم قائم على نظام تكوينى أو خلقى .

ولقد استشهد كثير من العلماء التجريبيين بمسألة الخلق هذه ، وبالنظام الموحد فى المخلوقات العليا على وجود البارى تعالى ، فقال أحدهم[3] " لا يكون الفروج "[4] عند بداية نموه داخل البيضة على شكل حيوانى ، ولا يختص بالقوى الأساسية للحياة الا عندما تتجمع به العناصر الكيمائية للمادة .

وهذا التجمع لا يكون الا باتباع قوانين تهيمن على فيزياء كيميائية هذه المادة ، غير أن الأساس فى ايجاد الحياة لا تختص به الكيمياء ولا الفيزياء ولا شىء آخر . وانما تختص به فكرة مدبرة ففى كل جرثوم حي " فكرة خالقة

---

(١) سورة الرحمن الآيتان ٢٦ و ٢٧

(٢) كلود ترسمنتون : مشاكل الالحاد (ص ٤٣٥)

(٣) هو كلود بارنارد (Claude BERNARd) الطبيب وعالم الاحياء الفرنسى المعاصر .

(٤) الفروج : (بالفتح) فرخ الدجاجة (الجوهرى الصحاح باب الجيم فصل الفاء) .

مبدعة "[1] تتجلى فيه طوال بقائه حيا ، حيث يكون تحت نفوذها هي فقط ، ولا يحصل الموت الا عند نفاد هذه الفكرة .[2]

وهكذا تنساق جميع الخلائق لهذه القوة الوحيدة الخالقة والمسيرة فالطبيعة تكون مختلطة ، اختلاط الحابل بالنابل الى أن تأتيها هذه القوة فتخرج منها شتى الكائنات " فهي كالحروف الهجائية المبعثرة داخل علبة فيأتي من يؤلفها ليعبر بها عن افكاره "[3] .

قد تثبت التجربة فعلا - كما يقول هذا الباحث - أن الطبيعة[4] الأصلية على درجة كبيرة من المرونة مما يجعلها صالحة للتشكيل والتطويع لتأخذ الشكل والجوهر المناسب ، الذي يسمح لها بأداء دورها المرسوم لها في هذا الكون .

---

(١) و(٢) لقد أخطأ هذا العالم التجريبي حيث قلد أصحاب " المذهب الآلي" فسمى الله تعالى بغير اسمه ، فقال عنه " فكره خالقه مبدعه " وعبر عن قدرته عز وجل اذ يقول للشيء كن فيكون بقوله : " ففي كل جرثوم حي فكرة خالقه مبدعه " كما قال بتفاد هذه الفكرة ، وكلها تعابير غير معبرة لا تليق بالخالق عز وجل ، ولي معوج للحقائق العلمية الدالة على وجود الخالق .

(٣) كلود بارنارد : مدخل الى الطب التجريبي ص ١٤٠ - ١٤١ ط فلاماريون باريس
claude BERNARD Introduction à L'Etude de LA Medecine exprimentale ed: FLAMMARION PARIS .

(٤) الطبيعة : هي الخلقة الفطرية من وجهة النظر الاسلامي .

ولكن لا يعني هذا ان الطبيعة غير مخلوقة ، بل هي الخلقة كلها التي تظهر فيها قدرة الله الخالق المدبر الهادي ، (الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)[1]

وكل مخلوق هداه الله بما جعل فيه من خصائص خلقية وغريزية وعضوية توصله ببيئته التي يعيش فيها ليتفاعل معها ، اذ الطبيعة وحدها عاجزة وغير واعية فلا يمكنها أن تقنن أو تنظم سير الحياة فسبحان الله القائل (سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى)[2]

---

(١) سورة الأعراف الآيه ٥٤

(٢) سورة الأعلى الآيات ١ - ٣

الفصل الثاني

الكائنات الحية

الفصـــل الثانـي
الكائنـات الحيـــة

١) علاقة الروح بالحيـاة : -

رغم محاولات تفسير ظاهرة الحياة بوصفها مرحلة تمر بها الأجساد بقيت مسألة بعيدة عن الفهم لم يدركها الانسان بسبب عدم اخضاعهـا لأساليب الدراسة التجريبية العلمية ، اذ الروح الذى هو سبب الحياة لا وزن له ولا حجم ، مما جعلنا نجهل حقيقة ما هيته وكيفية تأثيره فى افادة الحياة ، قال تعالى : (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلا) [1] ، فقوله سبحانه عن الروح أنه من أمر ربى أى من فعله [2] تعالى .

وهذا فى حد ذاته كان فى صعوبة تفسيره ، وقوله : (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) دلالة على عدم احاطة الانسان بحقائق أكثر الأشياء وما هيتها ، فعقول الخلق قاصرة ولا شك عن حل أسرار كثيرة من الأشياء ، ولذا لم يلزم من عدم العلم بحقيقة شىء ما نفيه

---

(١) سورة الاسراء الآية ٨٥ .

(٢) جاء لفظ الأمر فى القرآن بمعنى الفعل من مثل قوله تعالى : (وما أمر فرعون برشيد) سورة هود الآية ٩٧ ، أى فعله وقوله (فلما جاء أمرنا) سورة هود الآية ٦٦ ، أى فعلنا .

فنحن نستخدم الكهرباء والالكترون والطاقة والموجة اللاسلكية ، ومع هذا لا نعرف كنه هذه الطاقة كلها ، انما نعرف فقط العلاقات والكميات والقوانين ، ولكننا نجهل ما هياتها ، يقول جاوردى [1] : (لا نستطيع أن ندرك بوضوح مفهوم الحركة الا بطرد اشباع القوى المزعومة الميكانيكية [2] الحرارية الكيمائية الكهربائية المغناطيسية البيولوجية فكل قوة من هذه القوى المزعومة ليست سوى حثالة لنزعة الغيبية ، فنحن لا نعرف تماما

---

(١) جاوردى هو : روجى جاوردى الفيلسوف الفرنسى المعاصر كان عضوا بارزا فى الحزب الشيوعي الفرنسى ثم استقال وقال فى خطاب الاستقالة " ان الشيوعية مذهب ملحد سيزيد من مأساة الشباب الغربى الذى ضيعته المادية القاتلة ولا يمكن لحزب شيوعي أن يحرر هذا الشباب". وبعدها أعلن أنه يجب العودة الى الأديان وبعد بحث دقيق اقتنع بجدوى الاسلام فاعتنقه أخيرا وتسمى (رجاء) ويدعو جاوردى الى الحوار بين الحضارات ، والى الاهتمام بالحضارة الاسلامية ، ومن كتبه نداء الأحياء ، وعود الاسلام .

(٢) يعتمد تفسير ظاهرة الحياة على نظريتين أساسيتين :
الأولى : النظرية الحيوية القائمة على أساس الفكرة القائلة بأن ما نراه من سلوك الكائنات الحية لا تتحكم فيه قوانين الطبيعة المادية ويدخل تحت هذه النظرية (التفسير الدينى للحياة) .
الثانية : النظرية الميكانيكية وتخضع السلوك كله لقوانين الطبيعة المادية التى تستخلصها من دراسة العالم المادى "د / محمد جمال الدين الفندى : رسالة العلم والايمان ص ٢٨ وما بعدها " .

حقيقة العالم الذى تتحكم فيه القوانين ، فهل البروتوبلازم[1] ومحتوياتها Protplasma مصدر كل الحياة ، فالانسان مثلا حيوان أو تكوين مادى معقد التركيب للغاية فهل حياته ناجمة عن نفس المادة ، أى أن الحياة صفة من صفات المادة فى بعض مراحلها (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ، فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون)[2] ، فعندما ينام الانسان يظل جسمه حيا ولكن تغادره الروح لكي تسبح فى عالم الأرواح الذى من وراء المادة ولا يخضع لقوانين الطبيعة ثم تعود الى جسدها عندما يستيقظ ، واذن فالانسان النائم كائن حي بلا روح .

فما حقيقة الروح ؟

أهو جسم موجود داخل البدن متولد من امتزاج الطبائع والاخلاط ؟

أما هو نفس التركيب القائم بهذا البدن ؟

أم هو عبارة عن موجود يغاير الاجسام والأعراض ؟

---

(١) البروتوبلازما هى المادة الزلالية الحية التى تتكون منها خلية الأجسام النباتية والحيوانية وهى النطفة فى بعض الترجمات .

(٢) سورة الزمر آية ٤٢ .

هذه الأسئلة حيرت الانسان ودفعته لايجاد " علم الحيـــــاة " محاولا حل لغزها المحير .

علـوم الاحيـاء :

وقد تمثل هذا العلم فى علوم الاحياء التجريبية التى لها مشاكلهـــا ومنهجها ونظرياتها وهى تشمل :

(أ) علم الفسيولوجيات Pysiologie أى علم وظائـــف الأعضاء ، وقد كان يقتصر على ما فيه من حتمية[1] ، وعلى تفســـير الوظائف عن طريق الوسط الداخلى وأما منهجه فهو التشريح الحـــى أى ملاحظة طريقة عمل الأعضاء فى حالتها الحية ، ثم تطور فى العصر الحديث الى بحث مسألة التفسير الغائى[2] الـذى ينحصر فى النقاط التالية :

(١) أنظر مسألة الحتمية عند الفيزيائى فى هذا البحث .

(٢) يقصد بالتفسير الغائى : الغرض الذى يقوم فى ذهن الانسان ويسعى الى تحقيقه بتنفيذ الوسائل والأسباب التى توصله الى ذلك الغرض ، فالغرض الذى قام فى ذهنه هو العلة لتحقيق تلك الوسائل والأسباب وبما أن هذا الغرض فى الحقيقة غاية يستهدفها الانسان عند مباشرته الأسباب يطلق عليه العلماء " العلة الغائية " مثال ذلك احساسك بالحاجة الى الشرب يدفعك الى أخذ الماء وشربه ، وهذا لا ينطبق على ارادة الله التامة التى لا يشوبها أى معنى من معانى الجـــبر ، وبذلك تفترق ارادة اللـــه ، عـن ارادة الانســـان .

= = =

١) ميتا فيزيقيا الغاية : أى هل هناك عناية الهية أم طبيعة تسهر على رعاية مصالح الكائنات الحية .

٢) مسألة القيم : هل التفسير الغائى يؤدى بنا الى اعتبار القيم ؟ وهى اعتبارات لا شأن للعلم التجريبى بها باعتباره علم مبتور من أى غاية ربانية .

= وأما المقصود من العلة الغائية لافعال الله تعالى ، فهو بيان ما وراء هذه الأفعال من حكم ومصالح ، تأتى مترتبة عليها ، يعلمها الله عز وجل دون أن تكون هذه الحكم والمصالح عللا غائية دافعة لله الى تلك الأفعال ، والله تعالى قادر على أن يوجد تلك المصالح والحكم بدون أن يجعلها عللا غائية دافعة له سبحانه لفعلها ، ولكنه اراد ﷻ تعالى أن ينبه عقول العباد عن طريق هذا الترتيب والتنظيم الفعلى أن للعالم خالقا ومدبرا فيؤمن به وتستجيب له قلوبهم ، وكذلك قادر على أن يبث فى روعهم هذا الايمان بدون التأمل بشىء من مظاهر الكون ، وبدون أن يقام على شىء من التنظيم والتنسيق ولكنه شاء أن يكون ايمان الناس بجهد وعقل يبذلونه ليستأهلوا الأجر أو الوزر على وجهدهم الذاتى .
وكان الله قادرا كذلك على أن لا يكلفهم ولا يخلقهم أصلا ، ولم يكن ينقصه شىء لو لم يخلقهم ، ولم يخلق شيئا من هذا الكون كله ، ولكنه هكذا أراد ولا راد لقضائه ولا يسأل عما يفعل غير أنه تقدر علة غائية لأن الكون قائم فى منهجه ومظهره على نظام العلية ، وفى ذلك تنبيه للأذهان الى وجود الخالق المدبر . يراجع فى ذلك الدكتور/ محمد سعيد رمضان البسوطى فى كبرى اليقينات الكونية ص ١٥٨ ط دار الفكر ١٣٩٧هـ .

٣) كيف يوفق بين التفسيرات الغائية ؟ فهل يتسنى لنا التوفيق في ما هو في صالح كائن عضوي وما هو في صالح كائن آخر ؟ هل خلق العشب من أجل أكلة العشب ؟ أم أن أكلة العشب خلقت من أجل أكلة اللحوم ؟ ولمن أو لم خلقت أكلة اللحوم ؟ (١)

فربط هذه الغايات بالعلم الوضعي ، وهو جوهر العلم في المنظور الاسلامي حيث تبحث العلة بين الأسباب وبين الغايات ، وتبحث العلاقات بين الأشياء فيما بينها ، وبينها وبين الله ، وهذه غاية الغايات التي تشكل آيات الله في الأفاق وفي الأنفس ، وهي أمور لا نجد كالعلم الحديث اذا ما تم ربطه بالقرآن العظيم ، أقدر منه على اثباتها لله تعالى ، فالقرآن ينير السبيل للعلم ، ولا يحد منه ،

---

(١) لقد وجه لهذا الاتجاه اعتراضات نذكر منها أن تقدم العلم انما هو تقدم في التفسير عن طريق العلل ، أي علل علمية خاصة بظواهر خلق الأعضاء لا غير ، ثانيا أن التفسير الغائي لا يمكن استخدامه من الناحية العلمية ، اذ لا يهم أي عالم أن يعلم الغاية من عمل أي عضو ، وهذا الاعتراض مرفوض بدليل سعي الانسان الدائم للبحث عن الجواب الشافي لسر وجوده ومصيره .

والعلم يتحمل ادراك مدى حدوده وسلطاته [1] .

أما هذه الوسائل التى يسمى العلم لمعرفتها ، فهى من الأمور التى تدخل فى نطاقه ولا شك ، ثم تطوره فى هذا العصر يدفعه الى أن يكشف باستمرار أشياء ليست فى امكاننا رؤيتها ، أو معرفة ماهيتها ، ومع ذلك لا نستطيع نفيها ، وكما سبق فالالكترون والمغناطيس وحتى التيار الكهربائى مثلا كلها أشياء موجودة ، والدليل على ذلك آثارها التى فى خدمتنا .

كذلك ظاهرة الحياة أو مشكلة الموت ، فسر وجودهما لغز محير ، ومع ذلك نحيا ونموت دون خيارنا : (ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحى ذلكم الله فانى تؤفكون) [2] لقد ساعدت اللغة العربية المفسرين على تفسير يخرج الحي من الميت على وجهين :

---

(١) يعترف بعض علماء الغرب وفلاسفته بأن العلم الغربى نتاج عقل سقيم ومبتور من كل معنى متسامي ، وان الفلسفة الغربية للعلوم تنحصر فى دراسة ونقد المناهج والتقنيات ، وكان الأجدر أن تبحث الغايات فى المقام الأول فأزمة العلوم تتمثل فى عدم البحث عن معنى الحياة والموت ، والقصد الالهى بالصراط المستقيم ؛ (جارودى : مستقبل الاجتهاد . الأديان: العدد ٤٠ ص ٣ ملحق جريدة " المدينة "

(٢) سورة الانعام آيه ٩٥

الأول : معنوى : فاعتبروا الايمان والصلاح والعلم حياة ، والكفر والفلاح والجهل موت ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : (أو من كان ميتا فأحييناه)[1] أى كان كافرا فهديناه فجعل الموت كفرا ، والحياة ايمانا .[2]

والثاني : حسي : أى اعتبروا اخراج النبات من الأرض احياء واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : (ويحي الأرض بعد موتها)[3] وقوله : (فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها)[4] وقد مثل له باخراج النخلة من النواة والعكس وخروج الانسان من النطفة ، والطائر ونحوه من البيضة والعكس .

ويمرر صاحب تفسير المنار هذا التمثيل الحسي فيقول :" التمثيل صحيح وان أثبت علماء هذا الشأن ان فى النطفة حياة ، وكذا فى البيضة والنواة ، لأن هذه الحياة اصطلاحية لأهل الفن فى عرفهم دون العرف العام الذى جاء التنزيل به .[5]

---

(١) سورة الأنعام آية ١٢٢ .
(٢) الفخر الرازى التفسير الكبير جـ ٨ ص ١١ .
(٣) سورة الروم آية ١٩
(٤) سورة فاطر الآية ٩ .
(٥) رشيد رضا : تفسير المنار جـ ٣ ص ٢٧٥ .

ويبدو أن المعنى من اخراج الحي من الميت حاصل بوضوح وفي كل حين ، فالكائن الحي ينمو بأكل أشياء ميتة تحولها قدرة الله تعالى الى عناصر ومواد من نوع ذلك الكائن ، فيكبر الطفل ويسمن الحيوان بالمتغذى منه لبن أو غيره ، وهذا أهم علامة تفصل الجسم الحي من الميت .

وأما اخراج الميت من الحي فمثل افرازات الجسم كالحليب الذى هو سائل ليس فيه شيء حي .(١)

وهذا يظهر لنا أنه كلما اتسع افق العلم ، كلما ازددنا معرفة بالله ، ذلك لأن العلم يزودنا ببراهين قطعية على وجود الخالق الأزلي القدير الذى لا حد لقدرته ، وهو ما نجد الاشارة اليه في قوله تعالى : (ان في السموات والأرض لآيات للمؤمنين ، وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون ، واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون)(٢) .

فهذه الآية موجهة للمؤمنين الموقنين والذين يعقلون وكلهم أصحاب علم ، وان كان علمهم ناقصا ، الا أنه يساعدهم على المعرفة بالخالق .

---

(١) الدكتوران : عبد الحميد دياب ، وأحمد قرقوز : مع الطب في القرآن الكريم ص ٥٥ (رسالة دكتوراه في الطب) وأنظر د . عبد العزيز باشا اسماعيل : الاسلام والطب الحديث .

(٢) سورة الجاثية الآيات ٣ - ٤ - ٥ .

فاشارة الآية الى علوم الفلك والجيولوجيا والاحياء والارصاد الجوى والجغرافيا كلها مهمة لمعرفة الخالق .

ب - البيولوجيا :-

نشأ هذا العلم عن مذهب التطور الذى توصل اليه كل من لامارك LAMARK الفرنسى وداروين DARWIN الانجليزى اليهودى ، وهو علم يبحث فى تفسير الأشكال الحية عن طريق البيئة الخارجية والسلالات السابقة ، واتخذ هذا العلم منهج بحثه المذهب التطورى .

ثم اتجه علماء البيولوجيا الحديثة الى محاولة تفسير مسائل الأجنة والأنسجة والخلايا والوراثة ، وبذلك كان موضوع هذا العلم الكائن الحي طبقا للخصائص التى تميزه عن غيره من الكائنات الحاسة وتنحصر خصائص الكائن الحي فى الفردية ، النمو ، التغذى ، التعويض ، البقاء والتناسل[1] !

ويتنهمنا لهذه الخصائص نخلص الى أن الذى افرد كل نوع بخصائص معدده لم تتغير أو تخطأ ابدا هو الذى قال عن نفسه (انا كل شىء خلقناه بقدر)[2]

---

(١) مجموعة من الأساتذة : كتاب الفلسفة : فصل علم الحياة ص ٢٧٣ وما بعدها

(٢) سورة القمر الآيه ٤٩

٢ـ المادة الحيـــة :-

الخلية أعجب ظاهرة فى هذا الكون انها مادة مثيرة باستمـــرار وهى مميزة تعيش من عطاء المادة الفيزيائية التى تولد منها ، والـتى تجسدها وتختار تعويضها ، تتصرف من نفسها ودافع تلتئم وتستقبل (١) فسبحان (الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) (٢) .

والخلية النباتية تتمتع هى الأخرى باستقلال ذاتى وبقدرة علـى التنفس والتغذى والانتاج عن طريق الطاقة الشمسية والظاهرة الهوائية ولاعطاء أهمية " فسيولوجية " وظائف أعضاء مختلف المجموعات الحية علينا أن نفهم مضمون التفاعلات كعامل فسيولوجي " لكل نوع خليـــة على حدة ، فعلى الأرض يوجد النبات والحيوان ، وتعايشهما غيـــر متشابه ، اذ الحيوان ليس له بخضور CLORpylle وليس فـى امكانه اخذ الفحم " الكربون " ولا الآزوت من الهواء . (٣)

ثم ان عالم النبات يخضع لتفاعلات دقيقة وحركة منظمة وقوانيـــن ثابتة ، وكل من النبات والحيوان له الاستعدادات الكافية على مسايـرة

---

(١) وانتربار : الخلق الحي فى تطوره ص ١٤٥
WINTREBERT : LE VIVANT CREATEUR DE SON EVOLUTION P145

(٢) سورة طه الآية ٥٠ وأولها (قال ربنا) .

(٣) شارل كومبالوزيه : الله غدا ص
CHARLES COMBALUSIER DIEU DEMAIN P16

الأجواء والظروف المختلفة ، فمن الذى زود هذه الكائنات الحيـــة بالقدرة على التكيف : (قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا) [1] الاستفهام فى هذه الآية الكريمة للتعجيز والتوبيخ وجواب علمـــاء الأحياء على ذلك أن تعريف الكائن الحي مسألة معقدة ولا تكـــون الا عن طريق معرفة الجزىء ، وبما أن هذا الجزىء يتوالد من الحياة حسب اعتقادهم فان أوائل الأحياء هي الجزيئات لأنها الأصغـــر ، وهذه مسألة نظرية ظنية ليس لديهم دليل على اثباتها ذلـــك لأن الفيروسات والكائنات الأخرى غير معروفة الأن الا حية ، وفى حالـــة عمل .

وهذا يثبت علمهم الناقص ولا شك طبقا لقوله تعالى : (ويسألونـك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا) [2] فجهل العلماء بأول الأحياء يدل على أن مجالات التجربة لا تكفى وحدهـــا لدراسة سنن الحياة ولا لادراك الحقيقة الكاملة ، ذلك لأن العلـــم هبة الله ، قال تعالى : (ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء) [3] .

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٤٨ .

(٢) الاسراء آية ٨٥ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٥ .

ثم ان اية ذرة Atom أو جزئ Molécule ليس له فكر يعقل أبدا أى أن اية اتحاد للعناصر لم يتولد عنه رأى ابدا ثم ان القانون الطبيعى لم يستطع (من ذاته) احداث أى نظام دقيق لأى كائن حى مثلا . وهو ما يفسر ان وراء هذه الكائنات خالق ومدبر لها .

فالكائن الحى عبارة عن ذرات وجزيئات ، ولكن ماذا ايضا ؟ هنـــاك شىء آخر غير ملموس ولا شك أعلى كثيرا من المادة يسيطر على كل شىء ومختلف جدا عن كل ماهو مادى مما منع منه انه لا يمكن رؤيته ولا وزنه ولا قياسه . وليست له قوانين تحكمه عندنا انه الروح سيد كل كائن حى الذى نشعر بصلته القوية بالمصدر الاعلى (١) ألا وهو الله تعالى .

وبمحاولة البحث فى محيطنا الحى والتعامل معه على اساس أنه مسخر لنا : (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه ،ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (٢) نستطيع أن نعرف خصائص المخلوقات وبالتالى نعـــرف الله الخالق ونقدره حق قدره عملا بقوله تعالى : (وقل ربى زدنى علما) (٣)

٣ - من كل شىء زوجين :

كان اعتقاد علماء الاحياء فى الماضى القريب ان الخلايا أولى الكائنات الحية وان أصغر المخلوقات المعروفة وقتها قادرة من نفسها على التنقـــل والانتاج .

---

(١) كريسى موريسون : العلم يدعو للايمان : ترجمة محمود صالح الفلكى ص ٢٠٣ (بتصرف)

(٢) الجاثية ايه ١٣

(٣) طه ايه ١١٤

وكان اعتقادهم ايضا ان المادة الحية تتميز بحالة غروية Colloïdal (١) وغير قابلة للتبلر (٢) NON CRISTALLISABLE والوحيدة القابلة للتبلر هي المادة غير الحية ، وبواسطة المجهر الكهربي " الكتروني "وتقنيات أخرى متقدمة تمكن العلماء من دفع بحوثهم الى ابعد من هذا ، فقد تمكنوا الآن من التعرف على كائنات حية :" فيروسات دقيقة جدا " قابلة للتبلر والانتاج من نفسها قال تعالى على لسان موسى عليه السلام : (قال ربنا الذى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى) وقال تعالى (سبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى) (٣) فقد هدى كل مخلوق الى ما قدره تعالى .

وقد تعرفوا ايضا على ملتهمات للجراثيم وكائنات اخرى متحركة من بين هذه الفيروسات لها اهمية كبيرة وتعمل بأوامر العزيز فتتمتع بقوة جيوش دفاع قوية في حالة وجود فيروس يعمل على نشر بعض الامراض المعدية (INFECTIEUSE) .

وهكذا يثبت العلم ان المادة تتركب من قسيمات وكل قسيمة مادية لها زوجها اى أنها مكونة من مادة والزوج من مادة نقيضه (٤) وهذا مصداق قوله

---

(١) أى ان حالة المادة الحية مكونة من جزيئات غروانية على هيئة حبيبات باحجام متغيرة وهذا هو القسم الاول من المادة المعروف بالذرات أى الافراد .

(٢) اى ليست من قسم البلورات التى هى ماده مكونه من افراد منظمة تعرف (بالمجموعات) .

(٣) سورة الأعلى الآيات (١ - ٢ - ٣)

(٤) هى ذرات سالبة كالكلور فى ملح الطعام وذرات موجبة هى السوديوم - ويوجد فى ملح الطعام أيضا .

عز وجل " سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون " (١) وقوله (ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) (٢) فالبلورات كائنات حيه ومخلوقه من زوجين ، كذلك الفيروس قد يتحول الى بلورات في ظروف معينة (٣) وبذلك يصير زوجيا أيضا .

وكذلك الذرة التى تتكون من نواة موجبة والكترونات سالبة تدور حول النواة ، وحتى الهيدروجينات مزدوجة هى الاخرى ، فاذا كانت الهيدروجينات متركبة من نوع واحد من الذرات مثلا (هـ ٢) فانه يتحول في كل وقت الكترونا ، من ذرة الى اخرى فتصبح واحدة (هـ +) ، والاخرى (هـ -) وهكذا يقع الازدواج (هـ + هـ - ينتج هـ ٢ " $H_2 \Rightarrow H^- + H^+$ " اى غاز الهيدروجين .

وكل الكائنات الحية سواء كانت بشرية أو حيوانية أو نباتية زوجيه قال تعالى : (وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى) (٤) وقال : (الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فأخرجنا به ازواجا من نبات شتى) (٥)

---

(١) سورة يس ايه ٣٦
(٢) سورة الذاريات آيه ٤٩
(٣) التركى : لله العلم ص ١٨٠
(٤) سورة النجم الآيتان (٤٥ - ٤٦)
(٥) سورة طه آيه ٥٣

٤ - نظام التزاوج :

الزوج كل اثنين ضد الفرد سواء أكان لهذا الزوج نظير او نقيض كالذكر والانثى والليل والنهار والحلو والمر قال الجوهرى : " تقول اشتريت زوجي حمام وانت تعني ذكرا وانثى " (١) وعند الاصفهانى أنه يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والانثى فى الحيوانات المتزاوجة زوج ، وكذلك فى غيرها كالخف والنعال ولكل ما يقترن بآخر مماثلا له ، او مضاد) (٢)

وجاء معنى الاقتران هذا فى قوله تعالى : (وزوجناهم بحورعين) (٣) اى قرناهم بهن ، وفى قوله " احشروا الذين ظلموا وازواجهم " (٤)

واما قوله تعالى فى سورة هود (من كل زوجين اثنين) (٥) فالظاهر بالزوج هنا (ما به عدد ينقسم بمتساويين) (٦) من غير تعيين لحدوده وهو ما يدل عليه قوله سبحانه (سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون (٧) وقوله : (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) (٨)

ورغم ان ذكر الايتين السابقتين جاءتا فى معرض توجيه الناس الى التأمل فى نعم الله عليهم وفى الاعتقاد بوجوده بحق ، وعبادته وحده دون سواه

(١) الجوهرى : الصحاح : فصل الزاى باب الجيم
(٢) الاصفهانى : المفردات كتاب الزاى
(٣) سورة الدخان الايه ٥٤
(٤) سورة الصافات الايه ٢٢
(٥) سورة هود الايه ٤٠
(٦) هذا تعريف الزوج عند الجرجانى : التعريفات باب الزاء
(٧) سورة يس ايه ٣٦
(٨) سورة الذاريات ايه ٤٩

الا انهما اشارتا بوضوح الى نظام التزاوج هذا ، وأنه قاعدة عامة فى جميع مخلوقات الله تعالى .

وهذه مسألة علمية كانت مجهولة تماما عن البشرية زمن نزول القـــرآن الكريم ، لم يتوصل اليها العلماء الا فى العصور الحديثة حيث أمكنهم كشف اليسير من هذا النظام وبقى الكثير عن الأزواج مجهولا ، مصداقا لقولـــه تعالى : (ومما لا يعلمون) فقد أكتشفت قسيمات عديدة فى المادة تتولـد بعضها من بعض ولكن العلماء يجهلون الرابط العضوى بينها ، الا انه من المؤكد لديهم ان كل هذه القسيمات مزدوجة أى أن الواحدة منها مكونة من مادة والزوج من مادة نقيضه (١) فالالكترون يقابله الالكترون النقيـــض ، والبروتون له هو الآخر بروتون نقيض ، فنواة الذرة تتركب دائما من زوجـين ، هما النيوترون المتعادل والبروتون الموجب (ولا توجد ولو نواة واحـــــدة متركبة من بروتونات وحدها او نيترونات وحدها) (٢)

وكذلك الهباءات كلها تتركب من ذرات موجبة وأخرى سالبة ، وما وجد منها من نوع واحد فيتحول دائما الكترونا من ذرتين . موجبة وسالبة مثـــال

---

(١) التركى لله العلم ص ٩٧

(٢) المرجع السابق ويقول المؤلف : (وقد كان هدف من اهداف بحثـــى العلمى فى الفيزياء النووية فى (كولاج دى فرانس) بباريس من سنة ١٩٥٦ - الى سنة ١٩٥٩ ، هو امكانية اكتشاف نيوترونين متكتلتين معا فى نواة واحدة حسب العماية النووية فلم اجدها ولم يكتشف اى باحث علمى الى اليوم نواة متركبة مـــن نيونرونات فقط رغم أن شحنتها الكربائية متعادلة لله العلم ص ٩٧

ذلك غاز الهيدروجين الذى يرمز له بـ (هـ ٢) ويتكون من مجموع(هـ + هـ -) ج هـ ٢

وهكذا ، كل ما فى الوجود مقام على نظام الازواج سواء أكانت هـذه الازواج متقابلة فى الخلقة أو فى التفاعلات الكيمائية بصفة عامة والتزواج موجود فى الذره والصجر (١) وموجود فى الساكن والمتحرك وفى النبات ، والحيوان والانسان وهذه بعض صوره .

فى النبـات :

يتمتع قسم من النبات بأعضاء خاصة لغرض التناسل الجنسى (٢) حيث تظهر بالزهرة بعد بلوغ النبات وتكامل نموه الاعضاء الذكرية " الابر " والاعضاء الانثوية " البويضات " ففى الزيتون مثلا نجد أزهاره تتكون من اربع وريقات كأسية واربع وريقات توبجية متلاحمة من القاعدة ومن سداتين تنتهى كل منهـا بمئبر كبير ومن عضو أنثوى يتكون من مبيض به مسكنان بكل منهما بويضتان ومن هيا قصير ومسم مستعرض .

كذلك نجد ازهار النخلة ثنائية الجنس والمسكن تتجمع بشكل عناقيد ،

---

(١) المجرة مجموعة كبيرة من النجوم تقدر بمائة مليار نجم وقد شوهد فى الفضاء ضمن مجرة اللبن ، ألوف من الثنائيات النجمية تتألف من نجمين مرتبطين بشد بعضهما بعضا ويدوران فى مدار واحد .

(٢) هناك ظاهرتان للاخصاب :
الاولى : التلقيح : وهو اتحاد بويضة أنثى ببويضة ذكرية تتكون منهما الخلية التى بتوالدها السريع يتكون نبت جديد .
الثانية : الاختزال فى القضبان أى ان قضبان الخلية الوليده تساوى نصف عدد قضبان الخلية الام وهذا النوع من التوالد يكون فى الخلايا التناسلية على الخصوص حيث بعضها اناثا وبعضها ذكورا انظر التقرتى محمد بن عمر : العصارة من علم النبات ص ٦٠ المكتبه العتيقة تونس ١٩٥٠

وتتكون الذكرية منها من ثلاث وريقات كاسيه وثلاث وريقات تويجيه وستة ذكور .

أما الاناث فتتكون من ثلاث وريقات كاسية وثلاث وريقات تويجية ومبيض له ثلاث مساكن .

والقاح النجيل صناعي غالبا حيث تفرك عناقيد الزهور الذكرية فوق الزهور الاناث . أما اذا كانت الفحاحيل في ناحية الصبا وهب الريح منها على الاناث وقت التأبير فقد تتأثر برائحة طلع الفحاحيل وهذه من فوائد الريح التي قال عنها ابن عباس رضي الله عنهما تلقح الرياح السحاب والشجر وهذا معروف عند العرب حيث يقول راجزهم : (١)

تأبري يا خيرة الفسيل

تأبري من حنذ (٢) فشولي

إذ ضن أهل النخل بالفحول (٣)

وهذا مصداق قوله تعالى : (فأنبتنا فيها من كل زوج كريم(٤) فقوله (من كل زوج كريم) يعم أيضا الحب والنوى ذلك ان تناسل الحبة يتم عندما ينفتح غطاؤها الخارجي فتخرج الجذور التي تنهل من التربة ما يلزم لنبات

---

(١) هو أحيحه بن الجلاح .

(٢) حنذ موضع قريب من المدينة المنورة .

(٣) معنى الشعر أن أهل حنذ ضنوا بطلعهم على قائل الشعر فهبت ريح الصبا وقت التأبير على الذكور واحتملت طلعها فألقته على الاناث فقام ذلك مقام التأبير : الجوهري الصحاح فصل الحاء باب الذال والمصباح المنير الفاء مع الحاء وما يثلثهما .

حب جديد ، فسنبلة القمح مثلا لها عدة مجاميع زهرية وتعرف كل مجموعة منها باسم سنيبلة وكل سنيبلة مغطاة من الاسفل الى الاعلى بغلافين يعرف كل منهما باسم قنبعة يحتضنان ثلاثة أزهار أو اربعا واذا ما فحصنا زهرة من هذه الزهور وجدناها مغطاة بغلافين يعرف كل منهما باسم عصيفة بداخلهما ثلاثة ذكور ومبيض كروى يعلوه ميسمان ، والقمح من فصيلة تدعى النجيلية يبلغ تعدادها حسب قول علماء هذا العصر خمسمائة وثلاثة آلاف جنس ويمكن تقسيمها الى ثلاث مجموعات :

١ - الحبوب : مثل القمح والشعير والذره والأرز .

٢ - ما يعطى علفا للدواب كالزوان وذنب الثعلب .

٣ - ما هو مستعمل فى الصناعة كالحلفاء وقصب السكر .

واما ما هو مجهول من هذه الفصيلة فلا يعلمه الا "الله فالق الحب والنوى" .

وأما قسم النبات الذى يتكاثر عن طريق الانقسام ، فيسمى عند العلماء باللاتزوجى (١) أو بالتكاثر الخلفى ، حيث ينمو بتجزئة الجهاز التناسلى

---

(١) ذكر د . موريس بوكاى : فى كتابه القرآن والتوراة والانجيل والعلم ص ٢١٤ :
أن عالمى النبات الفرنسيين (جيرامون) GUILLERMOND ومانجينو MANGENOT يعتبران هذا التكاثر (اللا تزوجى) حالة نمو خاصة » وهذا لا ينفى الزوجية لأن الثنائية موجودة فى الجهاز التناسلى بالجزء المغروس فى التربة .

للنبات الى عدة أجزاء وغرسها فى التربة ، ليكون كل جزء منها نباتا جديدا مماثلا لاصله كالتوت الرومى والكروم والورد والقرنفل .

والسؤال الذى يطرح لمحاولة فهم هذه الطريقة فى التكاثر ، هو لماذا ينقسم النبات أو حتى الطحالب ذات الخلية الواحدة الى اثنتين شديدتى الشبه بالخلية الام ، ولا ينقسم الى ثلاثة خلايا مثلا ؟

والجواب العلمى : أن كل وحيد الخلية ، ومتعدد ها ، يحمل علامة الذكورة والانوثة على حد سواء (١) وهذه العلامة تكون متصلة أومنفصلة وهو عين الازدواج الذى نبهنا اليه القرآن الكريم منذ اربعة عشر قرنا فى قوله تعالى : (وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج) (٢)

فى الثمار :

والثمار هى الاخرى لها أعضاء ذكورية ، واعضاء أنثوية فكل ثمرة تتكون من المبيض بعد تلقيحه ، ومن البزر المعد للتوالد ، وبتشريح أى ثمرة (٣)

---

(١) التقريتى : محمد بن عمر : العصارة من علم النبات ص ٦٠
(٢) سورة الحج الايه ٥
(٣) يتنوع الثمر حسب طبيعة الغلاف الخارجى الى نوعين هما :
أ - الثمار اللحمية وهى أربعة انواع :-
* الثمار العنبيه كالعنب والليمون
* الثمار اللبيه كالخوخ والمشمش والتمر والزيتون .
* الثمار التفاحية هى الاجاص والتفاح .
* الثمار المصمته ، والثمار المتفتحة كالبلوط والتفاح ، والثمار المصمته هى التى لا تنفتح من نفسها ، زمن النضج والمتفتحة التى تتفتح من نفسها زمن النضج كالفول .
ب - الثمار اليابسة وتشمل : * * الثمار الكاذبة البزر كالقمح والارز وحباد الشمس وابى فروة
* * الثمار العلبية وهى عدة انواع . العصارة

نجد غلافها يتكون من ثلاثة أجزاء :

١ ـ الغلاف الظاهر ، الذى يحمى الثمرة من العوامل الخارجية ، ويمتص الروح الفحمى (الكربون) بما له من مسام ، وهو فى الاصل البشرة الخارجية للمبيض .

٢ ـ الغلاف الأوسط ، وقد كان فى المبيض نسيجا خلويا ، وهو أبيض اللون مادة وفائدته تغذية البزر بما اختزن من المواد الغذائية .

٣ ـ الغلاف الباطن وقد كان البشرة الباطنية للمبيض ، وهو الغلاف المتصل بالبزر الحافظ له (١)

ومما تقدم يتضح لنا أن الثمرة حافظت على تركيبها الأصلى اى الزوجية وهكذا كل ثمرة تتضمن أعضاء ذكوره واعضاء أنوثه ، وذلك ماتقوله الآية الكريمة (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) (٢)

فى المخلوقات العليا :

يحدث الاخصاب الجنسى بعد أن يلقح الحيوان المنوى بويضة الأنثى وتمتزج نصف الصبغيات الذكريه بنصف الصبغيات الانثية ولا يختلف فى ذلك تكون الانسان عن الحيوان والنبات ، اذ تحمل خلية كل بويضة تامة النمو صبغية (x) دائما ، أما فى الذكر فان الخلايا المنوية تكون مجموعتين متساويتين تقريبا واحده تحمل خلاياها صبغيات (x) والاخرى تحمل

---

(١) المصدر السابق ص ٧٣ وأنظر بوكاى : القرآن الكريم والتوراة والأنجيل والعلم ص ٢١٥

(٢) سورة الرعد الايه ٣

صبغيات (لا) .

وبتشريح بداية تشكيل الجنين لدى الانسان الذى يمثل قمة الزوجيـــة نجد بويضة أنثاه تحوى دائما (٢٢ صبغيا جسميا + الصبغى الجنسى ×) ونطفة الذكر تحوى (٢٢ صبغيا جسميا مع صبغى جنسى اما (×) أو (لا) فاذا اتحدت البويضة مع نطفة حاوية للصبغى الجنسى (×) كان الجنـــين أنثى واذا اتحدت مع نطفة حاوية للصبغى الجنسى (لا) كان الجنـــين ذكرا (١) ، أى حسب المعادلة الآتية

نطفة (لا) + بويضة (×) = (×) ذكـر

نطفة (×) + بويضة (×) = (× ×) انثى

واذن فبفضل وجود هذين النوعين من الصبغيات الجنسية قامت أسس الزوجية فى المخلوقات العليا بداية من الفيروس الضئيل الى الفيلة الضخمـــة وهذا مصداق قوله تعالى : (وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفـــة اذا تمنى) (٢)

كذلك الاشرطة الوراثية فانها تتجمع مثنى مثنى ، وهى عالم رمـــزى يعرف علميا باسم الشفرات او بالرموز الاربع : (أ ، ث ، ج ، ش) " وهـــى الحروف الاولى للمركبات الكيميائية التى يطلق عليها اسم : ادينين ، ثايمين جوانين ، سيتوزين ، فـ (أ) ترتبط دائما مع (ث) و (ج) ترتبـط

---

(١) د / عبد الحميد دياب ، ود / أحمد قرقوز : مع الطب فى القـــرآن الكريم ص ٢٧ ، ود / محمد على الباز : خلق الانسان بين الطب والقرآن من ص ٦٣ الى ص ٧٠

(٢) سورة النجم الايتان (٤٥ - ٤٦)

مع (س) " (١)

وبهذه المركبات الاربع فقط ، تتألف جميع المخلوقات من أصغرها الى اعظمها مثلما نؤلف نحن ما نشاء من كتب بما لنا من حروف ، ولكن هيهات بين ما نؤلف نحن العبيد وبين ما يخلق الواحد القهار بمثل هذه البساطة ابجدية الحياة . " فرغم أنها اربع شفرات فقط ، الا أنها تمثل كل عالم السلالات والجينات ، وتعتبر القاسم المشترك الاعظم بين جميع أنواع المخلوقات ما هو موجود منها الآن ، وما انقرض من الآف السنين ، فكلها لها نفس الشفرات والذرات ، وسبب الاختلاف في تنوع هذه الازواج كلها ، راجع الى الاختلاف في نظام الشفرات ، والى المخزون الوراثي الذي يحتفظ به كل كائن حي ليأتي الخلف يحمل ملامح السلف ، له نفس الذرات ونفس النظام (٢) فالانسان هو الانسان من آدم الى أن يرث الله الارض ومن عليها فقد يشبه أجداده تمام التشابه ولكن لا احد في الوجود يتطابق تمام التطابق مع احد غيره ، لا في الصفات الجسمية ولا في القدرات العقلية ، ولا في السمات الخلقية ، فكل مخلوق جديد يجيء نسخة فريدة مترجمة لرموز عالم الذر المكتوبة في المورثات نتيجة المزج بين الصبغيات حتى تتضح لنا بذلك قدرة الله تعالى الذي (من نطفة خلقه فقدره) (٣)

---

(١) و (٢) كلود برنارد : مدخل لدراسة الطب التجريبي ص ١٤٠-١٤١ بتصرف .

التركي : لله العلم ص ١٩٠- ١٩٥ بتصرف

(٣) سورة عبس الاية ١٩

وعوامل الوراثة هذه قاعدة موحدة تنسحب على جميع المخلوقات لأنها من مصدر واحد ، ولو كانت غير ذلك لاختلفت فى تركيبها فكل مركب من المركبات الاربع يشبك فى مركبتى آخرين احدهما سكر (١) والآخر فوسفات .

وبما انها لم تكن من مصادر مختلفة فقد اثبت العلماء التجريبيون فى هذا العصر أن هذه الشفرات فى جميع المخلوقات سواء فهى نفس الشفرات ونفس الذرات ونفس النظام المجدول (٢) ونفس القطر والسمك وبذلك ينطبق عليها قوله تعالى عن القرآن الكريم : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) (٣)

واذن فكتاب الله المنظور الذى هو هذا الكون بما فيه من مخلوقات يتطابق مع كتاب الله المسموع الذى هو القرآن الكريم فكلاهما من عند الله لا اختلاف فيهما ولا تناقض ، وكلاهما يدلان على وجوده - ووحدانيته تعالى

٥ - عمل الكائنات وعلاقاتها ببعضها :

النبات كائن حى متعايش معنا وهو هيكل بسيط ومركب فى آن واحد فهو يعلو الصخور ويحزها وهو غرسة تحيا بين قشرة الارض والهواء وتكون مع الحيوان بما فيه النوع الانسانى جمعية ودية تتعايش فى تكافل وبهجة قال تعالى :

---

(١) السكر نوع خاص من السكريات اسمه (ريبوز) ومن تجمع الثلاثة (الايدينين) مثلا (والسكر والفوسفات) تنشأ وحده كيميائية هى وحدة الحامض النووى الذى يوجد فى النواة وهذه وحدة الوراثة أو شفرتها الموجودة فى النواة بالبلايين .

(٢) أى أن الشرائط الوراثية تجدل كظفيرة الشعر .

(٣) سورة النساء آيه ٨٢

(والارض مددناها والقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) (١)

وأما لو تفككت هذه الجمعية بان جاء يوم أشرقت فيه الشمس على ارض بلا غابات وبلا سهول وفوق محيطات بلا طحالب فان أيام الحيوان أضحى ايامنا تكون معدودة وسيكون الفناء السريع لكل آكلات العشب ، وكل التى تتغذى على الارض ، وفى الماء .

والانسان المغتر بتقنيته لا يجد الوقت اللازم ليصنع تركيبا غذائيا مكان الغذاء المنتهى هذا على فرض أن ذلك ممكن وكاف ، وحتى لو تبقى على الارض فى أى ناحية من نواحى القارات والمحيطات قلة من ذوى الامتياز يعيشون بجرعات من ماء الامطار والمعلبات فانهم لن يتمكنوا من انقاذ أنفسهم من هذا المصير ، مصير الفناء المحقق .

هذا الفناء الشامل ليس بمحال فالعلوم الحديثة تؤمن به ذلك أن عملية تغير الحرارة سوف تستمر حتى تنتهى طاقاتها كلية (٢) وتفنى كل الموجودات (انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والانعام . حتى اذا اخذت الارض زخرفها ، وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها امرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون) (٣) ولعل فى

---

(١) سورة ق آيه ٧

(٢) شارل كومباليزى : الله غدا ص ٢٦ CHARLES COMBALUZIER DIEU DEMAIN P. 26

(٣) سورة يونس آيه ٢٤

وهو اول الآيات على قيام الساعة وبعدها

بداية

طلوع الشمس من المغرب (١) يكون نهاية طاقتها كليا ولم يبق الا الله

(لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون) (٢)

---

(١) روى عن ابى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فان طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت فى ايمانها خيرا " - رواه البخارى فى عدة مواضع منها (الفتن) (والتفسير) ، ومسلم فى (الايمان)و(امارة) وأبو داود فى (فتن) (ملاحم)

ومعناه ان الايمان وقتها لا ينفع أى نفس كافرة لم تكن آمنت من قبل ، وكذلك لا تنفع التوبة من المعاصى وقتها .

(٢) القصص آيه ٨٨ - وأولها (لا تدع مع الله الها آخر ...) الآية .

الفصل الثالث

الماء والحياة

الفصل الثالث

الماء والحياة

١ - الماء :

هناك اتحاد تام بين الكائنات الحية والماء ، وادق تعبير يذكره علماء الاحياء - لبيان العائد المائى لأى كائن حى ، هو أن هذا الكائن عبارة عن (محيط مائى) (١) HydRosphere

ولقد أثبت العلم أن الماء اهم مكون لمجموع المخلوقات الحية وان جسم الانسان مثلا يتكون من كمية كبيرة من الماء ، تقدر تقريبا بثلاثة ارباع وزنه (٢) ولذا فان مدرسى العلوم ، حين يشرحون لتلامذتهم العناصر (٣) التى يتكون منها الجسم البشرى يقولون عن هذا الجسم بانه عبارة عن مرب للكائنات المائية أى أنه حوض أسماك والخلايا التى به هى الأسماك وجسم الكهل العادى تسبح فيه الف مليار " سمكه " أى خلية (٤) وهذا مصداق قوله تعالى (وجعلنا من الماء كل شئ حى افلا يؤمنون) (٥) فكل كائن حى حصل

---

(١) انظر شارل كومبالوزى : الله غدا ص ٢٩ ; CHARles combaluzier: Dieu demain p 29

(٢) هناك موازنة مضبوطة ومتداولة لدى العلماء اليوم تبين ان جسم الانسان يحتوى على ٧٦٪ من الماء أنظر التركى : لله العلم ص ١٥٧

(٣) العناصر المكونة للكائن الحى بصفة عامة هى الماء والكاربون والآزوت .

(٤) انظر شارل كومبالوزي: الله غدا ص ٣٠

(٥) سورة الانبياء آيه ٣٠

تكوينه في الماء كما تكون اساسا منه (والله خلق كل دابة من ماء) (١)

كذلك الخلايا النباتية فانها تتكون كيمائيا من الماء بنسبة هامه فللحصول على كيلو غرام من القمح مثلا ، يلزم توفير الف وخمسمائة لتر من الماء واما كيلو الارز فيتطلب اربعة الآف لتر وكيلوالقطن عشرة الآف لتر (٢)

والماء بصفة عامه أساس كل حياة على سطح الارض وهو يغطي ثلاثة ارباع سطحها وله تأثير بالغ على تعديل درجات الحرارة ولو فقد الماء خواصه لتغيرت درجات الحراره وحصلت كوارث لا قبل للمخلوقات عليها ، لذا كانت نعمة الماء راجعة الى خواصه العجيبة اذ هو السائل الوحيد الذى يمكن أن يوجد فى نفس الوقت وفى نفس المكان فى حالات ثلاث هى البخار والسيولة والتجمد ولكل حالة من هذه الحالات نعمتها على الخليقه فهو عند التجمد تقل كثافته ، وهذه خاصية ينفرد بها دون كل السوائل فعندما يشتد البرد يطفو الجليد بسبب خفة وزنه فوق سطح المحيطات والبحار والأنهار عوضا أن يغوص الى قاعاتها ، وبذلك يشكل طبقة عازلة تحمى الماء الذى تحتها من التجمد لتبقى الكائنات المائية بما فيها الأسماك حية ، وهذه نعمة سخرها لنا رب العزة والجلال اذ يقول :" وهوالذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخرفيه ،ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون" (٣) .

ثم ان الماء يكهرب كل المواد ، ويقسمها الى موجب وسالب وهذا هوسبب قوة الماء فى تحليل كل شيء ، وفى القيام بدور كبير فى العمليات الحيوية داخل الاجسام الحيوانيه باعتباره من المركبات الاساسية للدم .

---

(١) سورة النور آيه ٤٥

(٢) يراجع التركى : لله العلم ص ١٥٨ وشارل كومبا ليزى الله غداص ٣٠ ومابعدها .

(٣) سورة النحل آيه ١٤

هذه الخواص العجيبة دفعت الدكتور توماس دافيز باركس (١) الى القول : " انني أجد التفسير الوحيد لهذه الخصائص التي يحملها الماء هو نسبتها الى قدرة اله حكيم خبير ، وتصميم خالق علوى قدير ، وارى كذلك في كل ظاهرة من هذه الظواهر أكثر من مجرد الخلق البعيد عن العاطفة ، انني المس فوق ذلك كله محبة الخالق لخلقه واهتمامه بامورهم " (٢)

وهذا مصداق ما خص به الله تعالى الماء من بركة الحياة في النبات والحيوان فبدون هذه الخاصيات ينتشر الجوع ويعم الفناء كل الكائنات الحية ، اذ يقول سبحانه وتعالى : " ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد ،واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج " (٣)

لقد وفق باركس بالنظر العلمي العميق لأثبات القضية الاولى في هذه الآية كما سبق لنا ذلك ، وهي وجود الله تعالى ، ولكنه لم يدخل في الاسلام بسبب منهج العلوم الغربية الخالي من الهدف والغاية ، الذي نشأ عليه مع غيره من العلماء ، الذين تكل عقولهم ، فينغمسون في تجاربهم ودراساتهم الميدانية ، مستغنين بذلك عن معرفة فكرية أوسع تطمئن نفوسهم وتسعدهم دنيا واخرى .

---

(١) هو رئيس قسم الكيماء بمعهد بحوث (ستانفورد) ومدير البحوث في شركة كلوروكس الكيماوية في الولايات المتحدة الأمريكية انظر مجلة المسلمون - العدد ٣١ سنة ١٤٠٢ هـ ١٩٨٣ م ص ٧

(٢) المرجع السابق

(٣) سورة ق الآيات (٩ - ١٠ - ١١)

وبقيت القضية الثانية في الآية وهي اثبات البعث والجزاء ليكون الايمان بالله مبنيا على العلم والعمل الصحيحين المثمرين وهو ما يشيد به القرآن الكريم في قوله تعالى : (وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به)(١)

فهذه دعوة صريحة الى أهل العلم والمعرفة كي ينبذوا الهواجس والتخمينات ويردوا كل شيء الى العلم السليم يقول سبحانه : (قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا)(٢)

---

(١) سورة الحج ايه ٥٤

(٢) سورة الانعام الآيه ١٤٨

٢ - المطر رحمة الله على الأرض :

ثم أنه لا يوجد الا ماء واحد ، هو ماء البحر الذى تمتصه الكائنات الحيه ثم تعيده اليه ، فبالنسبة للكائنات البحرية تكون الدورة المائية سريعة حيث تتم بواسطة الامتصاص والافراز المباشر لهذه الكائنات .

أما الكائنات البرية فتشترك فى الدورة العامة للماء ، فكما يتبخر من البحر الماء ليرجع اليه كذلك الكائنات الحية ، التى تملأ هذا المحيط بالبلايين تقوم بدور مصفاة (Filtre) حية شاسعة لعبور ماء البحر منها ذلك أن الماء المتبخر بواسطة الاحياء يملأ الجو بكميات هائلة " فهكتار واحد من القطانيه Maïs مثلا يكون ستين الف لتر من الماء فى اليوم "(١)

هذا التبخر يحصل بواسطة حرارة الشمس التى قال عنها سبحانه وتعالى (وجعلنا سراجا وهاجا ، وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا ، لنخرج به حبا ونباتا ، وجنات الفافا)(٢) فالسراج الشمس والوهاج الجمع بين النور والحرارة وأما قوله (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا) فمعناه انه سبحانه انزل السحائب التى تصب بالمطر .(٣)

فهذه الآيات والتى قبلها فى سورة النبأ جاءت لتعداد عجائب مخلوقات الله تعالى ونعمه على عباده . وبالنظر اليها نلاحظ أن هناك مناسبة بين

---

(١) يراجع شارل كومبالبزى اللهغدا ص ٢٩ ، ١٩٢

(٢) سورة النبأ الآيات (١٣ - ١٦)

(٣) وقيل التى تأتى بالاعصار ، والاعصار ريح تثير الغبار - انظر الاصفهانى المفردات كتاب العين .

الآية والتى تليها فذكر خلق الشمس وبيان حرارتها وبعدها السحائب التى تصب بالمطر يدل على ان هناك علاقة بين الايتين الكونيتين .

فحرارة الشمس تقدر بمعدل خمسين وسبعمائة واط (٧٥٠ واط) - (WA٢٣) على المتر المربع من الارض ، وفى الصحارى العربية تبلغ قوة الحرارة ضعف المعدل المذكور اى خمسمائة والف واط على المتر المربع الواحد وهذا لا يعنى أن المساحات الاكثر تبخيراللماء هى الأكثر أمطارا ، بل العكس هو الصحيح فالبقاع الجافة تصبح أكثر جفافا لارتفاع درجة الحرارة على سطح الأرض ، بينما البقاع الممطرة تصبح أكثر امطارا " الم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما . فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من الجبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار " (١)

فهذه الآية الكريمة يفسرها الحديث الذى جاء فى الموطأ مرفوعا (اذا نشأت سحابة بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقه) قال ابن قيم الجوزيه : فالله سبحانه ينشىء الماء فى السحاب انشاء تارة يقلب الهواء ماء وتارة يحمله الهواء من البحر فيلقح به السحاب ثم ينزل منه على الارض ... ولو أنه ساقه من البحر الى الارض جاريا على ظهرها لم يحصل عموم السقى الا بتخريب كثير من الارض ، ولم يحصل عموم السقى لاجزائها فأصعده سبحانه الى الجو بلطفه وقدرته . ثم انزله على الارض بغاية من اللطف والحكمة ، التى لا اقتراح لجميع عقول الحكماء فوقها فانزله ومعه رحمته على الارض . (٢)

---

(١) سورة النور الآيه ٤٣

(٢) ابن قيم الجوزيه مفتاح دار السعادة جـ ١ ص ٢٢٣ و ٢٢٤

ثم ان انشاء السحاب الممطر يتم باثارة السحاب ، وجمع بعضه على بعض وذلك بان يطلق الله الرياح ، فتحرك أصل السحاب المختفى وتظهره فى صورة سحاب مكون من دقائق مائية . على حالتين متضادتين بينهما تجاذب طبيعى ، وهو المعروف علميا بالتكهرب الموجب والتكهرب السالب ، فباجتماع هذين النوعين من الدقائق المائية وبسبب تأثير التجاذب بينهما تتكون قطرات مائية كبيرة وتسقط مطرا ، يقول تعالى : (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق[1] يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون)[2]

فى الآية أن الله سبحانه وتعالى يثير السحاب على انواع : منه ما يكون متصلا ، ومنه ما يكون منقطعا[3] ويخرج منه المطر ، ويصيب منه من يشاء من عباده .

وفى هذا دلالة على قدرته تعالى وحكمته وعلامة أيضا على مشيئته وهذا ما يثبته العلم الآن ذلك أن مسألة نزول المطر سر من اسرار الخالق تعالى ، صحيح ، أن العلماء توصلوا الى معرفة تفاعلات بعض العناصر التى ينتج عنها المطر ، ولكن ليست كل العناصر معروفة لديهم فهناك مثلا " الرياح الشمسية[4] التى أكتشفت أخيرا والتى لها تأثير كبير على الحالة الجوية بصفة عامة وعلى

---

(١) الودق : أى القطر يخرج من بين ذلك السحاب .

(٢) سورة الروم آيه ٤٨

(٣) الفخر الرازى التفسير جـ ٢٥ ص ١٣٣

(٤) توجد هذه الرياح فى الشمس نفسها ، وتصل أذيالها حتى الارض فى شكل قيسمات ذرية مشحونة كهربائية وتمتد الى أبعد من نهاية النظام الشمسى .

المطر بصفة خاصة .[1]

فالمطر لا ينزل بمجرد التقاء الغاز - المتبخر من ماء المحيطات والأماكن الاخرى ، التى هى على سطح الأرض ، والتى ترشحها النبات فى الجو - بجسم بارد كجبل مرتفع أو رياح باردة ، صحيح أن هذا الغاز يرجع مائعا ، ولكنه على شكل قطرات صغيرة جدا .[2] لذا لا تسقط على سطح الارض للزوجتها فى الهواء وبسبب حجمها الصغير ، وهو المعروف باللقاح الأول علميا ، ذلك لانه سحاب عادى تحمله الرياح ولا ينزل منه المطر ،واما اللقاح الثانى فان الرياح تكون فيه لواقح فعلا ، ذلك أنها تحمل معها مراكز تجميع للبخار ، وهذه المراكز عبارة عن قسيمات مجهرية من الغبار ، التى تثيره من سطح الارض الى السماء ، فيتلقح عندها الهواء ليصبح سحابا .

واما التلقيح الثالث فان القطرات التى يتكون منها السحاب مشحونة كهربائيا اما سالبة كلها أو موجبة كلها أو أن نصف السحاب الاسفل من نوع كهربائى ونصفه الاعلى من نوع آخر .

وهكذا تدفع قطرات السحاب بعضها بعضا ، وتحمل الرياح هذا السحاب الى ان يلتقى اما بسحاب آخر ، أو جبل أو أى مرتفع ذى كهرباء مضادة ، فتتصل الكهرباء السالبة بالكهرباء الموجبة ، وهذا هو التلقيح الثالث الذى تكونه الرياح للسحاب وينشأ عنه البرق ثم الرعد ، فيصبح السحاب محايدا لا كهرباء فيه ، فتتضخم قطراته بسرعة وتسقط على الارض فى شكل مطر

---

(١) التركى الله العلم ص ١٦٣

(٢) حجم القطرة قسم من ألف من الملليمتر .

أو اذا كانت البرودة كبيرة في شكل ثلج .[1]

وهذا لا يقع الا بأمر الله ، فهناك سحب لا يسقط منها المطر واو نشأ الرعد فيها ، وهناك سحب صغيرة بدون رعد تنشأ عنها أمطار غزيرة ، كل باذن الله .

وفي هذا يقول القرآن الكريم : (وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه ، وما أنتم له بخازنين)[2] .

ويقول سبحانه : (هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشىء السحاب الثقال ، ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال)[3]

يبين سبحانه في هذه الآية أنه يحدث مع انشاء السحاب الثقال[4] في الجو العاصف برق ورعد وصواعق[5] ، وهذه اشارة تفيد أن اقتران هذه الظواهر ناتج عن التجاذب بين حالتين متضادتين هما الكهرباء السالبة والكهرباء الموجبة .

قال الرازى : " سر الصاعقة عجيب جدا ، ووجه ذلك أن النار حاره يابسه وطبيعتها ضد طبيعة السحاب ، فوجب أن تكون طبيعتها في الحرارة واليبوسة اضعف من طبيعة النيران الحادثة عندنا على العادة ، لكنه

---

(١) حنفي أحمد : التفسير العلمي للآيات الكونيه من ٣٦١ الى ص٣٧٦

(٢) سورة الحجرات آيه ٢٢

(٣) سورة الرعد آيه ١٢ و ١٣

(٤) السحاب المؤلف المتراكم بعد التلقيح الثالث اى التقاء سحاب بسحاب آخر أو جبل أو اى مرتفع ذى كهرباء مضاده .

(٥) نار تنزل من السماء مصحوبة بصوت شديد .

ليس الامر كذلك ، فانها أقوى نيران هذا العالم ، حتى أنها اذا غاصت في البحر احرقت الحيتان التي في لجته ، فثبت أن اختصاصها بمزية تلك القوة لابد وان يكون بسبب تخصيص الفاعل المختار (١).

وكما يقول الرازى فان الاربعة انواع من الدلائل في هذه الآية تدل على قدرة الله وحكمته ، وأنها تشبه النعم والاحسان من بعض الوجوه وتشبه العذاب والقهر من بعض الوجوه الاخرى (٢).

ففي البرق والرعد ، خوف وطمع ، خوف مما يجر وراءهما من صواعق واهوال (٣) وطمع لأنهما علامة على الغيث النافع .

وفي السحاب الثقال ، الذى هو المطر منافع من وجه ، وسيول واتلاف المحاصيل واغراق القرى ، ومع هذا فان نعمة الله علينا بالماء عظيمة لا تساويها عظمة ، الا اننا مدينون بحياتنا لخالق رازق محى ومميت . يقول سبحانه (افرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا (٤) فلولا تشكرون) (٥) .

فلك الحمد والشكر يا الهنا فانك تستطيع ان تجعل الماء العذب الذى تنزله علينا شديد الملوحة طبقا لمصدره الذى هو البحر ، كما يمكنك ان لا تنزل علينا الماء البتة ولذا فانه لا يدفعنا الغرور الى الاعتقاد بان

---

(١) الفخر الرازى : التفسير ج ١٩ ص ٢٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٦

(٣) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع الرعد والصواعق قال : "اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك " رواه الترمذى والبخارى في كتاب الادب ومالك في الموطأ .

(٤) شديد الملوحة والحراره ومنه قوله تعالى : (هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج) الاصفهاني : المفردات كتاب الألف .

(٥) سورة الواقعة الآيات ٦٨ - ٧٠

التقنية الحديثة تستطيع ان تنزل المطر صناعيا ، فالعدد الكبير من علماء[1] العصر الحديث بينوا لنا حدود امكانيات الانسان فى هذا الصدد ، ومن ذلك ما جاء فى مقالة الهواطل للمهندس العام للارشاد الجوى الفرنسى (MAFACY) م. أ. فاسى فى دائرة معارف اوينفراساليس من أنه لن يمكن ابدا اسقاط المطر من سحابة لا تحتوى على السحابة القابلة للهطول او من سحابة لم تصل الى درجة مناسبة للنضج[2] ، واذن لا يستطيع الانسان " أن يقطع كيفما يشاء فى الدورة الثابتة ، التى تضمن حركة المياه فى الطبيعة"[3] وبالتالى سيستمر على صلاة الاستسقاء طلبا للحياة ورجوعا الى بارئه .

---

(١) كالاستاذ الفرنسى ساربولى والباحث السويدى طوبارجيرون والمهندس العام الفرنسى فاسى ، ومارشان وقيابار ، وغيرهم : لله العلم ص ١٦٩

(٢) وهو أن تنمو القطرات المائية بالاجتماع تدريجيا حتى تصبح اثقل من الهواء فتسقط مطرا .

(٣) موريس بوكاى : القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم ص ٢٠٣

الخاتمـــــة

لقد تم بفضل الله تعالى ونعمته الفراغ من بحث الركن الأول للدين الاسلامى - فى هذه الرسالة - وهو توحيد الألوهية ، الذى ضل فيه كثير من الأمم حتى الذين أصل عقيدتهم التوحيد من اليهود والنصارى .

فالله سبحانه وتعالى أعرف من كل معروف ، وأبين من كـــل دليل ، فالمخلوقات عرفت به فى الحقيقة ، وان كان عرف بها فـــى النظر والاستدلال بافعاله وأحكامه عليه .

وهو سبحانه ليس اله المسلمين فحسب كما يدعى بعض الذيـــن ترجموا القرآن الى اللغات الأوروبية ، بل هو رب العالمين واله المخلوقين جميعا .

والقرآن آية من آيات الله تعالى يدل على ذلك قوله تعالى : (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند اللـــه وانما أنا نذير مبين او لم يكفهم أنا آنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهـــم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون)(٢) .

فقد أخبر سبحانه أن الكتاب آية من آياته ، وعلم من أعلامه ، وأن ذلك يكفى فى الدلالة ويقوم مقام معجزات غيره وآيات سواه مـــن

---

(٢) سورة العنكبوت الآيتان (٥٠ - ٥١) .

الأنبياء - صلى الله تعالى عليهم وسلم .

وفى القرآن العظيم دعوة صريحة الى دراسة الظواهر الكونية التى توصل الى نتائج عقديه وأخرى مادية منفعية مصلحية ، وهما ناحيتان رئيسيتان فى قوة الانسان .

فالعقيدة السليمة ، والصحة الكاملة أساس بنيان الحق وعلوه ، الذى تطلبه العقول الواعية .

وعقيدة الألوهية فى الاسلام مبرهنة لا تقتصر فى الدعوة للايمان بها على مخاطبة القلب والوجدان ، بل تثير قضايا وتقيم عليها الحجة الدامغة والبرهان الناصع والتعليل الواضح ، الذى يقنع العقول ويأخذ بالقلوب ، ولا يوجد خلاف بين النقل الصحيح كالقرآن الثابت توثيقه بالتواتر (١) ، وبين العقل الصريح الذى يكتشف حقائق علمية ثابتة ، فالحقيقة الكونية مطابقة للحقيقة الشرعية ، ولا يتصور التناقض بين كتاب الله المتلو وكتابه المشهود .

والعقيدة فى حد ذاتها غير الفلسفة ، فهذه الأخيرة عملية عقلية فقط ، والقضايا فيها كلام وأفكار بدون سلوك ، ولذا لا يتغير شىء من سلوك الناس مهما تباينت الاتجاهات الفلسفية أو اعتمدت على العلوم بينما تهتم العقيدة بالكيان الانسانى كله ، ودعوة القرآن العظيم إلى الاعتقاد بتوحيد الألوهية دعوة الى ادراك آثار القدرة الالهية

---

(١) وحفظ الله له ، وكذلك السنة الصحيحة .

والاستدلال بهذه الآثار على وجوده ونبذ فلسفات اليأس والعبث واللامعقول ، دعوة الى عدم اغلاق العين وسد الأذن عمدا عن تفهم حقائق الكون وبالتالى انكار وجود البارى .

ولقد ملأ القرآن بالامثال فى الظواهر الكونية والأحداث الطبيعية أو الزوايا التاريخية للعبرة والهداية الى الطريق المستقيم ، الذى يريده الله لخلقه ، وجميع هذه الأمثال والقصص دون استثناء مؤيدة بالعلم .

وهو ما يدل على أن القرآن وحى الله تعالى الى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد النبى الأمى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم

وبهذا يمتاز القرآن على جميع الفلسفات القديمة منها والحديثة قال الفخر الرازى : " ولقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوى الفائدة التى وجدتها فى القرآن لأنه يسعى الى تسليم العظمة والجلال لله ويمنع من التعمق فى ايراد المعارضات والمناقضات " (١)

وقضية وجود الله تعالى ووحدانيته او مسألة وجود عوالم أخرى

---

(١) من وصية الرازى فى آخر عمره : نقلها فريد وجدى فى دائرة معارفه جـ ٤ ص ١٤٨ عن عيون الأنباء لأبن أبى أصيبعه جـ ٢ ص ٣٢ ، وذكرها السبكى فى طبقات الشافعية جـ ٥ ص ٣٧ - وفى غيرها من المصادر .

كالملائكة والجن أو الحياة الأخرى في دار الجزاء لا يمكن اثباتها بالتجربة والمشاهده الحسية ، ولكن في الامكان الاهتداء اليها عن طريق الحكم العقلي المهتدي بالعلم والمستشهد بأسراره ، وهو ما يلجأ اليه العلماء المعاصرون حين يريدون اثبات وجود شيء يفرضونه حتما لأنهم لم يصلوا الى اثباته عن طريق التجربة .

ولعل هذا هو السر في جعل الله سبحانه العلماء شهداء معه على وجوده تعالى ، حيث قال : (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوالعلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) (١)

كما أمر بالاستزادة من العلم : (وقل رب زدني علما) (٢)

ولهذا يحق للمسلم أن يقول ان الدين عندنا علم والعلم دين ، وحكاية الخلاف بينهما لا يعرفها الاسلام وانما هي قضية مفتعلة ، ومرض مستورد من حضارة فاشلة وجاهلية مقيتة .

وفي هذا العصر العصيب نجد أجواء الدعوة الى توحيد الألوهية بحاجة الى المنطق العلمي لاقناع المعارضين المستخدمين لهذا الاستدلال ، الذي له جانبان جانب فكري وآخر تجريبي .

فالفكري : طريقة يستخدمها أشخاص لا يؤمنون الا بالعلم ، وان لم يكونوا من العلماء ، فهم يستندون على نتائج العلم ليصوغوا على

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٨

(٢) سورة طه الآيه ١١٤

أساسها قضايا تعرض باسلوب فلسفى كقضية حتمية المادة ، ودور الصدفة فى نشأة الكون والاحتمالات الرياضية .

وأما الجانب التجريبى فطريقة يسلكها العلماء ، الذين يقولون بأن كل ما لايخضع للتجربة باطل ، وبالتالى فالدين باطل .

ولكن هذه المرحلة من الاعتداد بالعلم غطت عليها مرحلة أخرى ظهر فيها تواضع العلماء واعترافهم بالغيب ، وهكذا كلما اتسع نطاق العلم زادت البراهين الدامغة على وجود خالق أزلى لا حد لقدرته ولانهايةفالجيولوجيون والرياضيون والفلكيون والطبيعيون قد تعاونوا على تشييد صرح العلم ، وهو صرح عظمة الله وحده .

وبما أنه فى العلم التجريبى ضمان الصدق فى النتائج ، لأنه مؤسس على التجربة المحض او الملاحظة مع ضمان رقابة العلماء بعضهم لبعض فيما يجرون من تجارب وفيما يستنتجون منها فان هذه الآراء المؤكدة هى التى اعتمدتها فى هذه الرسالة .

أما المشكوك فيها فلم اعتمدها لأنها لا تفى بالغرض واذا كان العلم الحديث هو احد السبل لمعرفة الله الا أنه لا يبلغ درجة القرآن، الذى لا ترتفع اليه ريبة فالقرآن بما فيه من اشارات علمية وان كانت غير مقصودة لذاتها بل جاءت لهدف أسمى وهو هداية الانسان سيبقى السبيل الأعظم والدليل المعجز على توحيد الألوهية ، وذلك لميزات طريقته وفائدتها .

وقد أوجز الفخر الرازى هذه الميزات فى أربع نقاط هى :

(١) أدلة محسوسة لا تحتاج الى تجريدات عقلية .

(٢) أدلة كثيرة متعاضدة والكثرة والتوالى يفيدان القوة .

(٣) لا ينقطع الانسان عن مشاهدة شىء منها سواء كان ذلك فى نفسه أو فيما حوله أو فى أنحاء السماوات والأرض .

(٤) هذه الدلائل وان كانت براهين على وجود الله من جهة فهى من جهة أخرى وفى نفس الوقت نعم ومنافع ، والانسان مجبول على حب ما ينفعه ، والانعامات المتوالية الكثيرة تفضى الى الانقياد للمنعم وشكره ، فلكونها دلائل أفادت العقيدة الراسخة ولكونها نعما كانت سببا من أسباب العبادة والتوجه الى الله .(١)

---

(١) الفخر الرازى . التفسير الكبير جـ ٢ / ١١٣ - ١١٤ بتصرف ، والمطالب العالية : جـ ١ / ٨٢

((ذيـــــــــل))

ذيـــــــل

رأيت تذييل هذه الرسالة بعرض آراء بعض العلماء **المتفلسفين** ، والمثقفين المعاصرين ، واخترت لذلك ترجمة مقالة بعنوان : " أقـــــر بوجود الله " . لشارل كومباليزى الفرنسى الذى كان يعمل مرشدا لمعهد " ثيار " بمرسيليا وأحد قدماء خارجى المستشفيات والدكتور فى العلوم ، وله من المؤلفات : علم البيولوجيا والأخلاق الجنسية طبع ١٩٤٨م والابن الواحد طبع ١٩٥٥ ، ومدخل الى الجيولوجيا طبع ١٩٦١ كما أخـــرت " **مقولة** " وجيزة لسيمون وال وزيرة الثقافة الفرنسية السابقة ، وهـــى يهودية الديانة رفضت العيش فى اسرائيل ، وقبول الجنسية الاسرائيلية . وكان غرضى من ترجمة " مقولتها " هذه ، هو بيان حالة نفسية ظاهـــرة منتشرة بين المثقفين الأوروبيين تدل على أنهم عموا الشر وكرهوا الضيـــاع وأرادوا الرجوع لباريهم سبحانه وتعالى ولكن من غير هدى الهى حقيقـــى فالله نسأل هداية خلقه الى الاسلام .

أقر بوجود الله

هناك مقوله لفيلسوف[1] اسباني تفيد أن " الاعتقاد في الاله هو الرغبة في التسليم بوجوده ، أو في كونه يستوجب الوجود "[2].

واستعمال هذا الفيلسوف لكلمة " الرغبة " هنا ، لا تتفق مع اعتقاد المؤمنين بالله تعالى ، لأنه اذا أراد بها الاحساس القلبي ، أو الشعور الذاتي بالله ، أي تقبل الفطرة الانسانية للايمان تلقائيا فهذا يمكن التسليم به . وان كان لا يؤدي به هذا التعبير .

أما اذا اراد " بالرغبة " مجرد الأخذ أو النقل عن الغير ، فهذا التقليد الانفعالي غير مقبول في الايمان بالخالق حتى ولو كان ذلك لدى المجتمعات البشرية كلها .

ومن هنا لم يكن وجود الله أمنية امتلاء الرغبة هذه بل هو موجود بحق ، ويمكن معرفة ذلك بتفهم ثلاث الكون على الأقل وهو السببية والتناسق والحركة .

---

(١) هو ميجيال دي يناميثو

(٢) شارل كومبالبزي : الله غدا ص ١٨٤

ويبقى الثالثان هما : طريقة الحياة بما فى فيها من شر بكل أسف ، والهدف من وجود هذا الكون .

وازاء هذا الوضع ، فعلى الانسان أن يؤمن بالله حق الايمان ثم يدع الوحى يوصله الى مستلزمات هذا الايمان ، وهو ما حصل فعلا طوال تاريخ[1] الايمان بالخالق .

وأما اذا فسرنا " الرغبة " فى وجوده تعالى بأنها ارادته سبحانه فى كل شىء ، وخاصة فينا نحن البشر ، بجعله فينا ميول نفسية تدعونا للايمان من غير تفكر أو تدبر ، فان هذا التفسير يعطى الالحاد حق الاعتراض[2] ، لكونه ايمانا بلا تدبر ، ولا تعقل .

واذن لا يفسر الاعتقاد بكونه يكمن فى رغبتنا ، ولكن فى الاقرار بأن مراقبة مراقبة الله نور يسكن فى أعماقنا حتى أنى لا أقول شيئا أو أفعل شيئا والله غير مراقبى .

والمؤمن يدرك بكل فطانة وتعقل شبه الملحدين ، ولكن لا يشاركهم

---

(١) استعمل عبارة " تاريخ " الايمان بالخالق ليستدل على أن صحة الاديان كلها تصليم المؤمن بها السلوك المطلوب منه والفهم الصحيح للغيبيات.

(٢) من الذين اعترضوا على اسلوب المسيحية فى الدعوة الى الايمان بالخالق دستيوفسيكى الروسى الذى قال يجب تجاوز الأساليب التقليدية التى لا توصل الى اليقين بوجود الاله ، فما تقدمه الاديان (المسيحية وليس الاسلام) من معطيات لتقرير الرافض للايمان دعوة من غير شاهد ماموس " كومباليزى : الاله هذا ص ١٢٤

الرأى القائل : " يجب أن يكون الانسان موهبة فائقة حتى يعتقد بوجـــود نور الله سبحانه يسكن ذاته ذلك لأن المؤمن ينطلق الى رغبة مختارة من اجل الخلاص من وضع غير ملائم ، ونفس ممزقة وذهن ثقيل ، فدأب المؤمن التوصل الى ما ينضه ويريحه .

وهذه الحالة موضوعة ولا شك تحت مراقبة ورعاية القائم بذاته المطلق سبحانه وتعالى .

ولعل هذا هو معنى يستوجب الوجود فى كلام الفيلسوف الاسبانى أى أنه يقتضى وجوده سبحانه وتعالى على كل الحالات .

ثم ان التمزق النفسى يكون ضعيفا اذا لم يتوفر له شرطان :

الشرط الأول : تربية صحية جيدة ، وخاصة عناية بالتأكيد لأن العقـــل يرصد القلق ويعانو عليه بثقته فى قوة وأهمية القدرة ، التى فى امكانهـــا ترتيب كل الموجودات أو تحويلها الى آثار لأنه من غير المعقول أن يشك فـــى الرعاية الداعمة للكون والانسان ، واذا لا يمكن أن يكون وجود الله مجـــرد احتمال والا لكان هذا التكامل الباهر فى الكون غير موجود .

الشرط الثانى : أن الله تعالى لازم لسير العالم ، فليس فى الكون ســـكون البتة ، والانسان بسريرته لا يغيب عنه ذلك حين يضع المسألة فى شـــــكل ســـؤال .

وليتحقق هذا التوازن عند الانسان لابد من المثابرة على التقدم ، وأما شذوذ الانبار اب فى تقدير الأمور ، فهو الذى يجعل لدى بعض النـــاس موازنة سالبة معمدة .

وحياتنا النفسية كالحياة الكونية تماما ، حركة دائبة ولا يمكننا أن نتصور الله الا اذا كنا على صورة هيئة انسانية كاملة ثم ان مصدر العالم لا يتغير ، وهذا كفيل بتحاربنا كذلك لا تتغير رغباتنا مهما تغيرت التجمعات الانسانية ، ولكن المسألة أنه أذيع في يقيننا في ما مضى وجوده سبحانه وتعالى .

ومن ناحية أخرى بما أن الكون يقتضي الحركة ، فهو دائما متجدد البناء في المستقبل سواء بالنسبة لنا أو بالنسبة العالم على حد سواء ، فالاعتقاد المغروس في الملخص للانسان وجب المستقبل كلاهما محورا الايمان في هذا العصر وفي هذا الكون .

والعلم في امكانه أن يكشف للجميع النجاح الهائل لتطور الكون لأن ضعتنا ظاهرة لنا على الأرض .

وبهذا يجد المؤمن نفسه في وضع سليم ومغرى في آن واحد ، فهو بين ماض أمكنه قبوله رغم ما يعتريه من شر .

هذا الماضي الذي أراده الله أن يكون ممزوجا بكل اتزان بالحياة والموت ، ثم ان هذا الماضي ، هو الذي صنع القوة في الانسان ، المستعد للمعرفة ، معرفة العالم ومعرفة الله . والاستعداد المستقبل يتحمل الانسان فيه المسؤولية التامة التي أوجبها الله عليه ، فالانسان على حافة جرف[1] وراءه سلالة معروفة للماضي الذي صنع فيه وأمامه هاوية مظلمة تمثل

---

(١) هو الشاطئ الصخري .

المستقبل حيث يمكنه في كل حين أن يحتمي من أعدائه ، فكلماته وأفكاره توجد باستمرار في طرف هذه الهاوية .

وكما يقول فيلسوف معاصر : (١)

" اذا كنت قد أخطأت وكان الجواب الصحيح الذي العالم والانسان ان الله لا وجود له ، وهذا الايقاع الى الدليل عليه الا في لحظة موتي " (٢)

فأننا نردد معه اننا لا نأسف على ايماننا اذا كان العالم ليس له معنى فوا أسفاه على غلطته هو لأننا لم نقطع بتفكيرنا في وجود الله ، ولكن الخطأ في كون الاله لم يوجد .

ثم ان الاعتقاد في الله برغم الموت فيه حب للحياة لأنه يعطيها معنى وقيمة ، وان كان يقرر منا أحيانا فهم ذلك ، ولذلك فلا يمكن أن يتصور المرء اذا راهن على العالم والانسان والله .

---

(١) هكذا وضعت فالنسان

(٢)

مقولـــــــــــة

قد يكون مفهوم وجود الله توهم مع أنه الحقيقة الوحيدة المفهوم الخير وذلك عندي مؤكد كتأكيدي على أنني " أنا نفسي " لأن وجد الله هو الخير

وانني أكون محقة اذا نزعت رغباتي من كل الأمور التي ليس فيها خير ووجهت هذه الرغبات الى الخير فقط واو من غير أن يحصل لي الاقتناع بوجود الاله تعالى .

ثم انه اذا أسس أحد الناس حياته على الخير فانه لا يبرز له حين موته من يلومه على ذلك لأن الصدفة أو الشيطان وقتها قد يحكمان العالم ، فقد لن يتمكنا من تأنيبه على عمله للخير .(١)

تعليـــق :

رغم بارعة المقولة في نفيها للصدفة الا أنها لا تدل على ايمان تعالى بالخالق عز وجل وغاية ما فيها أنها تدعو للخير واكن أي خير وبأي منظور . هل هو منظور الرفق بالحيوان وتعذيب الانسان أم بمنظور آخر .

ثم ان محاولات المثقفين الغربيين الداعية للخير في هذا العصـــــر تعد نوع جديد لعبادة الخير عوضا عن الله تعالى ، وهو باطل لا يدخلهم تحت لواء توحيد الألوهية .

---

(١) سيمون وال : معرفة ما بعد الطبيعة ص ١٠٩

الفهارس

(فهرس الآيات)

(الآية)	رقمها	رقم الصفحة
البقرة		
يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم	٢١، ٢٢	١٠٠
وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله .	٢٣، ٢٤	١٤٠
أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام		
الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون	٧٥	٢٢٠
فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من		
عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم	٧٩	١٢٤
واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله	٩١	٢٢١
قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين	١١١	٩٦
بديع السموات والارض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون	١١٧	٢٤٥
قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم	١٣٦، ١٣٧	٢٢٢
قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها	١٤٤	١٨٤
ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ماجاءك من العلم	١٤٥	٢٧٩
الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم	١٤٦	٢٢٠
ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك		
التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس	١٦٤	٢٣٣ـ٢٤٤
واذا قيل لهم أتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا		
عليه آباءنا أ ولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولا يهتدون	١٧٠	٨٣
ان الذين يكتبون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا		
قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار	١٧٤	٢٢١

الآيـــــة	رقمها	رقم الصفحة
كتب عليكم القصاص فى القتلـــــى	١٧٨	١٩٢
يسألونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحـــج	١٨٩	٢٥٣
لعلهم يتذكـــــرون	٢٢١	٢٢٥
تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين	٢٥٢	١٤٩
ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء		
الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد .	٢٥٣	٢٢٠
ولا يحيطون بشئ من علمـــه الا بما شـــاء	٢٥٥	٣٣٢
فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى	٢٥٦	٢٠٥
ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك	٢٥٨	٢٤٦
آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله		
وملائكته وكتبه ورسله	٢٨٥	٢٢٢
لا يكلف الله نفسا الا وسعها	٢٨٦	٨٧
(آل عمـــــران)		
هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمـــات	٧	٣٠٦
شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم	١٨	٨٣
ان الدين عند الله الاســـلام	١٩	١١٩ـ ٢٢٢
ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليـــك	٤٤	١٢٧
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرســـل	١٤٤	١١٨
وما كان الله ليطلعكم على الغيـــب	١٧٩	١٧٩
ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى		
الالبـــاب	١٩٠	٢٣٤ـ ٢٤٠

(الآيـــــة)	رقمهـــا	رقم الصفحـــة
(النســـــاء)		
أينما تكونوا يدركـكم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة	٧٨	٢٢٦
أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيـــه اختلافا كثيرا	٨٢	٩٢
	١٨٧، - ٣٤٥	
ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون الا أنفسهـــم	١١٣	١٥٥
ان الذين يكفرون بالله ورسله	١٥٠، ١٥٢	٢٢٢
انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده	١٦٣، ١٦٤	١١٩
لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيـــدا	١٦٦	١٢٧
(المائـــــدة)		
فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية	١٣	٢٢٠
ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظـــا مما ذكروا بـــه	١٤	٢٢١
وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء اللـــــه	١٨	٢٢١
يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم	١٩	٢٢٢
والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب اللـــــه	٤٤	١٣٤
يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك	٦٧	١٢٧
(الأنعـــــام)		
هل يستوى الأعمـــى والبصير أفلا تتفكرون	٥٠	٢٣٧
قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر ونه تضرعا وخفية	٦٣، ٦٤	١١٢

(الآيـــة)	رقمها	رقم الصفحة
ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤ فكون	٩٥ـ٩٨	٢٣٨، ٣٢٧
فالق الاصباح وجعل الليل سكنـــا	٩٦	٢٥٦
وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر	٩٧	٢٣٨ ، ٣٥١
وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء	٩٩	٢٣٩
ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا اللهعدوا بغير علم	١٠٨	٢٢٤
أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس	١٢٢	٣٢٨
قل هـــل عندكم من علم فتخرجوه لنـــا	١٤٨	٣٣٢، ٣٥٢
(الأعـــراف)		
كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منـــه	٢	١٤٩
ألا لـــه الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين	٥٤	٢١٥ـ٣٢٠
الذين يتبعون الرسول النبى الامي الذى يجدونه مكتوبـــا عندهم فى التوراة والانجيـــل	١٥٧	١٥١
قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعـــا	١٥٨	١٥٠
واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلا شهدنا	١٧٢	٣٦ـ١١١
ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون	١٧٩	٦٥ـ٢٨٦
ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ماكانوا يعملـــون	١٨٠	٢٦٩
أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء	١٨٥	٣٠٤
ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهـــم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون	١٩٥	٢٣١

(الآيـــة)	رقمها	رقم الصفحة
(الأنفـــال)		
ماكان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض	٦٧	١٥٤
(التوبـــة)		
وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله	٦	١٤٥
وأنزل جنودا لم تروهـــا	٢٩	
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله	٣٠ـ٣١	٢٣٢
هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون	٣٣	١٦٤
عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبيـــن	٤٣	١٥٧
(يونـــس)		
أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم	٢	١٢٧
هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا	٥ ـ ٦	٢٥١
ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون	٦	٢٥٤
قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى	١٥	١٥٣
قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت عمرا من قبله	١٦	١٢٨، ١٥٣
ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم	١٨	١٢٨
وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا	١٩	٢٢٠
هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف	٢٢ـ٢٣	١٩٣ـ٢٠٠
انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء	٢٤	٢٣٦

(الآيـــــة)	رقمها	رقم الصفحة
قل من يرزقكم من السماء والأرض	٣١ـ ٣٦	٢٣٠
هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا	٦٧	٢٠٨
قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنـــا	٧٨	٨٣
ولو شاء ربك لآمن من فى الارض جميعـــا	٩٩	١٦٨
قل انظروا ماذا فى السموات والارض	١٠١	
(هـــــود)		
ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين	٢٥ـ ٣١	٢٢٩
قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنـــا	٣٢ـ ٣٣	٢٢٩
من كل زوجين اثنـــين	٤٠	٣٣٦
ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة	١١٨	١٦٨
(يوســـف)		
أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار	٣٩	٢٣
ان النفس لأمارة بالســـوء	٥٣	٢٦٢
وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون	١٠٥	٣٠٤
قل هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى	١٠٨	٨٢
(الرعـــد)		
الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش	٢	٢٥٠
وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا	٣	٢٣٧ـ٢٤٢
ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين		

(الآيـــة)	رقمها	رقم الصفحة
وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل	٤	٢٥٧
هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال	١٢ ـ ١٣	٣٥٧
ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى	٣١	٢٣٧
فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب	٤٠	١١٨
(ابراهيم)		
وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم	٤	١٢٤
أفى الله شك فاطر السموات والارض	١٠	٣٩ ـ ٥٣
(الحجر)		
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون	٩	١٢٩، ١٣٦
ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم	٨٧	١٤٩
(النحل)		
والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون	٥ ـ ٨	٢١٠
هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع	١٠، ١١	٢٦
وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا	١٤	٣١١، ٣٥٠
الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون	٢٢	٢٧٢
ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت	٣٦	٢٠٥
انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون	٤٠	٣١٦
فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون	٤٣	٨٤

(الآيـــــة)	رقمها	رقم الصفحة
وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم	٤٤	٢٣٧
والله أنزل من السماء ماء فأحيينا بها الارض بعد موتها	٦٥	٢٤٦
والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا	٧٨	٦٥ـ٧٥
يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها	١١١	٢٦١
وجادلهم بالتى هى أحسن	١٢٥	٢٢٤
(الاســـراء)		
قل ادعو الذين زعمتم من دونه	٥٦	٢١٥
واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه	٦٧	٢٠١
ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى	٨٥	٣٢١ـ٣٣٢
قل لئن اجتمعت الانس والجن	٨٨	١٣٩
قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر		
وانى لأظنك يا فرعون مثبورا	١٠٢	٣٩
(الكهـــف)		
ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله	٢٣، ٢٤	١٨٣
ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم	٥١	٢١٥
(مريـــم)		
وما نتنزل الا بأمر ربك	٦٤	١٨٣
أولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا	٦٧	٢١٣
(طـــه)		
وانا اخترتك فاستمع لما يوحى	١٣	١٣٨
الذى جعل لكم الارض مهدا	٥٣	٢٢١

(الآيـــة)	رقمها	رقم الصفحة
فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه	١١٤	٣٣٥
وقل رب زدنى علما	١١٤	١٥٣، ٣٣٣
قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى	١٢٣	٤١
(الأنبياء)		
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا	٢٢	٢١
ام اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم	٢٤	٢٢٤
أو لم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما		
وجعلنا من الماء كل شئ حى	٣٠	٢٤٧-٢٤٩
وجعلنا السماء سقفا محفوظا	٣٢	٢٤٦
قال بل فعله كبيرهم هذا	٦٣	
(الحج)		
يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجل مسمى	٥	٢٦٣
حنفاء لله غير مشركين به	٣١	٢٨
ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم	٣٥	٢٧٠
أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور	٤٦	
ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون	٤٧	٣١٠

(الآيـــة)	رقمها	رقم الصفحة
وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به	٥٤	٣٥٢
يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون مـــن الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذبـــاب شيئا لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب وما قدروا اللـــه حق قدره ان الله لقوى عزيـــز	٧٣ـ ٧٤	٨ ٩، ٢٠٣
الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير	٧٥	١٣٨
(المؤمنـــون)		
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين	١٣ـ ١٤	٢٦٣
أفلم يدبروا القول ام جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين	٦٨	٢٣٤
ما اتخذ والله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون	٩١	٢١ـ ٢٢٧
(النـــور)		
ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لاتحسبوه شرا لكم بل هـــو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم	١١ـ ١٧	٨٥ ١ـ ١٨٦
الم تر ان الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من الجبـــال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكـــاد سنا برقه يذهب بالأبصـــار	٤٣	٢٥٤
والله خلق كل دابة من مـــاء	٤٥	٣٥٠
وما على الرسول الا البلاغ المبيـــن	٥٤	١٦٠
(الفرقـــان)		
وخلق كل شيء فقدره تقديـــرا	٢	٢٦٧
ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنـا الشمس عليه دليـــلا	٤٥	٢٠٩

(الآيـــــة)	رقمها	رقم الصفحة
تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيـــرا	٦١	٢٥٢ـ٢٥٤
(الشعـــراء)		
قال فرعون وما رب العالميـــن	٢٣	٣٨
قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين	٢٤	٣٩
وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبـك لتكون من المنذرين	١٩٢، ١٩٤	١٤٩
(النمـــل)		
وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كـان عاقبة المفسديـن	١٤	٣٩
قل لايعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله ومايشعرون أيان يبعثون	٦٥	١٧٩
صنع الله الذى أتقن كل شئ انه خبير بما تفعلون	٨٨	٢٠٨ـ٢٨٥
(القصـــص)		
قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة مـن اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون		
قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه ولتبتغوا من فضلـــه ولعلكم تشكرون	٧١ـ٧٣	٢٠٨
وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك	٨٦	١٥٢
ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه	٨٨	٢١-٣٤٧

(الآيـــة)	رقمها	رقم الصفحة
(العنكبـــوت)		
ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن	٤٦	٢٢٤
وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلـــون	٤٨	١٢٨ـ١٥١
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى تؤفكون	٦١	١٠
(الـــروم)		
ألم غلبت الروم فى أدنى الارض الى قوله ولكن أكثر النـــاس لا يعلمون	١ ـ ٦	١٢٨ـ١٧٠
يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون	٧	١١٧، ٢٩٥، ٣٠٥
وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيـــده	٢٧	٢٠٥
ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت ايمانكم من شركاء	٢٨	١٩٢
فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيـــم	٣٠	
الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشـــاء	٤٨	٣٥٥
الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة	٥٤	٢١٦ـ٢٦٢
(لقمـــان)		
ألم تروا ان الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض	٢٠	٢٠٦
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن اللـــه	٢٥	٥٣
(الأحـــزاب)		
ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء	٥١	١٥٩

(الآيـــــة)	رقمها	رقم الصفحة
(سبـــأ)		
قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله	٢٢	٢٤٥
قل من يرزقكم من السموات والارض قل اللـــــه	٢٤	٢٢٣
قل ان ضللت فانما أضل على نفسى وان اهتديت فبمـــا يوحى الى ربـــى	٥٠	٩١
(فاطـــر)		
فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتهـا	٩	٣٢٨
ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديـد	١٦	٢٣٦
ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه	٢٧، ٢٨	٢٤٠
ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا	٤١	٢٥٠
(يـــس)		
انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن	١١	٤٠
وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منه حبا فمنه تأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون	٣٣ـ٤٠	٢٣٩ -
سبحان الذى خلق الازواج كلهـــا	٣٦	٣٣٥
وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون	٣٧	٢٥٥
والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم	٣٨	٢٣٩
والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم	٣٩	٢٥٣

(الآيـــة)	رقمها	رقم الصفحة
(الصـــافات)		
ربه فبشرناه بغلام حليم	١٠٠ـ١٠١	٣٦
وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحـــين	١١٢ـ١١٣	٣٦
(ص)		
كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياتـــه	٢٩	٢٣٤
(الزمـــر)		
الى		
وما نعبدهم الا ليقربونا الله زلفـــى	٣	٢٠
×		
خلق السموات والارض بالحـــق	٥	
والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم		
البشرى فبشرناه عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه	١٧ـ١٨	٢٠٦
مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهـــم	٢٣	١٨٧
الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك		
التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى	٤٢	٢٢٧-٣٢٣
(فصلـــت)		
ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيـــا		
طوعا او كرها قالتا أتينا طائعـــين	١١	٢٤٩
ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر	٣٧	١٢٧
ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا	٤٠	٢٦٩
ان الله يمسك السماوات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد		
من بعده انه كان حليما غفورا	٤١	٢٣٥
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد	٤٢	١٢٤

(الآيـــــة)	رقمها	رقم الصفحة
سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق	٥٣	٢٣٤ـ٢٤١
(الشـــورى)		
ليس كمثله شئ وهو السميع البصير	١١	٨١ـ١١٠
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحـــا	١٣	٣١٩
ما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه على حكيـــم	٥١ـ٥٢	١٥١ـ٣٠٢
وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنـــا		
وما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان	٥١-٥٢	٩٠ - ١١٨
(الزخـــرف)		
وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون	١٢ـ١٣	٢١١
(الدخـــان)		
وزوجناهم بحور عـــين	٥٤	
(الجاثيـــة)		
ان فى السماوات والارض لآيات للمؤمنين وفى خلقكـــم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح لآيات لقوم يعقلون	٣ـ٥	٢٤٠
وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه	١٣	٣٢٣
وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر	٢٤-٢٦	٢٢٥-٢٧١
(الأحقـــاف)		
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن	٢٩	

(الآيـــــة)	رقمها	رقم الصفحة
(محمـــــد)		
فاعلم أن لااله الا اللـــــه	١٩	٨٢
أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها	٢٤	٢٣٤
(ق)		
والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيـــــج	٧	٣٤٦
ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد	٩ـ١٠ـ١١	٣٥١
ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد	٣٧	١٧٦
فذكر بالقرآن من يخاف وعيـــد	٤٥	٤٠
(الذاريـــات)		
وفي أنفسكم أفلا تبصرون	٢١	٢٦٤
والسماء بنيناها بأييد وانا لموسعون	٤٧	٢٥٠
ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون	٤٩	٣٣٥ـ٣٣٦
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون	٥٦	٢٣
(الطـــور)		
أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقـــون		
أم خلقوا السموات والارض بل لايوقنون	٣٥ـ٣٦	٩١ـ٩٨ـ٢١٣
(النجـــم)		
والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى	١ـ١٢	١٢٥
وان الظن لايغنى من الحق شيئـا	٢٨	٢٢٦

(الآيـــــة)	رقمها	رقم الصفحة
وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى	٤٥ـ٤٦	٣٣٥ـ٣٤٣
(القمـــر)		
فدعا ربه انى مغلوب فانتصر	١٠	
ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر	١١ـ١٦	
فهل من مدكر	١٥	
(الرحمـــن)		
كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام	٢٦ـ٢٧	٣١٨
(الواقعـــة)		
أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون	٥٨ـ٧٤	٢٠٧ـ٢١٢
أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه أم نحن المنزلون	٦٨ـ٧٠	٣٥٨
(الحشـــر)		
ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون	١٩	٤١
ولو أنزلنا هذا القرآن على جبل	٢١	٣٢٧
هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو	٢٢ـ٢٤	١٢
(الجمعـــة)		
قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم	٨	٢١٦
(التغابـــن)		
هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير	٢	١٦٧
(الملـــك)		
الذى خلق سبع سموات طباقـــا	٣	٢٤٦

(الآيـــة)	رقمها	رقم الصفحة
ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين	٥	٢٤٦
ولو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير	١٠	
(الحاقـــة)		
ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين	٤٤ـ٤٧	١٢٩
(المعـــارج)		
تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة	٤	٣١٠
(نـــوح)		
ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا	١٦	٢٤٦
وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا	٢٦ـ٢٧	٣٥
(الجـــن)		
عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول	٢٦	١٨٠
(المزمـــل)		
انا سنلقى عليك قولا ثقيلا	٥	١٢٧
(المدثـــر)		
قم فأنذر	٢	١٤٨
ليستيقن الذين أوتوا الكتاب	٣١	٨٢
(القيامـــة)		
لا تحرك به لسانك لتعجل به انا علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه	١٦ـ١٩	١٢٣ـ١٥٣
(الانســان)		
هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا	١	٢١٣

(الآيـــــة)	رقمها	رقم الصفحة
انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا		
بصيرا ،انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفـــورا	٢-٣	٢١٠
ان هـــذه تذكـــرة	٢٩	٢٢٥
(المرســـلات)		
وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماءً فراتا	٢٧	٢٥٨
(النبـــأ)		
ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا	٦-١٦	٩٦-١٠٠
سبعا شـــدادا	١٢	١٤٦
وجعلنا سراجا وهاجـــا	١٣-١٦	٢٥٢-٣٥٣
(عبـــس)		
عبس وتولى أن جاءه الأعمـــى	١-١٠	١٦٢
قتل الانسان ما أكفره من أي شيء خلقه فقدره ثم السبيل يسره	١٧-٢٠	٢١٧-٣٤٤
(التكويـــر)		
فذكر انما أنت مذكـــر	٢٧-٢٨	٤٠
وما هو على الغيب بضنـــين	٢٤	١٦٣
(الطـــارق)		
فلينظر الانسان ممَ خلـــق	٥	٩٢

(الآيـــــة)	رقمها	رقم الصفحة
(الأعلـــى)		
سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى ،والذى قـــدر فهدى	١ -٣	٣٢٠-٣٢٤
سنقرئك فلا تنســـى	٧	١٤٨
(الغاشيـــة)		
أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ،والى السماء كيف رفعت	١٧- ٢٠	٦٤
[illegible]	[illegible]	[illegible]
فذكر انما أنت مذكـــر	٢١	٣٠٤
(الفجـــر)		
يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية	٢٧-٢٨	٢٦٢
الضحـــى)		
ووجدك ضالا فهـــدى	٧	١٥٢
(التـــين)		
لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويـــم	٤	٢٦٦
(العلـــق)		
اقرأ باسم ربك الذى خلـــق	١	١٤٨

(الآيـــة)	رقمها	رقم الصفحة
(المسـد)		
تبت يدا أبي لهب وتب	١ - ٥	١٧٥
ما أغنى عنه ماله وما كسب	٢	١٧٧
(الاخـلاص)		
قل هو الله أحد ،الله الصمد ،لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد	١- ٤	٢٥ ومواضع أخرى

==========

الرقم	الحديث	الصفحة
١	لا أحصي ثناء عليك	١٢
٢	هذا جبريل اتاكم يعلمكم دينكم	٢٨
٣	كل مولود يولد على الفطرة	٣١
٤	الشقي من شقي في بطن أمه	٣٥
٥	ما من مولود يولد الا على هذه الملة	٤٨
٦	اللهم لا علم لنا الا ما علمتنا	٧٥
٧	امرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله	٨٢
٨	الا سألوا اذا لم يعلموا فانما شفاء العي السؤال	٨٤
٩	واما الكافروالمرتاب فيقول لا أدري	٨٦
١٠	تفكروا في خلق الله	٩٢
١١	اعتقها فانها مؤمنة	
١٢	رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد	١٢٤
١٣	ما أذن الله لشيء ما اذن لنبي حسن الترنم بالقرآن "هامش"	١٤٣
١٤	ان هذا القرآن حبل الله المتين	١٤٦
١٥	أبكى للذين عرض على أصحابك من الفداء لقد عرض عذابكم أدنى من هذه الشجرة	١٥٥
١٦	مرحبا بمن عاتبني فيه ربي	١٦٢
١٧	ان الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وان أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي "هامش"	١٦٦
١٨	يا عائشة أما أنه بلغني عنك كذا وكذا	١٨٥
١٩	ان الله مسح ظهر آدم فأخرج منه ذريته	١٩٧
٢٠	لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها "هامش"	٣٤٧
٢١	اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك	٣٥٨

فهرس الأعـــــلام المترجم لهم

العلـــم	الصفحة
البلقـلانى	٥٨
البيرونى	١٠
البيضاوى	٥٨
ابن أم‌مكتوم	١٦٢
ابن تيمية ترجمته بملحق الأعلام	٤٠
ابن الأثير	٣٣
ابن حجر العسقلانى	٣٢
ابن الحنبلى	٢٢٧
ابن خلدون	٥٩
ابن رشد ترجمته بملحق الأعلام	٩٧
ابن طفيل	١٠٨
ابن عباس	٥
ابن عبد البر	٣٢
ابن عطية	٢٩
ابن عاشور محمد الطاهر ترجمته بملحق الأعلام	٢٨
ابن عاشور محمد الفاضل	٦٢
ابن القيم	٧
ابن كثير	٣٠
ابن الأنبارى	١٥٩
أبو جهل	١٦٢
أبو حامد الغزالي	٥٢
أبو عمران الفاسى	٢٤

العلـــم	الصفحة
أبو لهب	١٧٤
أبو هريرة	٣١
أبي بن خلف	١٦٢
بروكلمان " ترجمته بملحق الأعلام "	٤٦
التفتزانى	٥٩
الجرجانى	١١
الجوينى	٥٨
جارودى	٣٢٢
* جاك مونو " ترجمته بملحق الأعلام "	٢٩٠
جالبلو "	٢٧٥
* جورد أنو برونو "	٢٧٤
أوجيست كونت	٢٧٩
الحارث بن هشام	١٢٤
أحمد بن حنبل	٣٢
اخوان الصفا	٥٣
خليل بن أحمد	٥٣
الراغب الأصفهانى	٦١
روسو	٢٨٠
الزمخشرى	٣٠
الشهرستانى	٥٣
افنون التغلبي	١٩
الفخر الرازى	٦

العلم	الصفحة
فورباخ	٢٧٨
القاضي عياض	١٥٩
ألكاشف الغطاء	١٣٣
الكندى	١٠٧
الآلوسي	٣٤
الآيجـــى	٥٩
الآمدى	٥٨
أمرىء القيس	٣٣
أمية بن السلط	١٦٢
أميل بوريل ترجمته بملحق الاعلام	٣٨٩
أنجل	٢٧٨
أنحرو كونواى	٤٨
أنس بن مالك	٣٤
د راز	٢٣٥
د يكارت	٥٤
د اروين	٣٣٠
د افيز بارگس	٣٥١
زهير بن أبى سلمى	٢٠
سبويه	٥٣
سفيان بن عيينة	١٥٩
سنوجى	٣٧
سيمون وال	٣٦٠
شميدت " ترجمته بملحق الأعلام "	٤٦

العلم	الصفحة
شارل كمبالبزى	٣٦٠
الطحاوى	١٠
الأعشى	٥
عتبة بن ربيعة	١٦٢
عكرمة مولى ابن عباس	٣٤
عكرمة بن أبى جهل	٣٧
عمر بن الحكم	٩٣
عياض بن حمار	٣٢
قتادة بن دعامة	٣٤
كارل ماركس " ترجمته بملحق الأعلام "	٢٧٨
كانت "	٥٥
كلود برنارد "	٣١٨
كوبرنكوس	٢٧٤
كورنو " ترجمته بملحق الأعلام "	٢٨٩
محمد بن العز الحنفى	١٠
امرأة أبى لهب	١٧٤
لا مارك " ترجمته بملحق الأعلام "	٣٣٠
لينين "	٢٧٨
لتكولن برانت "	٣١٣

ملحق الأعـــلام

- ابن تيمية :

هو شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس احمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن تيميه ،ولد بحران في العاشر أو الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ٦٦١ هـ ،وتعلم في دمشق علوم العربية والتفسير والحديث والفقه واصولها .

وكان شيخ الاسلام ابن تيميه آية في الذكاء والحفظ فبرع فـــي هذه العلوم وهو ابن بضع عشرة سنة . وكان يناظر و يفحم الكبار ،وقد أفتى وله تسع عشرة سنة أو أقل ،وهو سلفي ورع عفيف لا تأخذه في الحق لومة لائم، فعمل على تقويم عقائد مجتمعه ودعاه الى ان يدين دين الحق حتى آتاه اليقين وهو حبيس الظلم بقلعة دمشق في سنة ٧٢٨ هـ .

ومؤلفات شيخ الاسلام ابن تيميه تقاوم البدع والأهواء والشهوات و تبصر بشرور الضلالات التي عمت المجتمعات الاسلامية في عصره بل فـــي مختلف العصور.

ومن مؤلفاته التي تقوم بها حجة الله على خلقه :

١ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم.

٢ - الرسالة التدمرية .

٣ - درء تعارض العقل والنقل .

٤ - منهاج السنة.

٥ - مجموع الفتاوى الى غير ذلك من كتبه التي نفع الله بها المسلمين.

---

(١) انظر العقود الدرية من مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية للحافظ محمد بن أحمد بن عبدالهادى .

- ابن رشد [1] :

هو محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي ،ويعرف بابن رشد الحفيد (أبو الوليد) ،ولد في قرطبة سنة ٥٢٠ هـ ١١٢٦م. وتوفي في مراكش سنة ٥٩٥هـ - ١١٩٨م.

وهو عالم حكيم شرح فلسفة أرسطو ،ونقد ابن سينا و رد على الغزالي والفارابي و ومذهبه يعرف (بالرُّشدية) وهو مذهب يعتمد على العقل في البحث لا على النقل . وقد تركت فلسفته أكبر الأثر في أوربا الا أن عليها مآخذ في العالم الاسلامي بسبب اعتمادها على الفكر اليوناني .

ومن تآليفه :

١ - تهافت التهافت ،

٢ - الكليات في الطب .

٣ - بداية المجتهد في الفقه .

٤ - كتاب المنطق .

- ابن عاشور [2] :

هو العلامة محمد الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام المالكي في تونس ،وشيخ جامع الزيتونه المعمور و فروعه ،وعضو المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة وأحد الأعضاء المؤسسين لرابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمة والجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة.

---

(١) عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ج ٨ ص ٣١٣ ط التراث العربي بيروت.

(٢) خير الدين الزركلي ،الاعلام ج ٦ ص ١٧٤ دار العلم للملايين ، بيروت.

وهو صاحب التفسير الشهير المسمى بـ " التحرير والتنوير" ،الذى يحوى ثلاثين جزءا ،ومؤلف كتاب : مقاصد الشريعة الاسلامية وأصول النظام الاجتماعي في الاسلام ،والوقف وآثاره في الاسلام . وهو الذى حقق ديوان بشار بن برد في أربعة أجزاء ،وله عدة كتابات أخرى ولقد ولد رحمه الله في تونس سنة ١٢٩٦هـ ١٨٧٩م وتوفي بها سنة ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

- بروكلمان (BROCKLMAN)[١] :

هو كارل بروكلمان ولد سنة ١٨٦٨ م وتوفى سنة ١٩٥٦ مستشرق الماني وأستاذ اللغة العربية في عدد من جامعات المانيا حقق عددا من الكتب العربية القديمة ، منها : ديوان لبيد ،ولحن العامة للكسائي وغيرهما ،ومن أشهر كتبه في العالم الاسلامي : تاريخ الادب العربي الذى ترجم الى لغة الضاد ،وتاريـــخ الشعوب الاسلامية .

- جاليلو (GALILÉE)[٢] :

هو عالم ايطالي ولد في بيزا سنة ١٥١٤ م اكتشف انتظام ضربات رقاص الساعة ، فطبق ذلك على توقيت النبض البشرى ،وقال بدوران الشمس وأنها محور الكون فأغضب بذلك السلطات البابوية وقد تراجع عن نظرياته وآرائه وسمح له بالعيش في "فلورنسا" الى ان مات بها على اثر مرض بالحمى في سنة ١٦٤٢م.

- كورنو (COURNO ANTOINE AUGUSTIN)[٣] :

هو انطوان اجستين (١٨٠١-١٨٧٧) عالم رياضه واقتصاد فرنسي قام بتطوير نظريات رياضية عن الفرص والاحتمالات وكان من أوائل من حاولوا تطبيق الرياضيات في المسائل الاقتصادية ومن مؤلفاته (بحوث في الأسس الرياضية لنظرية الثروة) .

---

(١) انظر الموسوعة العربية ص ٢٦١ ط: دار الشعب - القاهرة .
(٢) سمير سيخاني : احداث واعلام ج ١ ص ١٢٩ ومابعدها (بتصرف) .
(٣) الموسوعة العربية ص ١٥٠١ .

- لا مارك (١٧٤٤-١٨٢٩) (LAMARK)[1] :

هو جان باتيست بيير انطوان دومونيه الذى اشتهر باسم لا مارك عالم فرنسي انتقل في بحوثه من علم النبات الى علم الحيوان واهتم بدراسة الارصاد الجوية .

ملاحظة: لم أتمكن من الترجمة للأعلام الغربيين الآتي ذكرهم: جاك مونو ص ٢٩٠ ، جورد أنوبرود ص ٢٧٤ أميل بوريل ص ٢٨٩ ، لنكولن برانت ص ١٣ شميدت ص ٤٦ .

وذلك لانعدام ترجمتهم في المكتبة العربية ، وعدم توفر المراجع الأجنبية لدي في الوقت الحاضر

---

(١) سمير سيخاني ،أعلام الحضارة ج ١ ص ١٢٣ ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر - بيروت.

فهرس المصادر والمراجع

(١) التفسير والدراسات القرآنيه

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان وتاريخ الطبعة
تفسير القرآن العظيم	الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي ت ٧٧٤	دار احياء التراث العربي / بيروت / ١٣٨٨ هـ .
التفسير الكبير المعروف بمفاتيح الغيب .	فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي ت ٦٠٦	المطبعه البهيه المصريه
تفسير الجلالين	جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٦٤) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي . (ت ٩١١)	مصطفى البابي الحلبي ١٩٦٦
تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار	السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار .	ط الثانيه دار المعرفه للطباعه والنشر/بيروت
جامع البيان عن تأويل القرآن .	محمد بن جرير الطبري تحقيق محمود محمد شاكر	ط دار المعارف ١٩٥٨م بمصر
جامع البيان في تفسير القرآن .	معين الدين محمد بن عبد الرحمن الحسن الحسيني الشافعي (ت ٨٩٤)	دار الكتب الاسلاميه باكستان

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان وتاريخ الطبعة
روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني	شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ت ١٢٧٠	ط اداره الطباعة المنيريه بمصر.
زاد المسير في علم التفسير.	أبو الفرج عبد الرحمن بن جوزي القرشي البغدادي (ت ٥٩٦)	المكتب الاسلامي للطباعة والنشر دمشق طأولى ١٣٨٤هـ
أنوار التنزيل وأسرار التأويل	ناصر الدين أبو الخير عبد الله البيضاوي ت ٧٩١	مطبعه مصطفى البابي الحلبي ط ٢ ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م
مجموعة تفسير ابن تيمية	الامام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيميه ٧٢٨	بومباى / الهند ١٣٧٤ هـ نشر عبد الصمد شرف الدين الكتبي
النكت والعيون تفسير الماوردي .	أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي البصري ت ٤٥٠	مطابع مقصوى الكويت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م
مختصر تفسير ابن كثير	اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني	الطبعه السابعه ١٤٠٢هـ/١٩٨١م دار القرآن الكريم بيروت .
الاكليل في استنباط التنزيل	جلال الدين السيوطي	دار الكتب العلميه بيروت

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان وتاريخ الطبعة
تأويل مشكل القرآن .	ابن قتيبه أبو محمد عبدالله بن مسلم ٢٠٣ هـ ٢٧٦ هـ شرح السيد أحمد صقر	المكتبه العلميه ط ثالثه ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م بيروت / دار الكتاب العلمية بيروت .
تفسر غريب القرآن .	ابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر .	دار الكتب العلمية/بيروت
التصوير الفني في القرآن	سيد قطب	دار الشروق / الطبعة الخامسة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م
دراسات قرآنية	محمد قطب	دار الشروق ط٣ ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م
اعجاز القرآن	أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ٤٠٣ هـ تحقيق السيد أحمد صقر .	ط دار المعارف بمصر
التصاريف: تفسير القرآن مما اشتبهت اسماؤه وتصرفت معانيه	يحي بن محمد بن يحي بن سلام البصري التيمي القيرواني ٢٤٢هـ/ ٣٠٠هـ تحقيق هند شلبي	ط الشركة التونسية للتوزيع
الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل	أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ٤٦٧ ـ ٥٣٨	ط : مصطفى البابي الحلبي مصر ١٣٨٥ هـ

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان وتاريخ الطبعة
مدخل الى القرآن الكريم	د/ محمد عبدالله دراز ترجمة : محمد عبدالعظيم علي .	دار القلم / الكويت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م
مناهج الجدل في القرآن الكريم .	د/ زاهر عواض الألمعي	مطابع الفرزدق التجارية الرياض
النبأ العظيم	د/ محمد عبدالله دراز	دار القلم طبعة ثانية ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠م الكويت

كتب الحديث ورجاله

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان وتاريخ الطبعة
تهذيب التهذيب .	الحافظ بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢)	طبعة مصورة عن دائرة المعارف النظامية في الهند سنة ١٣٢٦ هـ
سنن ابن ماجه	الحافظ ابن ماجه	ط عيسى البابي الحلبي ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م
سنن الترمذي	الحافظ أبو عيسى الترمذي	ط الفجالة الجديدة بالقاهرة

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان وتاريخ الطبعة
سنن النسائي	الحافظ أبو عبد الرحمن النسائي	ط : مصطفى البابي الحلبي ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٤م القاهرة
صحيح مسلم	أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري •	ط محمد علي صبيح وأولاده /القاهرة •
فتح الباري شرح صحيح البخاري •	الحافظ بن حجر العسقلاني •	ط : المكتبة السلفية ١٣٨٠هـ/ القاهرة
مسند أحمد بن حنبل	أحمد بن حنبل الشيباني	ط / مصوره في المكتب الاسلامي / بيروت •
النهاية في غريب الحديث والأثر	الامام مجد الدين أبو السعادات المبارك الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي	الناشر المكتبة الاسلامية

العقيدة والفلسفة والمنطق :

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان وتاريخ الطبعة
الايمان	شيخ الاسلام ابن تيمية	ط / المكتب الاسلامي دمشق ١٣٩٩ هـ .
الأسس المنهجية لبناء العقيدة الاسلامية	د / يحيى هاشم حسن فرغل	مطبعة دار القرآن . دار الفكر العربي ١٩٧٨
الابانة عن أصول الديانة	أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري حققه : عبد القادر الارناؤوط	دار البيان ١٤٠١هـ
البيهقي وموقفه من الالهيات	د / محمد بن عطيه بن علي الغامدي	المجلس العلمي للجامعة الاسلامية
درء تعارض العقل والنقل	شيخ الاسلام ابن تيمية تحقيق : محمد رشاد سالم	الطبعة الأولى ١٣٩٩ مطابع جامعة محمد بن سعود .
الدين	د / محمد عبد الله دراز	دار القلم العربي / الكويت ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م
شرح العقيدة الاصفهانية	شيخ الاسلام ابن تيمية قدم له وعرف الشيخ حسنين محمد مخلوف	دار الكتب الحديثة مصر .

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان وتاريخ الطبعة
شرح العقائد النسفية وبه مجموعة حواشي	(سعد الدين مسعود التفتازاني ت ٧٣١)	مطبعة كردستان ١٣٢٩ هـ - مصر
شرح الطحاوية	صدر الدين علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (ت٧٩٢) تحقيق أحمد شاكر	مكتبة الرياض الحديثة الرياض
أشرف المقاصد في شرح المقاصد . وبهامشه شرح المعاقد	أحمد بن محمد بن يعقوب الولالي المكناسي للتفتازاني	طبعة أولى / المطبعة الخيرية ١٣٢٥ للخشاب / مصر
الصارم المسلول على شاتم الرسول .	شيخ الاسلام بن تيمية تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد	طبعة الحرس الوطني السعودي .
اظهار الحق	رحمة الله الهندي ١٢٢٣ / ١٣٠٨ هـ تحقيق : أحمد حجازي السقا	دار التراث العربي للطباعة والنشر
القسطاس المستقيم	الامام أبو حامد الغزالي	مؤسسة الزغبي للطباعة والنشر ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م
كبرى اليقينات الكونية	د / محمد سعيد رمضان البوطي .	دار الفكر ١٣٩٦هـ
العقائد الاسلامية	الشيخ / سيد سابق	دار الكتاب العربي لبنان .

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان وتاريخ الطبعة
آيات عتاب المصطفين	د/عويد بن عاد بن عابد المطرفي .	دار الفكر العربي / القاهره
تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد	سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب .	طبعه ثالثه المكتب الاسلامي ١٣٩٧هـ
الوحي المحمدي	محمد رشيد رضا	ط/ المكتب الاسلامي ط ٩ ـ ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م دمشق وبيروت
المواقف	عبدالرحمن بن أحمد الايجي الشيرازي / (ت ٧٥٦)	طبعة استطنبول
النظر والمعارف ج ١٢ من المغني في أبواب التوحيد والمحيط بالتكليف	القاضي أبو الحسن عبدالجبار جمع : الحسن بن أحمد تحقيق :عمر السيد عزمي	المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر
موافقه صحيح المنقول لصريح المعقول ..	ابن تيمية تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، ومحمد حامد الفقي .	ط . السنه المحمديه ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م
الوحدانيه مع دراسه في الأديان والفرق	د / بركات عبدالفتاح دويدار	مكتبه النهضه المصريه القاهره .

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان وتاريخ الطبعة
موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين .	شيخ الاسلام مصطفى صبري	دار احياء التراث العربي ط ٣ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م

الفلسفة :

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان وتاريخ الطبعة
الايمان والمعرفه والفلسفه	محمد حسنين هيكل	دار المعارف ١٩٦٤م
مباحث فى علم الكلام والفلسفة	د / علي الشابي	دار بوسلامه للطباعة تونس .
تاريخ الفلسفة الحديثة		
التأملات فى الفلسفه الأولي	ديكارت ترجمة عثمان أمين	
دراسات فى الفلسفه المعاصره	د / زكريا ابراهيم	ط / بدار مصر للطباعه
قصه الايمان بين الفلسفه والدين	شيخ نديم	المكتب الاسلامي بيروت ط ٣ ، ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م
كتاب الفلسفة	مجموعة من الاساتذة	ط. ١٩٨٠ دار الحرية للطباعة - بغداد
المعرفه	محمد فتحي الشنيطي	دار الثقافه للطباعه والنشر .

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان وتاريخ الطبعة
من افلاطون الى ابن سينا	جميل هـليبا	دار الأندلس بيروت

المنطـق :

اسم الكتـاب	اسم المؤلف	مكان وتاريخ الطبعة
توضيح المنطق القديم	محي الدين أحمد الصافي	الفجالة الجديدة الناشر مكتبة الأزهر
الرد على المنطقيين	شيخ الاسلام ابن تيمية	ط/ ادارة ترجمان السنه / الطبعة الثانية لاهور/ باكستان ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م
رسالتان في المنطق : "الجمل" (المختصر في المنطق)	أفضل الدين نحونجي (٥٩٠ - ٦٤٦) ابن عرفة (٧١٦-٨٠٣) تحقيق/سعد غراب	المطبعه المصريه تونس
آداب البحث والمناظرة	شيخ محمد الأمين الشنقيطي	شركه المدينه للطباعة والنشر / جدة / السعودية .

المذاهب والفرق :

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان وتاريخ الطبعة
تبيين كذب المفترى فيما نسب للامام أبي الحسن الأشعري .	أبو القاسم علي بن الحسن ابزهبة الله ابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١)	مطبعة التوفيق دمشق .
الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .	شيخ الاسلام بن تيمية	مطابع المجد التجارية الرياض
تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة	البيروني أبو حيان ابن أحمد (ت ٤٤٠هـ)	طبع مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد /الدكن الهند ط ٢
آراء أبي بكر بن العربي الكلامية	د/عمار الطالبي	الشركة الوطنية للنشر الجزائر
الشيعة والسنة	احسان الهي ظهير	اداره ترجمان السنه لاهور / باكستان . مطبعة جاوينى رياض
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين	فخر الدين الرازي	مطابع يوسف بيخون دار الكتب العلمية
الفصل في الملل والأهواء والنحل	ابن حزم الظاهري ت ٤٥٦	دار الفكر ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان وتاريخ الطبعة
الملل والنحل	أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ابن أبي بكر أحمد الشهرستاني ٥٤٨	ط الثانيه ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م دار المعرفه بيروت .
الكتب العلمية		
الله يتجلى في عصر العلم	مجموعه من العلماء ترجمه : الدمرداش سرحان	القاهره ١٩٦٨م
لله العلم	د/ بشير التركي	مطبعه الاتحاد العام التونسي للشغل .
خلق لا تدلسور	فريق من العلماء عربه بتصرف/احسان حقي	دار النفائس بيروت . ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م
الدين في مواجهه العلم	وحيد الدين خان ترجمه: ظفر الاسلام خان .	دار النفائس / بيروت ١٤٠١ هـ
رساله العلم والايمان	محمد جمال الدين الفندى	مطابع الاهرام
الاسلام والعصر الحديث	وحيد الدين خان	المختار الاسلامي للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٧٨م
الاسلام في عصر العلم	محمد فريد وجدى	دار الكتاب العربى ، بيروت ، ط ثالثه ١٣٨٦هـ / ١٩٦٨م .

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان وتاريخ الطبعة
العلم يدعو للايمان	كريس موريسون • ترجمه : محمود صالح الفلكي •	مكتبه النهضه المصريه مؤسسه فرانكلين للطباعه والنشر / القاهرة
العطاره من علم النبات	الشيخ /محمد بن عمر التقرتسي •	مطبعة الشريف ١٩٥٠/ تونس
العسل فيه شفاء للناس	محمد نزار الدبس	المكتب الاسلامي ١٤٠١/ ١٩٨١م
العلوم الطبيعية في القرآن	يوسف هروة	مروه العلمية ط أولى بيروت ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨م•
القرآن والتوراه والانجيل والعلم	موريس بوكساى	دار المعارف القاهره
مع الطب في القرآن	عبدالحميد دياب أحمد قرقوز	مؤسسه علوم القرآن دمشق •
مع الله في السماء	د /أحمد زكي	طبع دار الهلال
الوراثه	جوديت اندال ترجمة : حسين فهمي فراج	دار المعارف / القاهره ط ١٩٧٦م

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان وتاريخ الطبعة
أسس علم النفس الاجتماعي	مختار حمزه	دار المجمع العلمي بجده ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م
علم النفس أحواله وتطبيقاته التربويه	مصطفى فهمي	مكتبه الخانجي بالقاهرة .
القرآن وعلم النفس	د/ محمد عثمان نجاتي	دار الشروق ط أولى
معارج القدس في مدارج معرفة النفس	أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥)	دار الآفاق الجديده بيروت ١٤٠١ هـ .

الفقه وأصوله :

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان وتاريخ الطبعة
مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيميه	جمع وتحقيق عبدالرحمن محمد بن قاسم العاصمي النجدي	دار العربيه / بيروت ١٣٩٨ هـ
المحصول في علم أصول الفقه .	فخر الدين الرازي	جامعه محمد بن سعود الاسلاميه ط أولى ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م
المغني	أبو عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامه المقدسي ت ٦٢٠ هـ	مطبوعات رئاسه اداره البحوث العلميه والافتاء والدعوه .

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان وتاريخ الطبعة
موطأ الامام مالك تطمة منه برواية بن زياد .	أبو الحسن على بن زياد العبسى التونسى (ت ١٨٣ هـ)	دار الغرب / بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

المعاجم والآداب :

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان وتاريخ الطبعة
تاج العروس	الزبيدى	ط الجنديه بالقاهرة ١٣٠٦ هـ
التعريفات	الجرجانى	مصطفى البابي الحلبي بالقاهره
شرح ديوان زهير بن أبى سلمي	الامام ثعلب	الدار القوميه بالقاهره
لسان العرب	ابن منظور الأفريقى	مصوره عن طبعه بولاق / القاهره
المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير	أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومي	ط الاميريه بالقاهره ١٨٢٨ م
الصحاح تاج اللغه وصحاح العربيه	اسماعيل بن حماد الجوهرى توفى فى حدود (٤٠٠) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار	الطبعة الثالثه ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م
ديوان الأعشي	تحقيق محمد محمد حسين	

اسم الكتاب	اسم المؤلف	محل وتاريخ الطبعة
ديوان أمرئ القيس	ضبط وتصحيح مصطفى عبد الشافي	دار الكتب العلميه بيروت / لبنان
دائره معارف القرن العشرين .	محمد فريد وجدى	القاهره ١٣٢٦
دائره المعارف الاسلاميه	المستشرقون ت محمد ثابت الفندى وزملاؤه .	مصر ١٣٥٢
المنهل قاموس فرنسي ، عربي	د/ جبور عبد النور ، د/ سهيل ادريس	الطبعه السادسه دار العلم للملايين ١٩٨٠م
المعجم المفهرس لألفاظ الحديث عن الكتب الستة ومسند الدارمى والموطأ ومسند أحمد / ٧ أجزاء	رتبة لفيف من المستشرقين	مكتبة بريل ليدن ١٩٣٦م.
المعجم المفهرس للألفاظ القرآن الكريم	محمد فؤاد عبد الباقى	دار الكتب المصرية ١٣٦٤

1) ANTOINE AUGUSTIN COURNOT :
TRAITE DE L'ENCHAINEMENT DESIDEES FONDAMENTALES DANS LES SCIENCES ET DANS L' HISTOIRE.

2) B. ST HILAIRE :
MOHAMED ET LE KORAN

3) CLAUDE TRESMONTANT :
LES PROBLEMES DE L' ATHEISME
EDITIONS DU SEUIL
1972 PARIS

COMMET SE POSE AUJOURD HUI LE PROBLEME DE L' EXISTENCE DE DIEU
EDITIONS DU SEUIL 1966 PARIS

4) CLAUDE BERNARD :
INTRODUCTION A L'ETUDE DE LA MEDECINE EXPRIMENTALE ED: FLAMMARION PARIS

5) CHARLES EYENE GUY:
LEVOLUTION PHYSIOCHIMIQUE 3 EML EDITION
PARIS 1921

6) CHARLES COMBALUZIER :
DIEU DEMAIN, EDITIONS DU SEUIL 1966 PARIS

7) EMILE BOUTROUX :
SCIENCE ET RELIGION DANS LA PHILOSOPHIE CONTEMPORAINE, IMPRIMERIE DE LAGNY 1932.

8) GUY LA FON :
LE DIEU COMMUN, EDITIONS DU SEUIL 1982
PARIS.

9) HANS KUNG:
DIEU EXISTE T-IL ? REPONSE A LA QUESTION DE DIEU DANS LES TEMPS MODERNES, EDITIONS DU SEUIL 1981, PARIS.

10) J.C. FICHTTE DIE AHWEI SUNG:
ZUM SELIGEN FEMINER VERLOG.

11) LAPLACE:
ESSAI PHILOSOPHIQUE SUR LES PROBALITES.

12) LAROUSSE DU XX EME SIECLE.

13) ENCYCLOPAEDIA OF SOCIAL SCIENCES

14) RENE LATOURELLE THEOLOGIE DE LA REVELATION DESCLE DE BROUER BRUGES.

فهرس المواضيع

الباب الأول

	الصفحة
وجود الله بين الفطرة والدليل	١ - ١١٥
الفصل الأول : اسم الجلالة ، الله	٤ - ٢٦
الفصل الثانى : الفطرة	٢٧ - ٥٥
الفصل الثالث : الألوهية بالنظر الاستدلال	٥٦ - ١٠٩
تمهيد	٥٦ - ٦٠
(١) مسألة النظر	٦٠ - ٨٠
(٢) قضية المعرفة	٨٠ - ٩٦
الاستدلال	٩٦ - ١٠٩
الخلاصة	١١٠ - ١١٥

الباب الثانى

خصائص القرآن الذاتية فى اثبات الألوهية	١١٦ - ١٨٦
الفصل الأول : مصدره	١١٧ - ١٣٦
مفارقات بين القرآن وبين الكتب المقدمة الأخرى	١٢٣ - ١٣٦
الفصل الثانى : اعجازه	١٣٧ - ١٤٦
الفصل الثالث : اقواء القرآن للرسول	١٤٨ - ١٥٣
الفصل الرابع : توجيه الرسول الى مايخالف اجتهاده	١٥٤ - ١٦٣
الفصل الخامس : الاخبار بالغيب	١٦٤
الفرق بين علم الغيب والتكهن العلمى	١٧٩ - ١٨٢
الفصل السادس : انقطاع الوحى عن الرسول رغم الحاجة اليه	١٨٣ - ١٨٦

تابع فهرس المواضـــع

البـــاب الثـــالث

منهج القرآن فى اثبات الألوهية ١٨٧ - ٢٦٧

تمهيـــــد ١٨٧ - ١٩٣

الفصل الأول : الأصول التى اعتمدها القرآن فى دعوته للألوهيـــة . ١٩٥ - ٢١٦

(١) ايقاظ الفطر ١٩٦ - ٢٠٢

(٢) نبذ الطواغيت ٢٠٢ - ٢٠٦

(٣) تعداد النعم ٢٠٦ - ٢١١

(٤) الخلق من العدم ٢١٢ - ٢١٤

(٥) الانفراد بالخلق ٢١٥ - ٢١٦

الفصل الثانى : أسلوب القرآن فى الاقناع بالألوهية ٢١٧ - ٢٦٧

(١) وحدة الدين ٢١٩ - ٢٢٢

(٢) الجدال بالتى هى أحسن ٢٢٣ - ٢٣٢

(٣) الحض على التفكر ٢٣٣ - ٢٦٧

روعة الكون ٢٣٨ - ٢٤٠

فى الآفاق ٢٤٠ - ٢٦٠

فى الأنفس ٢٦١ - ٢٦٧

البـــاب الرابـــع

مشكلة الالحاد بين القرآن والعلم ٢٦٠ - ٣١٥

الفصل الأول : مشكلة الالحاد ٢٦٩ - ٢٨١

مفاهيم الالحاد ٢٧١ - ٢٧٤

القانون الطبيعى ٢٧٤ - ٢٧٥

تابع فهرس المواضع

الفصل بين العلم والدين ٢٧٦ - ٢٧٦

التعايش الديني والعلمي لم يتوقف ٢٧٦ - ٢٧٧

مظاهر من الالحاد ٢٧٨ - ٢٨١

الفصل الثاني : الالحاد والعقلانية ٢٨٢ - ٢٩٤

مبدأ العلية ونفي الصدفة ٢٨٨ - ٢٩٤

الفصل الثالث : الالحاد بين المسيحية والاسلام ٢٩٥ - ٣٠٢

الالحاد في البيئة المسيحية ٢٩٦ - ٢٩٧

الالحاد في البيئة الاسلامية ٢٩٨ - ٣٠٢

الفصل الرابع : العلم وانحسار الالحاد ٣٠٣ - ٣١٥

نجاح العلوم وغرور العلماء ٣٠٧

تواضع العلماء ٣٠٨ - ٣١٥

البـــاب الخامـــس

العلم يثبت وجود الله ووحدانيته ٣١٦ - ٣٤٧

الفصل الاول : العلم يثبت وجود الله ووحدانيته ٣١٦ - ٣٢٠

الفصل الثاني : الكائنات الحية ٣٢١

(١) علاقة الروح بالحياة ٣٢١ - ٣٢٤

علوم الاحياء ٣٢٤ - ٣٣٠

(٢) المادة الحية ٣٣١ - ٣٣٣

(٣) من كل شيء زوجين ٣٣٣ - ٣٣٦

(٤) نظام التزاوج ٣٣٦ - ٣٣٨

تابع فهرس المواضع

في النبات	٣٣٨ - ٣٤١	
في الثمار	٣٤١ - ٣٤٢	
في المخلوقات العليا	٣٤٢ - ٣٤٥	
(٥) عمل الكائنات وعلاقاتها ببعضها.	٣٤٥ - ٣٤٧	
الفصل الثالث : الماء والحياه	٣٤٩ - ٣٦٦	
(١) الماء والحياة	٣٤٩ - ٣٥٢	
(٢) المطر رحمة الله على الأرض	٣٥٣ - ٣٥٩	
(٣) ذيـــل	٣٦٢ - ٣٦٢	
أقر بوجود الله	٣٦٧ - ٣٧٠	
وقولـــة	٣٧٢	
	٣٦٧	
الفهـــــارس	٣٧٤ - ٤٠٠	
فهرس الآيات	٣٧٤	
فهرس الأعلام	٣٩٥ - ٣٩٨	
فهرس المصادر والمراجع	٣٩٩ - ٤١٦	
فهرس الموضوعـــات	٤١٧ - ٤٢٠	

تصويب

وقعت بعض الأخطاء المطبعية في "الرسالة"، لذا وجب التنبيه عليها لتداركها .

أ - الآيات القرآنية

الصفحة	السطر	الاصلاح
٤٠	٩	* ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم * (٥) سقطت كلمة : (منكم) وكذلك الرقم (٥) .
٤٠	١٠	* فذكرانما أنت مذكر * (٦) رقم الهامش (٦) وليس (٥) . وحاشية (٦) سورة الغاشية الاية : ٢١ .
٤١	الهامش(٢)	سورة طه الاية ١٢٣، لا ١٢٢ .
٦٥	الهامش(١)	الآية ٧٨ لا ٧٠
٨٠	الهامش(١) سطر ٨	* وقل رب زدنى علما *
٢٠٥	١	يُبدوءُا الخلق بألف في آخر يُبدوءُا حسب رسم المصحف.
٢١٢	٨	* لو نشاء جعلناه * وليس ناشاء
٢١٩	٦	* الله يجتبي اليه من يشاء * وليس من يساء .

ب- الأخطاء المطبعيـــة

الصفحـــة	السطر	الخطأ	الصواب
٣ (من تقديم وتقدير)	٦	تخيز	تحيز
٨ = =	٤	شردت كلمة	"الدالة" على وجود الله
و (من التمهيد)	١٠	تواطأها	تواطأ عليها
و =	١٥	بتناقصه	بتنقصه
ح =	١	مصيير	مصير
ح =	٢	المخاطبين	المخاطبون
ط =	٣	امند	امتد
ط =	٦	تيفنه	تيقنه
٣٢ (من الفطرة)	السطرالاخير	من مولود	ما من مولود
٣٣	السطرالاخير	يسيب	يصيب
٤٦	٩	ليس بعد الأعظم (قوس)	
٤٩	(٥)الهامش	اثنان وثلاثون غريزة	اثنتان وثلاثون غريزة
٥١	(١)الهامش	موجود	موجودا
٥٧ (من الالوهية بالتنظير والاستدلال)	٨	والجنة .مثل	والجنة والنار ،ومثل
٦٩	(٩)الهامش	لما	لمّ
٧٣	آخر السطر	حتى تصبر	حتى تصير
٨٢	٢	جائز	جائزا
٨٤	١٢	وغير مذموم ومأجور	وصاحبه مأجور
٨٩	٨	القديم	"القديم" بين ظفرين
٨٩	في آخر هامش(٢)	شردت: وعبارة "القديم"	لم ترد في السنة
٩٥	١١	الا أن كانت	الا أن "كانت"
١٢٧ (من مفارقات بين القرآن وبين الكتب المقدسة الاخرى)	١	محمد	محمدا
١٢٧	٢	ليهيئه	ليهيأه
١٢٩	١	لعالجه	لعاجله
١٣٢	٥	حيث أن	حيث ان
١٣٣	١٢	ليس فيه تغيير" يذكر"	ليس فيه تغيير (بدون كلمة يذكر)
١٨٩	٤	فبآياته	فآياته
١٩٠	١٠	لا يعول عليها	لا يعول عليه
١٩٢	١٥	مفتقر اليه	يفتقر اليه
١٩٦	٩	المهد	المهد
٢٠٥	١٠	نوح	نوحا
٢٦٢	٤	ملا	ملئ
٢٧١	٧	لم نخطا	لم نخطئ

تابع الأخطاء المطبعية

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
ج (التمهيد)	١٣	وأطوارها	وأطوارها
و	الهامش (١)	لا يتطلبه	لا يتطلب
و	١٢	غبي	غبين
٢٢٠	١٠	وحعلنا	وجعلنا

تابع إصلاح الآيات

الصفحة		الصواب
ب (من التمهيد)	٩	"أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون" يونس: ١٨
هـ	الهامش (٣)	سورة الرعد: الآية: ٣، وليس سورة "ص"
	الهامش (٤)	سورة الحشر: الآية: ٢١ وليست سورة "الرعد"